ابو فراس الحمداني

الشاعر الفارس

بقلم المرحوم

السيد محسن الأمين

الطبعة الثانية

أبو فراس الحمداني

الشاعر الفارس

بقلم المرحوم

السيد محسن الأمين

الطبعة الثانية

ابو فراس الحمداني

الامير العربي الشاعر المشهور

نسبه . مولده ووفاته . عشيرته . اقوال العلماء فيه . شخصيته . أخباره مع سيف الدولة. الوحشة بينه وبينه . اخباره في الاسر . خبره مع المتنبي . الموازنة بينهما . خبره مع بني ورقاء . حياته السياسية . عصره العلمي والادبي . ادبه وشعره واسلوبه . مختارات من شعره . مقتله

بقلم

السيد محسن الامين الحسيني العاملي

تمر الليالي ليس للنفع موضع ... لدي ولا للمعتفين جناب
ولا شد لي سرج على ظهر سابح ... ولا ضربت لي بالعراء قباب
ولا برقت لي في اللقاء قواطع ... ولا لمعت لي في الحروب حراب
ستذكر ايامي نمير وعامر ... وكعب على علاتها وكلاب
انا الجار لا زادي بطيء عليهم ... ولا دون مالي في الحوادث باب
ولا اطلب العوراء منهم اصيبها ... ولا عورتي للطالبين تصاب
واسطو وحبي ثابت في قلوبهم ... واحلم عن جهالهم واهاب

« من الروميات »

الطبعة الثانية

عام ١٣٦٤ هـ — مطبعة ابن زيدون بدمشق — عام ١٩٤٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(وبعد) فاني ذاكر في هذه الاوراق ترجمة أحوال الأمير أبي فراس الحمداني بما يعرب عن نفسيته وعن منزلته في عروبته وشجاعته وسخائه وحلمه وكرم أخلاقه وشاعريته وأدبه الجم وتفصيل احواله في حروبه وفي أسره ومكانته في امارة سيف الدولة وما جرى له معه في سفره وحضره ورضاه وعتبه وسائر أخباره مما استفدته من اقوال المؤرخين وما استنبطته من مجرى الحوادث وقرائن الأحوال ومن التأمل وإعمال الفكر في اشعاره وما يستفاد من جملة منها من صفاته ومختلف حالاته حسبما أدى اليه بحثي وتنقيبي ووصل اليه فهمي ومعرفتي مما أرجو أن أكون اصبت فيه شاكلة الصواب مع ايراد نبذ صالحة من شعره المستحسن في الاغراض المختلفة والمقاصد المتنوعة ولاسيما ماعثرت عليه زيادة عما في ديوانه المطبوع وهو شيء كثير وبالله التوفيق.

نسبه

هو أبو فراس الحارث بن ابي المعالي سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث ابن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن عطيف بن محربة بن حارثة ابن مالك بن عبيد بن عدي بن اسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب الحمداني العدوي التغلبي .

وأبو فراس بكسر الفاء وتخفيف الراء من اسماء الاسد . وفي شعره مايدل على ان امه او احدى جداته رومية حيث يقول :

اذا خفت من أخوالي الروم خطة تخوفت من اعمامي العرب أربعا

ويقول ايضاً :

لاسماعيل بي وبنيه فخر وفي اسحق بي وبنيه عجب(١)

ويقول ايضاً :

واعمامي ربيعة وهي صيد واخوالي بلصفر(٢) وهي غلب

مولده ووفاته

ولد بمنبج سنة ٣٢٠ وقيل سنة ٣٢١ ومقتضى ماحكاه ابن خالويه عن ابي فراس انه قال له انه في سنة ٣٣٩ كان سني ١٩ سنة ان ولادته كانت سنة ٣٢٠ وقتل يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الآخر او يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الاولى في حرب كانت بينه وبين قرعويه أو فرغويه غلام سيف الدولة سنة ٣٥٧ هكذا في جميع كتب التاريخ والادب . فما في تاريخ دمشق لابن عساكر المطبوع من انه قتل سنة ٣٥٠ غلط من الطابع . ومقتضى تاريخ ولادته ووفاته أن يكون عمره ٣٧ سنة وهو المناسب لقوله قرب وفاته :

---

(١) اسماعيل ابو العرب واسحق ابو الروم (٢) بلصفر اصله بنو الاصفر خفف وهو كثير في كلام العرب يقولون بلعنبر وبلحارث اي بنو العنبر وبنو الحارث وغير ذلك . ـ المؤلف ـ

زين الشباب ابو فرا س لم يمتع بالشباب

ولكنه يقول في بعض قصائده :

أبعد الاربعين محرمات تماد في الصبابة واغترار

وهو يدل على انه بلغ الاربعين والله اعلم ماذا عمر بعد ذلك وفي ديوان الشريف الرضي المطبوع أن أبا الهيجاء حرب بن سعيد بن حمدان توفي سنة ٣٨٢ قال وكان اخوه أبو فراس الحارث بن سعيد قد مات قبله بقليل اهـ . وهذا لايناسب تاريخ وفاته المتقدم فان بينه وبين تاريخ وفاة اخيه على هذا (٢٥) سنة وهذا لايقال عنه إنه توفي قبله بقليل فان القليل نحو سنة أو أشهر أو نحو ذلك فلابد أن يكون أحد التاريخين غلطاً والله اعلم . على ان سيف الدولة مات سنة ٣٥٦ واستيلاء ابي فراس على حمص الذي كان قتله بسببه كان بعد وفاة سيف الدولة بيسير فلا بد اما من كون تاريخ وفاة ابي الهيجاء غلطا او قول جامع الديوان ان اخاه ابا فراس مات قبله بقليل غلط والله اعلم .

عشيرته

نشأ أبو فراس في عشيرة عربية صميمة تقلب افرادها في الملك والامارة قروناً عديدة وكانت لهم احسن سيرة مملوءة بمحاسن الافعال وجميل الصفات من كرم وسخاء وعز واباء وصولة وشجاعة وفصاحة وبراعة وحلم وصفح وتدبير وغيرة وحماية للجار وحفظ للذمار ورأي رصين وعقل رزين الى غير ذلك . وكلهم او جلهم شعراء مجيدون اهل شجاعة واقدام تعودوا ممارسة الحروب وقيادة الجيوش ويندر أو ليس بموجود أن يكون فيهم من ليس بشاعر ولا شجاع فارس وسيف الدولة المتقدم في الرياسة والامارة والشجاعة والكرم وابو فراس الفائق بشعره فيهم والمتميز بشجاعته وفروسيته . عن كتاب اعلام الكلام للقشيري: كان كشاجم من المعجبين بآل حمدان ونظم قصيدة بليغة في جعفر بن عبد الله الحمداني .

وقال الثعالبي في اليتيمة : كان بنو حمدان ملوكاً وامراء أوجههم للصباحة والسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة . وأنا أزيد فأقول : ونفوسهم للطماحة وقلوبهم للشجاعة وأقوالهم للبراعة وأوامرهم للاطاعة وحماهم للمناعة وصيتهم للاذاعة . تجلت الاخلاق والشيم العربية الفاضلة والغيرة على العروبة والاسلام في أفعالهم وأقوالهم وقد اختاروا احسن الكنى والالقاب المشعرة بشغفهم بالعز والعلياء والشجاعة وتمسكهم بالعروبة فمن كناهم : ابو المعالي وابو العلاء وابو الأغر وابو العشائر وابو الهيجاء وابو السرايا وابو المرجى وابو فراس ـ وهي كنية الاسد ـ وابو العطاف وابو عدنان وابو الغطريف ومن اسمائهم الغضنفر وفيهم يقول ابو فراس :

فلم يخلق بنو حمدان إلا   لمجد أو لبأس أو لجود

وفيهم يقول ابو فراس ايضاً :

ايها المبتغي محل بني حمـ   ـدان مهلاً اتبلغ الجوزاء
فضلوا الناس رفعة وسناء   وعلوهم تكرماً ووفاء
يا مجيل الافكار فيهم الى كم   تتعب الفكر هل تنال السماء

وفيهم يقول أبو فراس أيضاً :

وأنا الذي علم الانام بانه   لم ينمه الا كريم سيد

وفيهم يقول أبو فراس أيضاً :

ونحن أناس يعلم الله أننا   اذا جمح الدهر الغشوم شكائمه
اذا ولد المولود منا فانما الا   أسنة والبيض الرقاق تمائمه

وفيهم يقول ابو فراس أيضاً :

واذا افتخرت فخرت بالشم الاولى   شادوا المكارم من بني حمدان
نحن الملوك بنو الملوك اولي العلا   ومعادن السادات من عدنان
والمجد يعلم أننا أركانه   والبيت مرتكز على الاركان
قومي متى تخبرهم لم يحسنوا   غير اصطناع العرف والاحسان

كم معدم اغنوا بفضل سماحهم كرماً وفكوا من أسير عاني
وهم أحق ببيت شعر قد مضى في الناس ممن ضمه الثقلان
(واذا دعوتهم ليوم كريهة سدوا شعاع الشمس بالمران)

وفيهم يقول ابو فراس ايضاً :

اذا كان منا واحد في عشيرة علاها وان ضاق الخناق حماها
ولا اشتورت الا واصبح شيخها ولا اختبرت الا وكان فتاها
ولا ضربت بين القباب قبابه وأصبح مأوي الطارقين سواها

وفيهم يقول ابو فراس أيضاً :

وإني لمن قوم كرام اصولهم بها ليل أبطال كرام المناسب
ولولا رسول الله كان اعتزاؤنا لأشرف بيت من لؤي بن غالب

وفيهم يقول ابو فراس ايضاً :

وأنا ابن من شاد المكارم وابتنى خطط المعالي حيث حل الفرقد
وأنا الذي علم الأنام بأنه لم ينمه الا كريم سيد
حمدان جدي خير من وطىء الحصى وأبي سعيد في المكارم اوحد
أعلى لنا لقمن أبيات العلا واناف حمدون وشيد أحمد
يعطي اذا ضن السحاب تكرما ويجبر إن جار الزمان الانكد
والمجد يوجد عندنا بارومة والعار والفحشاء مالا يوجد
والفخر يقسم اننا ابناؤه دون البرية والمكارم شهد

ويقول فيهم ابو فراس أيضاً :

ونحن اناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين او القبر

ويقول فيهم ابو فراس ايضاً :

ولقومي الشرف الرفيع محله فوق المجرة والسماك المرزم
ورثوا الرياسة كابرا عن كابر من عهد عاد في الزمان وجرهم
ظفروا بها بالسيف اول مرة وبقاؤها بالسيف اصبح فيهم
نحن البحار بل البحار مياهها مالح وموردنا لذيذ المطعم

وفيهم يقول ابو فراس أيضاً :

ومن لم يشاهد كر قومي في الوغى   فها فليشاهد كرهم في المكارم

ويقول ابو فراس ايضاً وقد اتى عسكر ناصر الدولة وفيه إخوته وبنو اخيه وقد طال عهده بلقائهم لأنه كان خلفهم صبية فعرفهم بالشبه

يلوح بسيماه الفتى من بني ابي   وتعرفه من غيره بالشمائل
مفدى مرجى يكثر الناس حوله   طويل نجاد السيف سبط الأنامل

وفيهم يقول السري الرفا من قصيدة يمدح بها ابا البركات لطف الله بن ناصر الدولة الحمداني .

والحمد حلي بني حمدان تعرفه   والصبح ابلج لايلقى بانكار
قوم اذا نزل الزوار ساحتهم   تفيأوا ظل جنات وأنهار

وفيهم يقول السري ايضاً من قصيدة يمدح بها سيف الدولة :

آل حمدان غرة الكرم المحـ   ـض وصفو الصريح منه اللباب .
اشرق الشرق منهم وخلا الغر   ب ولم يخل من ندى وضراب
ينجلي السلم عن بدور رواض   فيه والحرب عن أسود غضاب

وفيهم يقول هرون الكناني من قصيدة :

يبرزون الوجوه تحت ظلام الـ   ـموت والموت فيهم يستظل
كرماء اذا الظبا غشيتهم   منعتهم أحسابهم ان يولوا

وفيهم يقول جعفر بن محمد الموصلي :

بابناء حمدان الذين كأنهم   مصابيح لاحت في ليال حوالك
لهم نعم لا استقل بشكرها   وان كنت قد سيرته في المسالك

وفيهم يقول المتنبي في مدح سيف الدولة :

وانت أبو الهيجا بن حمدان يا ابنه   تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حارث وحارث لقمن ولقمن راشد

وفيهم يقول المتنبي ايضاً من قصيدة يمدح بها ابا العشائر الحسين ابن علي بن الحسين بن حمدان :

يابني الحارث بن لقمان لاتعـ ـدمكم في الوغي متون العتاق
بعثوا الرعب في قلوب الاعادي فكأن القتال قبل التلاقي
وتكاد الظبي لما عودوها تنتضي نفسها الى الأعناق
واذا اشفق الفوارس من وقـ ـع القنا اشفقوا من الإشفاق
كرم خشن الجوانب منهم فهو كالماء في الشفار الرقاق
ومعال اذا ادعاها سواهم لزمته جناية السراق

وفيهم يقول الشريف الرضي من قصيدة يرثي بها ابا الهيجاء حرب بن سعيد بن حمدان اخا ابي فراس واولها :

رجونا ابا الهيجاء اذ مات حارث فمذ مضيا لم يبق للمجد وارث

يقول فيها :

وسرب بنو حمدان كانت حماته رعت فيه ذؤبان الليالي العوائث
فاين كفاة القطر في كل ازمة واين الملاجي منهم والمغاوث
اذا مادعا الداعون للبأس والندى فلا الجود منزور ولا الغوث رائث
من المطعمين المجد بالبيض والقنا ملاء المقاري والعريب غوارث
اذا طرحوا عماتهم وضحت لهم مفارق لم يعصب بها العار لائث
بكتهم صدور المرهفات وبشرت هجان المتالي والمطي الرواغث
يخلي لهم من كل ورد جمامه اذا وردوا والمعشبات الأثائث
مضوا لا الايادي مخدجات نواقص ولا مرر العلياء منهم رثائث

وقد نبغ منهم جماعة كثيرة بل كلهم نوابغ فكان فيهم الامراء والشعراء والشجعان والاسخياء ذكراً كثرهم أبو فراس في قصيدته

الرائية العصماء التي يفتخر فيها بقومه في الاسلام ويذكر وقائعهم ومفاخرهم وأولها :

لعل خيال العامرية زائر فيسعد مهجور ويُسعد هاجر

وسنورد طرفاً مقنعاً منها .

فمن نوابغهم جدهم الاعلى [الحارث] بن لقمان بن راشد الذي يشير اليه ابو فراس بقوله في القصيدة المذكورة :

انا الحارث المختار من نسل حارث اذا لم يسد في القوم إلا الاخاير

وجدهم الادنى الذي يتفرعون منه وينسبون اليه أبو العباس حمدان بن حمدون ويقال أحمد بن حمدون. والظاهر أن أصل اسمه أحمد وحمدان تغيير منه . واولاد حمدان بن حمدون وهم تسعة (١) علي ابن حمدان بن حمدون وكان أسن ولد حمدان مات حدثا. وولده أبو الغطريف يحيى بن علي بن حمدان (٢) ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون والد سيف الدولة وله ثلاثة أولاد (أولهم) أبو محمد ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان بن حمدون وهو أسن من سيف الدولة ولناصر الدولة عدة اولاد منهم. أبو تغلب الغضنفر. وأبو المظفر حمدان. وإبراهيم. وأبو البركات لطف الله . وأبو المرجى جابر . وأبو القاسم هبة الله. والحسين. وأبو المطاع ذو القرنين (الثاني) من أولاد عبد الله بن حمدان سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون وله من الاولاد أبو المكارم مات في حياته وأبو المعالي شريف ملك بعده (الثالث) من أولاد عبد الله بن حمدان أبو العطاف جبر بن عبد الله بن حمدان (٣)

أبو الوليد سليمان بن حمدان بن حمدون الملقب بالحرون (٤) أبو العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون والد ابي فراس وله خمسة أولاد وهم . أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان . وابو فراس الحارث بن سعيد ابن حمدان. وابو الهيجاء حرب بن سعيد بن حمدان. وأبو الأغر أحمد بن سعيد ابن حمدان. وأبو الفضل بن سعيد بن حمدان (٥) أبو سليمان داود ابن حمدان بن حمدون الملقب بالمزرفن وله ولدان وهما . أبو وائل تغلب . وأبو اليقظان عمار ويظهر أن لعمار ولداً اسمه داود أيضاً (٦) أبو علي الحسين بن حمدان بن حمدون . وحفيده أبو العشائر الحسين بن علي ابن الحسين بن حمدان (٧) أبو السرايا نصر بن حمدان بن حمدون وله خمسة أولاد وهم. أبو العباس أحمد . وابو اليقظان عمار . وابو الحسن علي . وابو زهير مهلهل وابو عدنان محمد (٨) ابو إسحق ابراهيم بن حمدان ابن حمدون (٩) ابو جعفر محمد الغمر بن حمدان بن حمدون (١) ومن بني حمدان جعفر بن عبد الله الحمداني لكشاجم فيه قصيدة بليغة .

أقوال العلماء فيه

عن ابن شهراشوب في معالم العلماء انه من شعراء اهل البيت المجاهرين وقال ابو عبد الله الحسين بن محمد بن احمد بن خالويه النحوي اللغوي جامع ديوان ابي فراس وشارحه في مقدمة الديوان ما لفظه :

(١) في بعض المواضع انه ابو جعفر محمد بن احمد بن حمدون وفي بعضها انه ابو جعفر محمد بن الغمر بن احمد بن حمدون وعلى ما استظهرناه من ان حمدان هو احمد يكون الصواب ما ذكرناه . ـ المؤلف ـ

من حل من الشرف السامي والحسب النامي والفضل الرائع والكرم الذائع والأدب البارع والشجاعة المشهورة والسماحة المأثورة محل ابي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث العدوي رحمه الله وكان سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان رضي الله تعالى عنه وهو ابن عمه ومنبته ومثقفه ومخرجه وموقفه يجري على سنته العادلة وآثاره الفاضلة شهدت له شواهد الفضل ودعت اليه دواعي النبل اهـ . وفي اليتيمة : ابو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان . كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ونبلا ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن ابي فراس ويميزه بالاكرام عن سائر قومه ويصطنعه لنفسه ويستصحبه في غزواته ويستخلصه في اعماله وابو فراس ينثر الدرر الثمينة في مكاتباته إياه ويوفيه حق سؤدده ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته اهـ .

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق: الحارث بن سعيد بن حمدان ابو فراس بن ابي العلاء التغلبي الحمداني الأمير الشاعر الفارس كان يسكن منبج ويتنقل في بلاد الشام في دولة ابي الحسن علي بن حمدان المعروف بسيف الدولة اهـ .وفي النجوم الزاهرة ابو فراس الحارث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان التغلبي العدوي الأمير الشاعر الفصيح وكان

يتنقل في بلاد الشام في دولة ابن عمه سيف الدولة بن حمدان و كان من الشجعان والشعراء المفلقين وديوان شعره موجود اه .

وفي نسمة السحر : ابو فراس الحارث بن ابي العلاء سعيد ابن حمدان بن حمدون التغلبي الشامي الامير الكبير الشاعر المشهور (إلى أن قال) فهو المنزل الموت الأحمر ببني الاصفر والمورد السنان الأشهب في نحر العدو الأزرق تحت النقع الأسود في اليوم الأغبر اه .

وفي ابي فراس يقول الأمير ابو احمد عبد الله بن ورقاء الشيباني من قصيدة تأتي :

أمدره تغلب لسناً وعلماً ومصقع نطقها عند التلاحي
لقد اوتيت علماً واطلاعا بآداب والفاظ فصاح
لمقولك المضاء إذا انتضاه الـ قصيد على المهندة الصفاح

شخصيته

هو امير جليل وقائد عظيم اكبر قواد سيف الدولة وشجاع مدره وشاعر مفلق وعربي صميم تجلت فيه الأخلاق والشيم العربية السامية بأجلى مظاهرها في شجاعته وولوعه بالحرب وكراهته الاخلاد إلى الدعة والراحة وفي إباء نفسه وفخره وحماسته واعتزازه بعشيرته وعلو همته وارتفاعه عن الدنايا وسخائه وفصاحته وحبه للعفو والصفح وحفظ الحرم وإرتياحه إلى الكرم والبذل وحبه فعل الخير والمساواة بنفسه وعدم

إيثارها على المسلمين ورقة طبعه وسماحة خلقه وحبه للوطن ورعايته لحقوق الاخوان ومحافظته على لم شعث العشيرة إلى دين متين واعتقاد ثابت رصين وخوف من الله تعالى وغيرة على الاسلام والعروبة واشعاره الكثيرة الحماسية واخباره الآتية شاهدة شهادة صادقة بما اتصفت به نفسه من الشمم والاباء وعلو الهمة والطموح إلى العلياء والغرام بالمجد وما يكسب الثناء والحمد. والاميرأبو فراس هو أمير السيف والقلم. كان شاعراً مجيداً وبطلا مقداماً إذا قال فعل فهو إذا قال.

واني لنزال بكل مخوفة كثير الى نزالها النظر الشزر
واني لجرار لكل كتيبة معودة ان لا يخل بها النصر
سيذكرني قومي اذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فهو حقيقة نزال بكل مخوفة جرار لكل كتيبة وإذا غاب يترك فراغاً لايسده غيره فيذكره قومه لا كمن يقول ولا يفعل.

قضي الحمدانيون أيامهم في حروب متواصلة مع جيرانهم واعدائهم الروم وكانت لأبي فراس اليد الطولى في قيادة الجيوش الحمدانية وتسييرها وكان له الفضل الأكبر في إحراز الفلج لها وكان إذا مشى الجيش مشى ابو فراس في الطليعة فيجدل بسيفه الأبطال ويردي غلب الرجال. وكان ذا نفس طماحة وروح تواقة لاترضي بالدنيات من الأمور والصغائر من الأفعال بل تنهض به إلى أسمى المنازل وأعلى الرتب باشر ابو فراس قيادة الحروب وقيادة الجيوش وما اخضر عارضاه كما

يدل عليه بعض أشعار أهله (١) . وحكى عنه ابن خالوية أنه قال غزونا مع سيف الدولة وفتحنا حصن العيون وأوغلنا في بلاد الروم وفتحنا حصن الصفصاف وسني إذ ذاك ١٩ سنة وهو القائل :

فلا تصفن الحرب عندي فانها طعامي مذ ذقت الصبا وشرابي

وهو عارف بتواريخ العرب في الجاهلية والاسلام وغيرهم وهو عالم بصناعة الكلام والاحتجاج وإيراد الادلة والنقض والابرام كما تدل عليه قصيدته الميمية التي يرد بها على ابن سكرة العباسي. مشارك في العلوم عارف باللغة والعربية تخرج على ابن خالويه العالم اللغوي النحوي الشهير وغيره .

جمع أبو فراس إلى مكانة بيته وشرف محتده شخصية قوية فهذه فأهله ذلك لان يكون الأمير الجليل وأن يكون أكبر قواد سيف الدولة وأن يكون أحب الشخصيات العربية إلى النفوس على مر الأزمان . ولا شك أن نشأته في حجر سيف الدولة ووراثته مزايا عرف بها آل حمدان وتفردوا بمحاسنها قد كونا شخصيته تلك . يضاف إلى ذلك ظروف حياته التي قضاها في ممارسة الحرب والغزو ومكابدة الاسر. فقد اجتمعت تلك العوامل والمؤثرات فاخرجت شخصية

(١) وهو أبو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان فانه كتب إلي أبي فراس بعد بعض الوقائع التي نصره الله فيها بهذه الأبيات .

يا خير منتجب ينميه خير أب مخيلتي بك لم تكذب ولم تخب
ان كان وجهك لم تخطط عوارضه فانت كهل الحجى والفضل والأدب
وقفت يا ابن سعد وقفة شهرت لازلت أكرومة فيها فارس العرب

صافية واضحة لاارتباك فيها ولا تعقيد شأن أكثر الشعراء بعيدة كل البعد عن أن تربكها الخطوب وترهقها الحوادث أو أن تخرج بها دفائن الاهواء عن الخلق المتفائل السمح مع عزم وصلابة ووضوح.

لاشك في أن الوراثة وحياة المرء الاجتماعية منذ نشأته لهما الأثر العظيم في تكوين شخصيته. وتنمية صفاته الغريزية وتقويتها وابرازها. وقد ورث شاعرنا الامير عن أجداده وآبائه الشيء الكثير مما عرف به هذا البيت العربي الكريم فكان مطبوع الفطرة على مثل الأخلاق العربية العليا. ثم تداولت ظروف حياته هذه الفطرة السليمة الصافية فاتسقت معها تنميها وتغذيها. فكانت رغباته قيد إرادة قوية ومجال واسع في الامارة والرياسة، لتحقيق ماتصبو اليه نفسه العظيمة لقد تيسر له ـ وهو الطامح إلى معالي الأمور ـ أن يباشر الحروب وقيادة الجيوش ويتقلب في ذرى الامارة وهو ابن تسع عشرة سنة فنمت فيه غريزة الشجاعة وقويت وعظمت وهو إلى ذلك يجر وراءه ماضياً ضخماً وصيتا عريضا من تراث الآباء والأجداد ويحمل في قرارة نفسه عقيدة دينية صلبة تعرف معها نفسه مالها وماعليها فاهله ذلك لأن يكون الأمير الجليل ولأن يكون أكبر قوادسيف الدولة ولأن يتبوأ أسمى مقام بين العظماء ولأن يكون خالد الذكر ما بقي الدهر ووجد مجالاً واسعاً في الحماسة والفخر الصادق وساعدته الحالات

التي كان يمارسها من نصر وظفر وأسر طال واستمر على أن تخرج قريحته الفياضة شعراً مطبوعاً بطابع كل حسن ورقة وعذوبة وفخامة وانسجام وهو إذا افتخر وتحمس وذكر الحروب يقول قولاً صادقاً يطابق الفعل ولا يكون كمن يقول مالا يفعل ويفخر بما ليس فيه. فنمت شخصيته واطمأنت خطوطها العامة في وضوح وصفاء ، لذلك كان بعيداً كل البعد عن أن يحمل الحقد والنقمة على الحياة وبني البشر فلم يقل كما قال المتنبي المنكوب في صميم نفسه بما لم ينكب به أبو فراس :

ومن عرف الايام معرفتي بها | وبالناس روى رمحه غير راحم

نعم لقد قال : (إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر) . ولكنه لم يمت ظمآن بل شرب حتى ارتوى رحمه الله . وتبرم بالزمان والاخوان شأن أمثاله لكنه لم يخرج في ذلك إلى ما خرج اليه المتنبي . ويظهر تبرمه بالزمان والاخوان في كثير من شعره كقوله :

تناساني الأصحاب الا عصابة | ستلحق بالاخرى غداً وتحول
ومن ذا الذي يبقى على العهد إنهم | وان كثرت دعواهم لقليل
اقاب طرفي لا ارى غير صاحب | يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نري أن المتارك محسن | وان صديقاً لايضر وصول
تصفحت احوال الزمان فلم يكن | الى غير شاك للزمان وصول
وليس زماني وحده بي غادر | ولا صاحبي دون الرجال ملول
أكل خليل هكذا غير منصف | وكل زمان بالكرام بخيل
نعم دعت الدنيا الى الغدر دعوة | اجاب اليها عالم وجهول
وقبلي كان الغدر في الناس شيمة | وذم زمان واستلام خليل

تلك شخصية ابي فراس . وهي شخصية قل وجودها في غير بني

حمدان في ذلك العصر الذي عاش فيه ابو فراس والذي توالت فيه المحن والخطوب على الاسلام والعرب متسلسلة منذ اليوم الذي بدأ فيه فساد الدين والدنيا في بلاد العرب والاسلام فقل اليقين والامان وعصفت بالنفوس عواصف المحن والخطوب الخارجية والداخلية . فلم يكن غريباً ان يتفوق ابو فراس ويتبوأ مركز الامارة والقيادة عن جدارة واستحقاق لان شخصية تستطيع ان تخرج من خلال هذه الغمرات النفسية والبلبلة الاجتماعية والسياسية خالصة الجوهر صافية السجايا والخلال ممثلة روح التضحية واليقين والفروسية كما كانت في صدر الاسلام لهي شخصية عبقرية .

وقد جمع ابو فراس الوانا صادقة من رسوم شخصيته تلك فكانت صورة واضحة رائعة له في إحدى قصائده التي ارسلها إلى ابن عمه سيف الدولة من اسر القسطنطينية : وقد بلغه عن سيف الدولة ما انكره كما في الديوان وقال ابن خالويه امتنع الأمير سيف الدولة من اخراج ابن اخت الملك إلا بفداء عام وحمل الأمير أبو فراس الى القسطنطينية فقال يعاتب سيف الدولة . وهذه القصيدة من غرر شعر ابي فراس ولذلك أوردناها بتمامها وهي

اما لجميل عندكن ثواب ولا لمسيء عندكن متاب
لقد ضل من تحوي هواه خريدة وقد ذل من تقضي عليه كعاب
ولكنني والحمد لله حازم أعز اذا ذلت لهن رقاب
ولا تملك الحسناء قلبي كله وان ملكتها روقة وشباب

واجري ولا أعطي الهوى فضل مقودي ... واهفو ولا يخفى علي صواب
اذا الخل لم يهجرك الا ملالة ... فليس له الا الفراق عتاب
اذا لم أجد في بلدة ما أريده ... فعندي لأخرى عزمة وركاب
وليس فراق ما استطعت فان يكن ... فراق على حال فليس اياب
صبور ولو لم تبق مني بقية ... قؤول ولو أن السيوف جواب
وقور وأحوال الزمان تنوشني ... وللموت حولي جيئة وذهاب
وألحظ أهوال الزمان بمقلة ... بها الصدق صدق والكذاب كذاب
بمن يثق الانسان فيما ينوبه ... ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم ... ذئاباً على اجسادهن ثياب
تغابيت عن قومي فظنوا غباوتي ... بمفرق أغبانا حصى وتراب
ولو عرفوني حق معرفتي بهم ... اذاً علموا أني شهدت وغابوا
وما كل فعال يجازى بفعله ... ولا كل قوال لدي يجاب
ورب كلام مر فوق مسامعي ... كما طن في لوح الهجير ذباب
الى الله اشكو اننا بمنازل ... تحكم في آسادهن كلاب
تمر الليالي ليس للنفع موضع ... لدي ولا للمعتفين جناب
ولا شد لي سرج على ظهر سابح ... ولا ضربت لي بالعراء قباب
ولا برقت لي في اللقاء قواطع ... ولا لمعت لي في الحروب حراب
ستذكر ايامي نمير وعامر ... وكعب على علاتها وكلاب
أنا الجار لا زادي بطيء عليهم ... ولا دون مالي في الحوادث باب
ولا اطلب العوراء منهم اصيبها ... ولا عورتي للطالبين تصاب
واسطو وحبي ثابت في قلوبهم ... واحلم عن جهالهم واهاب
بني عمنا(١) لا تنكروا الود اننا ... شداد على غير الهوان صلاب
بني عمنا ما يصنع السيف في الوغى ... اذا فل منه مضرب وذباب
بني عمنا نحن السواعد والظبا ... ويوشك يوماً أن يكون ضراب

(١) المعني بهم سيف الدولة ... ـ المؤلف ـ

وان رجالاً ما ابنهم كابن اختهم حريون أن يقضى لهم ويهابو (١)
فعن اي عذر ان دعوا ودعيتم ابيتم بني أعمامنا وأجابوا (٢)
وما ادعي مايعلم الله غيره رحاب علي للعفاة رحاب
وأفعاله بالراغبين كريمة وأمواله للطالبين نهاب
ولكن نبا منه بكفي صارم واظلم في عيني منه شهاب
وابطأ عني والمنايا سريعة وللموت ظفر قد أطل وناب
فان لم يكن ود قريب نعده ولا نسب دون الرجال قراب
فاحوط للاسلام ان لا يضيعني ولي عنه فيه حوطة ومناب
ولكنني راض على كل حالة ليعلم اي الحالتين صواب
وما زلت ارضى بالقليل محبة لديه وما دون الكثير حجاب
واطلب ابقاء على الود ارضه وذكري مني في غيرها وطلاب
كذاك الوداد المحض لا يرتجى له ثواب ولا يخشى عليه عقاب
وقد كنت اخشى الهجر والشمل جامع وفي كل يوم لقية وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملك قيصر وللبحر حولي زخرة وعباب
امن بعد بذل النفس فيما تريده أثاب بمر العتب حين أثاب
فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

في هذه القصيدة ترى شخصية أبي فراس واضحة حتى في غزلها الذي كان فيه صادقاً لا جارياً في إستهلال القصيدة به على سنة الشعراء

(١) كأنه يريد أن يحثهم على فدائه فيقول ان القوم الذين يعتنون بابنهم ولا يجعلونه كابن اختهم الذي هو من قوم أجانب هؤلاء حريون أن يكونوا اعزاء فيقضي لهم ويهابوا فعليكم ان تكونوا كذلك (٢) كانه يشير الى ما مر في رواية ابن خالوية من ان الروم طلبوا اخراج ابن اخت الملك فامتنع سيف الدولة من اخراجه الا بفداء عام فكأنه يقول لسيف الدولة ان الروم اجابوا ابن اخت الملك لما دعاهم لفدائه وانا دعوتكم فلم تجيبوني وانا ابنكم فأي عذر لكم . ـ المؤلف ـ

الاقدمين فحسب . فهو يمثل غزل الرجل الكبير والأمير الأبي الذي (لا تملك الحسناء كل قلبه) والذي (يهفو ولكن لا يخفى عليه صواب) ولاشك بان ما ينتابه فيها من حس الالم والتبرم بالاخوان وعتاب سيف الدولة لا ينتاب إلا نفساً كالتي وصفناها .

وقد اولع ابو فراس في شعره بذكر الحرب والطعن والضرب في سبيل العز والمجد فمن بديع شعره في ذلك قوله :

لا عز الا بالحسام المخذم وضراب كل مدجج مستلئم
وقراع كل كتيبة بكتيبة ولقاء كل عرمرم بعرمرم
ولقد رضعت من الزمان لبانه وعرفت كل معوج ومقوم
وقطعت كل تنوفة لم يلقها قدم ولم تقرع بباطن منسم
واهنت نفسي للرماح وإنه من لم يهن بين القنا لم يكرم
ورأيت عمري لا يزيد تأخري فيه ولا يفنيه فضل تقدمي

لا تكاد تقرأ خبراً من أخبار أبي فراس ولا قصيدة من شعره فلا تجد أثراً يروعك من فروسيته وفتوته .

وفي كل حادثة من حوادث أيامه أثر من ذلك . قال ابن خالويه غدا أبو فراس يتصيد في خيل يسيرة فاحدقت به الخيل (يعني خيل الروم) من كل جانب في عدد كثير فلم يزل يقاتل حتى كشفهم واعتنق فارسهم وأسر عدة منهم فكتب إلى سيف الدولة :

الا من مبلغ سروات قومي وسيف الدولة الملك الهماما
بأني لم ادع فتيات قومي اذا حدثن جمجمن الكلاما
شريت ثناءهن ببذل نفسي ونار الحرب تضطرم اضطراما

ولما لم أجد الافرارا أشد من الحمام او الحماما
حملت على ورود الموت نفسي وقلت لصحبتي موتوا كراما
وعدت بصارم ويد وقلب حمتني ان أضام وان ألاما
الفهم وأنشرهم كأني بهم نعما أطرد او نعاما
ومدعو الى المران لما رأى ان قد تذمم واستلاما
عقدت على مقلده يميني وأعفيت المثقف والحساما
وهل عذر وسيف الدين ركني اذا لم أركب الخطط العظاما
وأقفو فعله في كل أمر واجعل فضله ابداً إماما
وقد أصبحت منتسباً اليه وحسبي ان اكون له غلاما
اراني كيف اكتسب المعالي وأعطاني على الدهر الذماما
ورباني ففقت به البرايا وأنشأني فسدت به الأناما
فابقاه الاله لنا طويلا وزاد الله نعمته دواما

وما اجمل ما يتمدح به الفارس الفتى وهو في عنفوان الشباب يحارب ويخاطر بنفسه حتى لا يدع فتيات قومه اذا حدثن عنه أخذهن الخجل من فراره فجمجمن الكلام بل يدعهن يتباهين بمقامه . ثبت ابو فراس في هذه المرة فلم يقدر عليه وثبت في المرة الثانية الآتية فاسر ولكنه في المرتين لم يكن نادماً على الفرار . وكأن الروم كانوا يترصدونه ويغتنمون فرصة خروجه للصيد ليغتالوه .

وهو اذا ظفر باعدائه من قبائل العرب هزمهم رأى احدى مخدراتهم وهي تتوسل اليه ان يصفح ويعفو فلقيها بالجميل ووهب لها ما حازه الجيش وترك نساء الحي مصونات محجبات كما قال :

وساحبة الأذيال نحوي لقيتها فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعر
وهبت لها ما حازه الجيش كله ورحت ولم يكشف لأبياتها ستر

وهو في ايقاعه ببني جعفر حين رماه النساء بانفسهن هزته اريحية الفتوة فكان عند ظن (بنيات عمه) به في الصفح والعفو وحفظ الحرم فاطلق لهن الأموال والأسرى . ولم يكتف بذلك بل كلف نفسه غرم ما فقد من المال ، وأرسل هذه الأبيات الجميلة التي تمثل روح الفتوة عند أبي فراس أصدق تمثيل وأروعه . وقال من قصيدة :

ولما أطعت الجهل والغيظ ساعة ... دعوت بحلمي ايها الحلم اقبل
بنيات عمي هن ليس يريبني ... بعيد التجافي او قليل التفضل
شفيع النزاريات غير مخيب ... وداعي النزاريات غير مخذل
رددت برغم الجيش ما حاز كله ... وكانت مالي عزم كل مضلل
فأصبحت في الاعداد اي ممدح ... وان كنت في الأصحاب اي معذل

ففي هذا الشعور تجاه النساء اللائذات به وفي هذا الاعتزاز بجبر كسرهن وحمايتهن اريحية الرجولة والفتوة .

وفي قصيدته هذه يقول أيضاً في ايقاعه ببني جعفر ذاكراً من قتلهما من بني جعفر :

مضى فارس الحيين زيد بن زمعة ... ومن يدن من نار الوقيعة يصطل
وقرم بني البنا تميم بن عامر ... فتيان طعانان في كل جحفل
ولو لم تفتني سورة الحرب فيهما ... جريت على رسم من الصفح أول
وعدت كريم العفو والبطش فيهما ... احدث عن يوم أغر محجل

وتراه قد اعترف بشجاعتهما وفضلهما اعتراف الخصم الشريف ويتأسف لحيلولة سورة الحرب دون كريم العفو عنهما فاصطليا بنار الوقيعة .

وصفح عن بني كلاب فقال معربا عن أخلاقه الناضلة وحبه العفو ومتمدحاً بذلك وكرره في شعره مراراً :

افر من السوء لا افعله ومن موقف الضيم لا اقبله
وقرب القرابة ارعى له وفضل اخي الفضل لا اجهله
وابذل عدلي للاضعفين وللشامخ الانف لا ابذله
واحسن ما كنت بقيا اذا انالني الله ما آمله
وقد علم الحي حي الضباب واصدق قيل الفتى افضله
بأني كففت واني عففت وان كره الجيش ما افعله

وقال في ايقاعه ببني كلاب وصفحه عنهم من قصيدة :

لي منة في رقاب الضباب واخرى تخص بني جعفر
فلما سمعت ضجيج النساء ناديت حار الا اقصر
احارث من صافح غافر لهن اذا انت لم تغفر

وقال في مثل ذلك .

تسمع في بيوت بني كلاب بني البنا تنوح على تميم
بكرهي ان حملت بني ابيه واسرته على الناي العظيم
رجعت وقد ملكتهم جميعاً الى الاعراق والاصل الكريم

وقال في ايقاعه ببني كلاب أيضاً وصفحه عن الحرم :

تخف اذا نطاردها كلاب فكيف بها اذا قلنا نزال
تركناها ولم يتركن إلا لابناء العمومة والخوال
فلم ينهضن عن تلك الحشايا ولم يبرزن عن تلك الحجال

وقال في مثل ذلك :

سلي عني سراة بني معد ببالس عند مشتجر العوالي
لقيناهم باسياف قصار كفين مؤونة الاسل الطوال

وعادوا سامعين لنا فعدنا الى المعهود من شرف الفعال
ونحن متى رضينا بعد سخط اسونا ما جرحنا بالنوال

وهو القائل :

ينال اختيار الصفح عن كل مذنب له عندنا ما لا تنال الوسائل

وقال يتمدح بالحلم والعفو :

يقولون لا تخرق بحلمك هيبة واحسن شيء زين الهيبة الحلم
فلا تتركن العفو عن كل زلة فما العفو مذموماً وان عظم الجرم

ولما اسرت بنو كلاب سيد بني قطن خرج أبو فراس حتى انتزعه منهم وقال :

رددت على بني قطن بسيفي اسيراً غير مرجو الاياب
سررت بفكه حي نمير وسؤت بني سبيعة والضباب
وما ابغي سوى شكري ثوابا وان الشكر من خير الثواب
فهل يثني علي فتى نمير بحلي عنه قد بني كلاب

وقال وقد اوقع ببني كلاب واسر مصعبا الطائي وسألته أم بسام فصفح عن الاموال من أبيات :

جار نزعناه قسرا في بيوتكم والخيل تعصب فرسانا بفرسان
بالمرج اذ ام بسام تناشدني بنات عمك ياحار بن حمدان
فظلت اثني صدور الخيل ساهمة بكل مضطغن بالحقد ملآن
ونحن قوم اذا عدنا بسيئة على العشيرة عقبنا باحسان

واي مثال للاخلاق السامية يحتذيه المرء ويقتدي به اسمى من قوله في البائيه السالفة .

انا الجار لا زادي بطيء عليهم ولا دون مالي في الحوادث باب
ولا اطلب العوراء منهم اصيبها ولا عورتي للطالبين تصاب

ولما حصل محمد بن رائق بالموصل دبر على ناصر الدولة ليقتله فسبقه ناصر الدولة بالفتكة وقد كان ابن رائق قتل عمارة العقيلي وجماعة من بني نمير فقال ابو فراس وهو صبي

لقد علمت قيس بن عيلان اننا ... بنا يدرك الثار الذي قل طالبه
وانا نزور الملك في عقر داره ... ونفتك بالقرم الممنع جانبه
وانا فتكنا بالأغر ابن رائق ... عشية دبت بالفساد عقاربه
اخذنا لكم بالثأر ثأر عمارة ... وقد نام لم ينهض الى الثأر صاحبه

وما احسن ما وصف به نفسه وصفاً صدق فيه وأبان عن اخلاقه الفاضلة التي هي أحسن قدوة بقوله

لئن الفيتني ملكاً مطاعا ... فانك واجدي عبد الصديق
اقيم مع الذمام على ابن امي ... واحمل للصديق على الشقيق
افرق بين اموالي وبيني ... واجمع بين مالي والحقوق
اخو الغمرات في جد وهزل ... اخو النفقات في سعة وضيق
جريء في الحروب على المنايا ... جبان عن ملاحاة الرفيق

شخصية ابي فراس شخصية غنية بالحيوية . فالأمل والطموح والفتوة والزعامة واستسهال الصعاب حتى الموت في سبيل مثل اعلى للرجولة والقومية والدين كانت كنوزاً ثمينة في شخصية أبي فراس وقد تدفقت تلك الحيوية الفياضة في وجوه الحياة العامة فبهرت الأبصار وراعت النفوس . وانك لتجد دلائل هذه الحيوية جليلة رائعة في جميع أخباره وأشعاره . واذا لم يكن عجيباً أن تظهر دلائل تلك الحيوية في أخباره وأشعاره وهو الأمير المبجل في سلمه والقائد المنتصر في

غزواته وحروبه فان من الرائع العجيب أن يكون في اسر الروم ثم لا تشعره نفسه الأبية شيئاً من اللين والمداراة تجاه أعدائه الذين يحكمونه كما يريدون فيناظره الدمستق مناظرة لا يلين فيها (والدمستق) بضم الدال والميم والتاء لقب عظيم من عظماء الروم قيل معناه الرئيس الأكبر للجيش والبطارقة قواده. في اليتيمة وغيرها: احفظ ابو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق: انما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب فقال له أبو فراس نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف ام بالأقلام. يغضب أبو فراس الدمستق ويحفظه فيجيبه هذا جواباً فيه كثير من المكر والبراعة اذ يقول لأبي فراس القائل:

وصناعتي ضرب السيوف وانني ... متعرض في الشعر بالشعراء

«انما انتم كتاب ولا تعرفون الحرب» فقد عرف الدمستق كيف يغيظ ابا فراس ويطعن عزته وقوميته ظناً منه بان أبا فراس الأمير الذي لا حول له ولا قوة سوف يسكت على هذا التحدي ولكن الفارس الأبي يجيبه جواب الغالب للمغلوب لا جواب الأسير لمن هو في أسره فيقول له: نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف ام بالاقلام! ثم يقول متحمسا مفتخراً:

أتزعم يا ضخم اللغاديد أننا ... ونحن ليوث الحرب لا نعرف الحربا
فويلك من للحرب ان لم نكن لها ... ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تربا
ومن ذا يلف الجيش من جنباته ... ومن ذا يقود القلب او يصدم القلبا
وويلك من أردى أخاك بمرعش ... وجلل ضربا وجه والدك العضبا

وويلك من خلى ابن اختك موثقا وخلاك باللقان (١) تبتدر الشعبا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسداً وكنت بها كلباً
فسل بردسا (٢) عنا اباك وصهره وسل أهل (برداليس) اعظمهم خطبا
باقلامنا اجحرت ام بسيوفنا واسد الشرى قدنا اليك ام الكتبا
تركناك في وسط الفلاة تجوبها كما انتفق اليربوع يلتثم التربا
تفاخرنا بالضرب والطعن في الوغى لقد اوسعتك النفس يا ابن استها كذبا
رعى الله أوفانا اذا قال ذمة وانفذنا طعنا واثبتنا ضربا

ويناظره الدمستق في أمور الدين فيقول :

أما من أعجب الأشياء علج يعرفني الحلال من الحرام

وقال في بعض ماقاله وهو في الأسر

وان فتى لم يكسر الأسر قلبه وخوض المنايا حده لعجيب

أما سائر أخباره فكلها تدل على ما في شخصيته من ذلك الغنى النفسي

عرض سيف الدولة يوماً خيوله وبنو أخيه حضور فاختار كل واحد منهم فرساً منها وأمسك أبو فراس ، وسيف الدولة يريد منه أن يفعل مثل فعلهم فلا يفعل وتأبى نفسه من ذلك ويجده حطاً من قدره ويرى نفسه أجل من أن يطمع في أخذ جواد من خيل سيف الدولة هذا وسيف الدولة ابن عمه ومربيه وصهره واتصاله به أشد من اتصال

---

(١) اللقان بلد بالروم وراء خرشنة بيومين خففه المتنبي في قوله :
(يذري اللقان عجاجاً في مناخرها) وشدده ابو فراس هنا وفي الرائية الطويلة

(٢) بردس في بعض المواضع بالباء وفي بعضها بالفاء ولم تتيسر لنا معرفة الصواب منها ولعله كان يستعمل بالباء الفارسية القريبة المخرج من الفاء فلذلك كتب تارة بالباء وتارة بالفاء . ـ المؤلف ـ

بني أخيه فيحدث ذلك وجداً في نفس سيف الدولة عليه ويعاتبه فلا يعتذر ويجيبه بالترفع عن ذلك ويقول :

غيري يغيره الفعال الجافي ويحول عن شيم الكريم الوافي
لا أرتضي وداً اذا هو لم يدم عند الجفاء وقلة الانصاف
تعس الحريص وقل ما يأتي به عوضاً عن الالحاح والالحاف
ان الغني هو الغني بنفسه ولو انه عاري المناكب حافي
ما كل ما فوق البسيطة كافياً واذا قنعت فكل شيء كافي
ويعاف لي طمع الحريص فتوتي ومروتي وقناعتي وعفافي
ما كثرة الخيل الجياد بزائدي شرفاً ولا عدد السوام الضافي
خيلي وان قلت كثير نفعها بين الصوارم والقنا الرعاف
ومكارمي عدد النجوم ومنزلي مأوى الكرام ومنزل الأضياف
لا اقتني لصروف دهري عدة حتى كان صروفه أحلافي
شيم عرفت بهن مذ أنا يافع ولقد عرفت بمثلها أسلافي

وبذل ملك الروم المفاداة لابي فراس مفرداً فكره الامير النبيل أن يختار نفسه على المسلمين وشرع في مفاداة جميع الاسرى وضمن المال وخرج بهم كما يأتي عند ذكر اسره . ولقي الروم وهم الف بسبعين من أصحابه لا يرتضيهم لأنهم كانوا من الخدم والاتباع خرج بهم الى الصيد فأسر كما يدل عليه قوله من قصيدة أرسلها الى سيف الدولة أول ما أسر ولا يعلم ان هذا هو الاسر الأول او الثاني :

ولو لم تثق نفسي بمولاي لم اكن لأوردها في نصره كل مورد
ولا كنت القى الالف زرقاً عيونها بسبعين فيها كل أشأم أنكد(١)

(١) زرقة العيون توصف بها الروم. ومن الطبيعي ان يكون اكثر السبعين الذين خرجوا معه للصيد من الاتباع والخدم فلذلك قال « بسبعين فيها كل أشأم انكد »
ـ المؤلف ـ

ويدل شعره في تلك القصيدة وغيرها على أنه كان يمكنه الهرب أو الانحياز عن الروم فلم يفعل حيث يقول :

يقولون جانب عادة ما عرفتها ... شديد على الانسان ما لم يعود
فقلت اما والله لا قال قائل ... شهدت له في الخيل الأم مشهد
ولكن سألقاها فاما منية ... هي الظن أو بنيان عز مؤبد
ولم أر أن الدهر من عدد العدى ... وأن المنايا السود ترمين عن يد

فهو يأنف من الفرار حتى في ساعة الخطر التي لا يتردد كثير من الشجعان والأشراف في الفرار عندها كما فعل الحارث بن هشام فانه فر يوم بدر و كان مع المشركين واعتذر عن فراره فقال :

الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى علوا فرسي باشقر مزبد
وعلمت أني ان اقاتل مفردا ... اقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
ففررت عنهم والأحبة فيهم ... طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

وكانما كان لهذا الموقف الذي وقفه أبو فراس وعرض نفسه فيه للأسر مع امكان الفرار ذكر بعيد . فقد ذكره أبو فراس في شعره أكثر من مرة وأشار الى كثرة تحدث الناس به ولومهم اياه وتفنن بالاعتذار عنه . قال من قصيدة :

ألام على التعرض للمنايا ... ولي سمع أصم عن الملام

وقال من قصيدة وكانما ازدهاه وأبهجه تكاثر اللوام عليه لوما يشعر بحرص الناس عليه وضنهم به :

يقولون لي أقدمت في غير مقدم ... وأنت امرؤ ما حنكته التجارب
فقلت لهم لو لم الاق صدورها ... تناولني بالذم منهم عصائب
تكاثر لوامي على ما أصابني ... كأن لم تنب الا باسري النوائب

يقولون لم ينظر عواقب أمره ومن لم يعن تجري عليه العواقب
الم يعلم الذلان (١) أن بني الوغى كذاك سليب بالرماح وسالب
وان وراء الحزم فيها ودونه مواقف تنسى عندهن التجارب
اري ملء عيني الردى وأخوضه اذ الموت قدامي وخلفي المقانب

وقوله .

تجشمت خوف العار أعظم خطة وامَّلت نصراً كان غير قريب
رضيت لنفسي : كان غير موفق ولم ترض نفسي كان غير نجيب

أي رضيت ان يقال عني كان غير موفق في رأيه ولم ترض نفسي ان يقال عني كان غير نجيب . وقال من قصيدة .

وقال أصيحابي الفرار او الردى فقلت هما أمران احلاهما المر
ولكنني أمضي لما لا يعيبني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
يقولون لي بعت السلامة بالردى فقلت أما والله ما نالني خسر

وحكى ابن خالويه عن أبي فراس أنه قال : طلب ملك الروم قسطنطين بن لاون الهدنة من سيف الدولة لما كثرت وقائعه بالروم واتصلت غزواته فابى الا بشروط قد بعد عهد الروم بمثلها فعند ذلك أراد ملك الروم ان يظهر لسيف الدولة قوته فهادن ملك الغرب وصرف من كان في جهته من العساكر لأن نصارى الغرب وملوكهم لم يكونوا مع ملك القسطنطينية على وفاق وهادن أيضاً ملك البلغار والروس والترك والافرنجة وسائر الاجناس واستنجدهم على حرب سيف الدولة وبعث عسكراً عظيما بينهم رجال

---

(١) الذلان بالضم الذليل ـ المؤلف ـ

يسمى البر كمونس وهو أخو الملكة زوجته وابن رومانوس الملك قبله وأنفق من الأموال ما يعظم قدره حتى قيل إنه أخرج اثني عشر الف عامل لحفر الخندق حول عسكره يريد بذلك أن يقهر سيف الدولة او يحمله على قبول الهدنة بالشروط التي يريدها ملك الروم وسار القائد متوجهاً الى ديار بكر وبلغ سيف الدولة خبره فجهز العساكر الى ديار بكر واقام هو في غلمانه واتفق أن الفرات زاد فمنع البر كمونس من العبور فعدل الى الشام ونزل على سميساط فافتتحها في بعض يوم ونزل على رعبان ونفر اليه سيف الدولة فيمن بقي معه وامر أبا فراس بالتقدم فكان ابو فراس أول من لحق العسكر وأحسن البلاء وثبت يقاتل حتى استحر القتل وكثر الأسر في أصحابه ثم انصرف بباقيهم حتى خلصهم واسر في هذه الوقعة أخواه ودق رمحين في تريبق الجزري رئيس الحرزيم واسر تريبق بعض أصحاب أبي فراس فارى تريبق ذلك الأسير الجراح التي فيه من أبي فراس وقال له اكتب الى صاحبك (أبي فراس) وقل له مثلك لا يتسمي في مثل ذلك اليوم ويعرفه الناس وذلك لأن أبا فراس كان حينما يطعن أو يضرب تريبق يتكنى ويتسمى ويقول خذها وانا فلان على عادة العرب في الحروب فاراد تريبق نصحه وان كان عدوه بان من كان مثله رئيساً شجاعا واتراً لا يتسمى في مثل ذلك اليوم الذي هو فيه في عدد قليل وعدوه في عدد كثير فيعرفه الناس ويجتهدوا

في قتله أو اسره متى عرفوه فقال أبو فراس في ذلك بيتين جميلين وكان اعتذاره فيهما عن تسميه اعتذارا شعريا طريفا :

يعيب علي ان سميت نفسي وقد اخذ القنا منهم ومنا
فقل للعلج لو لم اسم نفسي لسماني السنان لهم وكنى

أي لو لم أتكن لعرفوني بطعني وضربي

وسار سيف الدولة لغزو الروم واستخلفه على الشام فيما ذكره ابن خالويه فلم ترض نفس أبي فراس بالاخلاد الى الراحة والدعة واراد ان يكون شريك سيف الدولة في كل غزواته ومواسياً له بنفسه في السراء والضراء وغاظه عليه القعود عن المسير معه فكتب اليه من قصيدة يتألم من تاخره عنه ويسأله الأذن له في صحبته في ذلك الغزو فقال :

تضن بالحرب عنا ضن ذي بخل ومنك في كل حال يعرف الكرم
لا تبخلن على قوم اذا قتلوا اثنى عليك بنو الهيجاء دونهم

يقول فيها طالباً من سيف الدولة ان يأذن له في المسير معه ومبيناً له ان الشام محروس بهيبته من العدو غاب عنه او حضر

قالوا المسير فهز الرمح عامله وارتاح في جفنه الصمصامة الخذم
وطالبتني بما ساء العداة - وقد عودتها ما تشاء - الذئب والرخم
حقاً لقد ساءني امر ذكرت له لولا فراقك لم يوجد له الم
لا تشغلني بامر الشام احرسه ان الشام على من حله حرم
وان للثغر سوراً من مهابته صخوره من اعادي أهله القمم
لا يحرمني سيف الدين صحبته فهي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضت عليه في أوامره لكن سألت ومن عاداته نعم

وكتب اليه وقد آلمه التأخر عن الغزو من قصيدة

اطفأ حسرتي وتقر عيني ... ولم اوقد مع الغازين نارا
اظن الصبر ابعد ما يرجى ... اذا ما الجيش بالسارين سارا

وكان أبو فراس يعتز بعشيرته وتهز امجاد بني حمدان صميم نفسه فيكثر من المباهاة بهم وبوقائعهم وكلهم أمير فارس أديب وقد ذكرنا شيئاً من ذلك عند ذكر أسرته . فهو لذلك يحرص على لم شعث العشيرة ودوام صلة الرحم . وقد كانت بين ابي تغلب بن ناصر الدولة وأخيه حمدان شحناء وحرب لخاصر الأول الثاني بالجزيرة . فاجتمع لذلك الامراء في الجزيرة فقال أبو فراس من قصيدة تعبر عن شعور صادق ورحم بر . هذا مع أن ناصر الدولة كان قد قتل أباه والأحقاد تورث كما تورث المحبة قال :

المجد بالرقة مجموع ... والفضل مرئي ومسموع
ان بها كل عميم الندى ... يداه للجود ينابيع
وكل مبذول القرى بيته ... بيت على العلياء مرفوع
لكن أتاني خبر رائع ... يضيق عنه السمع والروع(١)
أن بني عمي وحاشاهم ... شعبهم بالخلف مصدوع
بنواب فرق ما بينهم ... واش على الشحناء مطبوع
عودوا الى احسن ما بينكم ... سقتكم الغر المرابيع
لا يكمل السؤدد في ماجد ... ليس له عود ومرجوع
أنبذل الود لأعدائنا ... وهو عن الاخوة ممنوع
ونصل الأبعد من غيرنا ... والنسب الأقرب مقطوع

(١) الروع بالضم القلب والذهن والعقل ـ المؤلف ـ

لا يثبت العز على فرقة غيرك بالباطل مخدوع

ومن قوله في لم شعث العشيرة والحنو عليها .

عطفت على غنم بن تغلب بعد ما تعرض مني جانب لهم صلد
افضت عليها الجود من قبل هذه وافضل منه ما تؤمله بعد
ولا خير في هجر العشيرة لامرىء يروح على لم العشيرة او يغدو
ولكن دنو لا يولد جرأة وهجر رفيق لا يصاحبه زهد
نباعدهم طورا كما نبعد العدي ونكرمهم حينا كما يكرم الوفد

وسائر أشعاره لا تكاد تخلو قصيدة منها من ذكر الحرب والتغني بذكر المواقع تغني القائد المقدام ومن أحب شيئاً أكثر ذكره. فقد كان الطعن والضرب واعزاز قومه ونفسه حاجة نفسية في شخصيته تقتضيها حيويته في رجولته وفروسيته . وكان يزدهيه ويبهجه ما في غزواته المظفرة من أجر الدنيا والدين لان أبا فراس كان يحمل مع فروسيته ورجولته عقيدة دينية ثابتة واضحة لا شائبة فيها . وحتى في أغراضه الشعرية الخاصة كان خاطر الحرب يأخذ عليه حسه فلا يتمالك أن يستطرد الى ذلك من خلال الغزل والنسيب ونحوهما . فهو عند ذكره بعض أهله وقد شيعها الى الحج يذكر الحرب والطعن والضرب مع عدم المناسبة بينها وبين ماقصد له . فبينما هو يبتدىء بالغزل حسب العادة المتبعة فيقول

ايحلو لمن لا صبر ينجده صبر اذا ما انقضى فكر الم به فكر
امعنية بالعذل رفقاً بقلبه أيحمل ذا قلب ولو أنه صخر

عذيري من اللائي يلمن على الهوى ... امافي لهوى لوذقن طعم الهوي عذر
أطلن عليه اللوم حتى تركنه ... وساعته شهر وليلته دهر
ومنكرة ما عاينت من شجونه ... ولا عجب ما عاينته ولا نكر
ويحمد في العضب البلي وهو قاطع ... ويحسن في الخيل المسومة الضمر
تذكرني نجداً ومن حل أرضها ... فياصاحبي نجواي هل ينفع الذكر

إذا به يذكر الحرب ويفتخر بالشجاعة وعلو الهمة فيقول :

تطاولت الكثبان بيني وبينه ... وباعد فيما بيننا البلد القفر
مفاوز لا يعجزن صاحب همة ... وان عجزت عنها الغريرية(١) الصبر
كأن سفينا بين فيد وحاجر ... يحف به من آل قيعانه بحر
عداني عنه ذود اعداء منهل ... كثير الي وراده النظر الشزر
وسمر أعاد تلمع البيض بينها ... وبيض اعاد في أكفهم السمر
وقوم متى ما ألقهم روي القنا ... وأرض متى ما أغزها شبع النسر
وخيل يلوح الخير بين عيونها ... ونصل متى ما شمته نزل النصر
إذا ما الفتى أذكى مغاورة العدى ... فكل بلاد حل ساحتها ثغر
ويوم كأن الارض شابت لهوله ... قطعت بخيل حشو فرسانها صبر
تسير على مثل الملاء منشراً ... وآثارنا طرز لأطرافها حمر

ثم يصف المشيعة الى الحج فيقول ويبدع .

وفيمن حوى ذاك الحجيج خريدة ... لها دون عطف الستر من دونها ستر
وفي الكم كف ما يراها عديلها ... وفي الخدر وجه ليس يعرفه الخدر
اشيعها والدمع من شدة الأسى ... على خدها نظم وفي نحرها نثر
رجعت وقلبي في سجاف غبيطها ... ولي لفتات نحو هودجها كثر
فهل عرفات عارفات بزورها ... وهل شعرت تلك المشاعر والحجر
اما اخضر من بطنان مكة ما ذوى ... اما أعشب الوادي أما نبت الصخر
سقى الله قوماً حل رحلك بينهم ... سحائب لا قل نداها ولا نزر

(١) الغريرة منسوبة الى غرير كزبير فحل من الابل ـ المؤلف ـ

وهو في خطابه للمحبوب وغزله به لايجد الا الحرب وغزو الروم اعداء بلاده وقومه موضوعاً يتمثل به فيقول :

أيها الغازي الذي يغـ ـزو بجيش الحب جسمي
ما يقوم الأجر في غز وك للروم بـإثمي

كما أنه يجد صوت قراع السيوف بين الصفوف أشهى اليه من شرب السلاف من كف ظبي ذي شنوف حيث يقول :

احسن من قهوة معتقة بكف ظبي مقرطق غنج
صوت قراع في وسط معمعة قد صبغ الأرض من دم المهج

وبيناهو يراسل ابا احمد عبد الله بن محمد بن ورقاء الشيباني يعتذر اليه مما ظنه من التعريض به في آخر قصيدته الرائية الطويلة اذا به تجيش نفسه بما تعوده من الفخر والحماسة فيقول بعد النسيب

لأملاك البلاد علي ضرب يحل عزيمة الدرع الوقاح
ويوم للكماة به عناق ولكن التصافح بالصفاح

ولم تفعل مرارة الاسر ووحشة الغربة عن اهله وصحبه ووطنه في نفسه مافعله قعوده في هذا الاسر عن الحرب وتدبير امور القيادة والرياسة فقال من قصيدته العصماء البائية المتقدم ذكرها

تمر الليالي ليس للنفع موضع لدي ولا للمعتفين جناب
ولا شد لي سرج على ظهر سابح ولا ضربت لي بالعراء قباب
ولا برقت لي في اللقاء قواطع ولا لمعت لي في الحروب حراب

وجميع قصائده الروميات تعرب عما كان ينتابه في الاسر من ألم الشوق الى الحرب ومنازلة الفرسان .

لم تكن أشعار أبي فراس خيال تمنيات وأحلام فان أخباره تدل على أن اشعاره صور صادقة من حياته الواقعية ومثله العليا التي كان يعيش بها . وما أحسن ما أبان به عن نفسيته وما أدق ما أشار به إشارة غير مباشرة الى ناحية من نفسه هي تحكمه في رغباته وإباؤه أن ترغمه تلك الرغبات على اجابتها لا أن يسعى اليها مختاراً ، في هذه الأبيات :

وما أنا من كل المطاعم طاعم ولا أنا من كل المشارب شارب
ولا أنا راض ان كثرن مكاسبي اذا لم تكن بالعز تلك المكاسب
ولا السيد القمقام عندي بسيد اذا استنزلته من علاه الرغائب
علي طلاب العز من مستقره ولا ذنب لي ان حاربتني المطالب
وعندي صدق الضرب في كل معرك وليس علي ان نبون المضارب
عتادي لدفع الهم نفس ابية وقلب على ماشئت منه مصاحب
وجرد كامثال السعالي سلاهب وخوص كأمثال القسي نجائب

وفي قوله :

ومن أبقى الذي ابقيت هانت عليه موارد الموت الزؤام
ثناء طيب لا خلف فيه وآثار كآثار الغمام
وعلم فوارس الحيين أني قليل من يقوم لهم مقامي

لقد حقق ما كان يطمح اليه فأبقى الثناء الطيب والآثار الحميدة وأقام سنينه الحجة لدى فرسان قومه بان من يقوم مقامه نادر قليل لذلك هو بعد أن أدى رسالته يرد موارد الموت الزؤام غير متردد لانه قد شفى طموح نفسه وبعد همته وحقق الغاية من حياته كما قال :

علينا ان نغاور كل يوم رخيص الموت بالمهج الغوالي
فان عشنا ذخرناها لاخرى وان متنا فموتات الرجال

ويجد نفسه سعيداً مغتبطاً بما يعانيه في حروبه من وعورة المنازل والنزول في القفار بين الأفاعي والعقارب لأن ورود العذب الزلال لا يجلبه الاورود الرنق الأجاج حيث يقول من قصيدة :

اوينا بين اطراف العوالي الى بلد من النصار خالي
تمد بيوتنا في كل فج به بين الاراقم والصلال
نعاف قطونه ونمل منه ويمنعنا الاباء من الزيال
مخافة ان يقال بكل ارض بنو حمدان كفوا عن قتال
ومن عرف الخطوب ومارسته اطاب النفس بالحرب السجال
فان يك اخوتي وردوا شباها باكرم موقف واجل حال
فمن ورد المهالك لم ترعه رزايا الدهر في اهل ومال
وذا الورد المكدر جانباه بما اوردت من عذب زلال
اذا مالم تخنك يد وقلب فليس عليك خائنة الليالي
ضربت فلم ادع للسيف حداً وجلت بحيث ضاق عن المجال
الاهل منكر ببني نزار مقامي يوم ذلك او مقالي
الم اثبت لها والخيل فوضى بحيث تخف احلام الرجال
تركت ذوابل المران فيها مخضبة محطمة الأعالي
وعدت اجر رمحي عن مقام تحدث عنه ربات الحجال

وكان للدين والأخلاق في شخصية ابي فراس أثر بالغ صادق زاد في نقاء تلك الشخصية وصفائها واعانه في الصعاب التي لاقاها ـ وهو لما يزل في عنفوان الشباب ـ على ان يقف من الحياة موقف الحكيم الزاهد

المستهين بالمكاره وما اجمل واصدق عاطفته الدينية وانجى عتابه لسيف الدولة في خطابه له من بعض الروميات بقوله

فان لم يكن ود قريب نعده ولا نسب دون الرجال قراب
فاحوط للاسلام ان لايضيعني ولي عنه فيه حوطة ومناب

وما بالك بذلك الفارس المغوار بينما هو يفتخر بآبائه وبحروبه الى اقصى ما يتصور اذا بعاطفة الدين تميل به الى مناجاة الله تعالى فكأنه عابد في محراب لا أسد في مجال الضراب فيقول

انظر لضعفي ياقوي وكن لفقري ياغني
احسن الي فانني عبد الى نفسي مسي

ويقول وليسا في الديوان المطبوع

انا ان علت نفسي بطبيب او دواء
عالم ان ليس الا بيد الله شفائي

ويسلي نفسه وهو في الاسر ويعظها بابلغ مواعظ اهل العرفان فيقول

مالي جزعت من الخطوب وانما اخذ المهيمن بعض ما اعطاني

ويقول مظهراً حسن ظنه وثقته بالله تعالى :

ومن لم يوق الله فهو ممزق ومن لم يعز الله فهو ذليل
اذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يدلك في كل مسلك ضللت ولو ان السماك دليل
وان هو لم ينصرك لم تلق ناصراً وان عز انصار وجل قبيل

ويتمدح بالكرم والسخاء وبذل الزاد واقراء الضيف في كثير من شعره كقوله :

ولا والله ما بخلت يميني ‏ ‏ ولا اصبحت اشقاكم بمالي
ولا امسي احكم فيه بعدي ‏ ‏ قليل الحمد مذموم الفعال
ولكني سأفنيه واقني ‏ ‏ ذخائر من ثواب او جمال
وللوراث إرث ابي وجدي ‏ ‏ جياد الخيل والاسل الطوال
وما تجني سراة بني ابينا ‏ ‏ سوى ثمرات اطراف العوالي

وقوله من قصيدة :

ولست بجهم الوجه في وجه صاحبي ‏ ‏ ولا قائل للضيف هل انت راحل
ولكن قراه ما تشهى ورفده ‏ ‏ ولو سأل الاعمار ما هو سائل

وقوله

اذا مررت بواد جاش غاربه ‏ ‏ فاعقل قلوصك وانزل ذاك وادينا
وان عبرت بناد لا تطيف به ‏ ‏ اهل السماحة فاجلس فهو نادينا
نغير في الهجمة(١) الغراء ننحرها ‏ ‏ حتى ليعطش في الاحياء راعينا
تجفل الشول بعد الخمس صادية ‏ ‏ اذا سمعن على الأمواه حادينا
وتغتدي الكوم اشتاتا مروعة ‏ ‏ لاتأمن الدهر الا من اعادينا
ويصبح الضيف أولانا بمنزلنا ‏ ‏ نرضى بذاك ويمضي حكمه فينا

---

(١) الهجمة من الابل اقلها اربعون الى مازادت او ما بين السبعين الى المائة
ـ المؤلف ـ

وقوله من ابيات :

سلي عني نساء بني معد يقلن بما رأين وما سمعنه
الست امدهم لذرى ظلال واوسعهم لدى الأضياف جفنه

وقوله من ابيات

احمي حريمي ان يبا ح ولست احمي ما ليه
وتخافني كوم اللقا ح وقد امن عذابيه
تمسي اذا طرق الضيو ف فناؤها بفنائيه
ناري على شرف تأجـ ـج للضيوف السارية
يانار ان لم تجلبي ضيفا فلست بناريه

ويرتاح الى الكرم والمعروف مع من يشكر ومن يكفر فانه إن فاته الشكر لم يفته الاجر فيقول :

وما نعمة مكفورة قد صنعتها الى غير ذي شكر بمانعتي أخرى
سآتي جميلا ما حييت فانني اذا لم أفد شكراً أفدت به اجرا

ويقول :

وأقسم ان فوت جميل فعل اشد علي من حز المواسي

وما أغناه حين تنظر الى ملكه بقايا ما وهب اذ يقول في أبدع معنى وأبلغ لفظ تعرض فيه هذه الصورة الشعرية للشجاعة والكرم :

بخلت بنفسي أن يقال مبخل واقدمت جبنا ان يقال جبان
وملكي بقايا ما وهبت مفاضة ورمح وسيف صارم وحصان

وبلغ التحمس والفخر بالعشيرة في نفس أبي فراس مدى بعيداً فهو يقول في قصيدته الرائيه التي يفتخر فيها بقومه وعشيرته والتي بلغ فيها الغاية في الحماسة والفخر والتي زادت ابياتها العامرة على (٢٤٠) بيتاً:

لنا في بني عمي وأحياء اخوتي ... علاً حيث سار النيران سوائر

وانهم الساذات والغرر التي ... اطول على خصمي بها واكاثر

ولولا اجتناب العتب من غير منصف ... لما عزني قول ولا خان خاطر

فكأنه لم يكفه هذا القول الكثير وهذا الفخر العريض الطويل ورأى نفسه قد اختصر ولم يطنب وأقل ولم يطل اجتنابا للعتب من غير منصف ولولا ذلك لما عزه قول ولا خانه خاطر وأي قول يعزه وخاطر يخونه بعد (٢٤٠) بيتاً تصرف فيها بأنواع الفخر والحماسة واستقصى ذكر عشيرته وايامهم ووقائعهم ومفاخرهم وهو يرى نفسه مقصراً قد منعه خوف العتب من غير منصف من الاطالة والاستيفاء.

اخباره

له اخبار كثيرة شائقة منها مع سيف الدولة ومنها في الأسر ومنها مع المتنبي وبني ورقاء ومنها غير ذلك.

اخباره مع سيف الدولة عدى ماتقدم وعدى الروميات

كان سيف الدولة الامير المقدم في آل حمدان وكان هو مربي ابي فراس فان ابا العلاء سعيد بن حمدان والد أبي فراس وعم سيف

حمدان حين جاء اليه الى الموصل وخاف ان يتغلب عليها فقتله غيلة سنة (٣٢٣) وأبو فراس يومئذ طفل صغير عمره سنتان أو ثلاث سنين فرباه ابن عمه سيف الدولة ونشأ في حجره وكان أبو فراس يعرف له ذلك وينزله منزلة والده ويعترف بجميله وينوه بذلك في اشعاره ويعامله في أكثر حالاته معاملة التابع للمتبوع والمأمور للآمر بل الخادم للمخدوم ويتواضع له في مخاطباته بشعره فهو يقول في بعض قصائده مخاطباً له :

هيهات لا أجحد النعماء منعمها خلفت ياابن أبي الهيجاء في أبي

ويقول مخاطباً له أيضاً من أبيات :

إذ أنت سيدي الذي ربيتني وأبي سعيد

ويقول من قصيدة :

وكيف ينتصف الأعداء من رجل العز أوله والمجد آخره
فمن سعيد بن حمدان ولادته ومن علي بن عبد الله سائره
لقد فقدت أبي طفلا فكان أبي من الرجال كريم العود ناضره
هو ابن عمي دنياً حين أنسبه لكنه لي مولى لا انا كره

ويقول من قصيدة :

وربانى ففقت به البرايا وأنشأني فسدت به الأناما

ويقول أيضاً :

اب بر ومولى وابن عم ومستند اذا ما الخطب جالا

ولما هرب ناصر الدولة من معز الدولة البويهي حين طرده الى

الشام من ديار ربيعه سنة (٣٤٧) والتجأ الى اخيه سيف الدولة وكان ناصر الدولة اسن منه قال ابو فراس قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويعرض فيها بذم ناصر الدولة الذي قتل اباه ولا توجد في الديوان المطبوع وهي

لمثلها يستعد البأس والكرم وفي نظائرها تستنفد النعم
هي الرياسة لاتقني جواهرها حتى يخاض اليها الموت والعدم
تقاعس الناس عنها وانتدبت لها كالسيف لا نكل فيه ولا سأم
مازال يجحدها قوم وتنظرهم حتى اقروا وفي آنافهم رغم
شكراً فقد وفت الايام ما وعدت أقر ممتنع وانقاد معتصم
وما الرياسة إلا ما تقر به شمس الملوك وتعنو تحته الامم
هذي شيوخ بني حمدان قاطبة لاذوا بدارك عند الخوف واعتصموا
حلوا باكرم من حل القباب بها بحيث حل الندى واستوسق الكرم
مغارم المجد يعتد الملوك بها مغانماً في العلا في طيها نعم
فكنت منهم وان اصبحت سيدهم تواضع الملك في أصحابه عظم
شيوخهم سبقت لافضل ينعتها وليس يفضل فينا الفاضل الهرم
ولم يفضل عقيلا في ولادته على علي أخيه السن والقدم
وكيف يفضل من أزرى به بخل وصد اليد والوجلان والصمم
لا تنكروا يا بنيه ما أقول فلن تنسى الترات ولا اذحال شيخكم
كادت مخازيه ترديه فانقذه منها بحسن دفاع عند عمكم

ثم تعود اليه عاطفة الرحم ويتجلى فيه كرم النفس فيقول

استودع الله قوماً لا افسرهم بالظالمين ولو شئنا لما ظلموا
والقائلين ونغضي عن جوابهم والجائرين ونرضى بالذي حكموا
اني على كل حالٍ لستُ أذكرهم الا وللشوق دمع واكف سجم
الانفس اجتمعت يوماً وافترقت اذ تأملت نفس والدماء دم
رعاهم الله ما ناحت مطوقة وحاطهم أبداً ما أورق السلم

وغيظه من ناصر الدولة لم يمنعه أن يقول عنه (ومنا لدين الله سيف وناصر).

ومن مطالعة أخباره مع سيف الدولة يظهر عظيم تقدير سيف الدولة له واعتماده عليه وشدة تعلقه به ومحبته له ومعرفته مزاياه وسجاياه العالية. في اليتيمة كان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالاكرام عن سائر قومه ويصطفيه لنفسه ويستصحبه في غزواته ويستخلفه على أعماله وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ويوفيه حق سؤدده ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته اه:

وكان أبو فراس يعلم منزلته هذه عند سيف الدولة وحاجة سيف الدولة إلى مواهبه وكفاءته فلا جرم أن خاطبه متحمساً مفتزا بشجاعته وبابن عمه فقال.

يا ابن الذوائب من نزار والاولى شادوا بيوت مناقب لم تهدم

أنا سيف سيف الدولة الماضي(١) إذا نبت السيوف وخان كل مصمم
إرم الكتائب بي فإنك عالم أني أخو الهيجاء غير مذمم
وعلام لا ألقى الفوارس معلما وعلو جدك عدتي وعرمرمي
أنا سيفك الماضي وليس بقاطع سيف إذا ما لم يشد بمعصم

وكان سيف الدولة يعده لكل مهم فهو قائد جيوشه ونائبه فيها في حضوره وغيبته وشريكه في اكثر غزواته للروم وغيرها والفاعل كفعله وله في كل تلك الغزوات الأثر المحمود فقد سار معه الى بلاد الروم حتى افتتحوها وامره بالتقدم فتقدم وافتتح حصن عرقة وكمن لهم سيف الدولة في موضع وابو فراس في موضع آخر فقتلا منهم مقتلة عظيمة وسار معه الى حرب الدمستق لما خرج الى الشام فهرب الدمستق واسر ابنه قسطنطين ولما نزل ملك الروم على رعبان ونفر اليه سيف الدولة امر ابا فراس بالتقدم فتقدم وأحسن البلاء. وارسله سيف الدولة لبناء قلعة رعبان وقد خربتها الزلزلة وهي من الثغور وبقيت خرابا خمس سنين وأراد سيف الدولة عمارتها وهي مجاورة للروم يخافون من تعميرها ويمنعون منه بكل جهدهم لم ير أهلا لذلك غير أبي فراس فارسله في قطعة من الجيش فعمرها في ٣٧ يوماً ورد قسطنطين بن الدمستق الذي جاء بجيشه ليمنعه عنها خائباً.

---

(١) في بعض النسخ يا سيف سيف الدولة وفي بعضها أنا سيف سيف الدولة والأولى لها وجه صحيح فهي نظير قول الشاعر
يا زيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل عليك فانزل.

ولما طلب ملك الروم الهدنة من سيف الدولة فأبى الا بشروط توافقه وجهز ملك الروم الجيوش لغزو الشام نفر اليه سيف الدولة وامر أبا فراس بالتقدم فتقدم وأبلى بلاء حسناً كما مر .

اخلص أبو فراس لابن عمه سيف الدولة أمير الحمدانيين ووقف بطولته على خدمة العرش الحمداني فبادله سيف الدولة الاخلاص وأكبر فيه الخدمة .

وبعدما أسرته الروم كان مع ما هو عليه من مضاضة الأسر لا يني عن تعرف أخبار الروم والبعث بها الى سيف الدولة والاشارة عليه والنصح له مع ما عرض بينهما من الوحشة وهو في الأسر فقد كتب اليه يعرفه خروج الدمستق في جموع الروم ويحثه على الاستعداد وهو شريكه في قيادة الجيوش لتأديب قبائل العرب اذا أرادت العيث والخروج عن الطاعة . فقد اجتمعت مرة واتفقت على حربه فسار اليهم ومعه أبو فراس حتى اوقع بهم وهزمهم وقتل فيهم وقدمه مرة في قطعة من الجيش ليتبعهم فاتبعهم يقتل ويأسر وانفذه الى بني عقيل وبني نمير وبني كلاب حيث عاثوا في عمله فظفر ونصر. وسار معه مرة ألى قبائل كعب بديار مضر لما شذت واستنزل أمرها فهربت ناس فالحاق بهم وردهم الى الطاعة ففعل وأخذ رهائنهم وانتدبه مرة لقتال بني كلاب فقاتلهم واوقع بهم وافسدوا مرة اخرى فاسرى اليهم سيف الدولة من حلب وأمر ابا فراس ان يعارضه من منبج ففعل واجتمعا بالجسر فاوقعا

بهم. ولما اكثرت بنو كعب وبنو كلاب الغارات على بني نمير وضيقوا عليهم انهض سيف الدولة ابا فراس لمعاونتهم فلما نزل بهم انكشفت بنو كعب وتنحت بنو كلاب.

وهو خليفته على بلاد الشام عند غيبة سيف الدولة عنها لما يعلم من كفائته ونصحه وقيامه بحفظ الثغر ولم يكن ليثق في ذلك باحد غيره من عشيرته ولا غيرهم وقع ذلك عدة مرات تقدمت الاشارة اليها (ومنها) لما سار سيف الدولة لبناء عين زربة وحصونها. قال ابن خالويه سار الامير سيف الدولة سنه ٣٥١ الى الثغور الشامية لبناء عين زربة وحصونها واستخلف على الشام الأمير ابا فراس فسار نقفور بن بردس ملك الروم في جمع النصرانيه الى الشام فلقيه الأمير ابو فراس في الف فارس من العرب فوقع بينهم ست وقائع في كلهن يظهره الله حتى دخل دلوك ولم يتجاوزها وفي ذلك يقول أبو فراس من قصيدة يخاطب بها الدمستق

وانى اذ نزلت على دلوك ... تركتك غير متصل النظام
وانا ان عقدت صليب رأيي ... تحال عقد رأيك في المقام
وكنت ترى الأناة وتدعيها ... فأعجلك الطعان عن الكلام
وبت مؤرقاً من غير سقم ... حمى جنبيك طيب النوم حامي

ولكن ذلك لم يمنعه من ان يرى غاية النعمة ان يكون غلاماً لسيف الدولة فكيف به وهو نسيبه وابن عمه فقال:

وقد اصبحت منتسباً اليه ... وحسبي ان اكون له غلاما

ويقول له أيضاً :

ان تقدمت فحاجب   او تأخرت فكاتب
أو تسايرنا جميعاً   فكلا الحالين واجب

ويقول لسيف الدولة أيضاً

وانت اريتني خوض المنايا   وصبري تحت هبوات النزال
فصبري في قتالك لا قتالي   وفعلي في فعالك لا فعالي
وفي ارضاك اغضاب العوالي   واكراه المناصل والنصال

وكتب الى سيف الدولة في علة وجدها

وعلة لم تدع قلباً بلا ألم   سرت الى ذروة العليا وغاربها
هل تقبل النفس عن نفس فافديه   الله يعلم ما تغلو علي بها
لئن وهبتك نفسا لا نظير لها   فما سمحت بها الا لواهبها

وكتب اليه كما في اليتيمة

ومالي لا اثني عليك وطالما   وفيت بعهدي والوفاء قليل
واوعدتني حتى اذا ما ملكتني   صفحت وصفح المالكين جميل

وكذلك لم يمنع سيف الدولة كون أبي فراس تابعاً له وناشئاً في حجره بمنزلة الابن من أن يعبر عنه بكلمة (سيدي) في احدى المناسبات الادبية. وفي هذا دلالة لا تخفى على سمو أخلاق الاميرين ومنزلة كل منهما عند الآخر لذلك ليس غريباً أن يخاطب أبو فراس ابن عمه في موضع آخر مخاطبة الند للند ويجعل مفاخر بني حمدان وطولهم به كما هي بسيف

الدولة فيقول :

بنا وبكم ياسيف دولة هاشم تطول بنو اعمامنا وتفاخر
فانا واياكم ذراها وهامها اذ الناس اعناق لها وكراكر

ويقول :

ولو لم يكن فخري وفخرك واحداً لما سار عني بالمدائح سائر

وان يطلب في احدى قصائده من سيف الدولة الفداء ويتضرع اليه ثم يقول :

فلا وابي ما ساعدان كساعد ولا وابي ما سيدان كسيد

فجعل لنفسه من السيادة وغيرها مثل ما لسيف الدولة وكذلك ليس غريباً ان يعود بعد هذا مخاطبا له خطاب التابع للمتبوع فيقول :

وانك للمولى الذي بك أقتدي وانك المولى الذي بك أهتدي
وأنت الذي علمتني طرق العلا وأنت الذي اهديتني كل مقصد

وأن ينحو هذا النحو في موضع آخر فيقول :

ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيجت آساداً غضابا
اسنته اذا لاقى طعاناً صوارمه اذا لاقى ضرابا
صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام إذا اصابت مراميها فراميها اصابا

ومن أخباره مع سيف الدولة ما ذكره الثعالبي في اليتيمة في ترجمة سيف الدولة قال : كان ابو فراس يوما بين يديه في نفر من ندمائه

فقال لهم سيف الدولة ايكم يجيز قولي وليس له الا سيدي يعني أبافراس:

الك جسمي تمله فدمي لم تحله

فارتجل أبو فراس وقال:

انا ان كنت مالكا فلي الأمر كله

فاستحسنه وأعطاه ضيعة بمنبج تغل الف دينار اه.

وفي اليتيمة: حكى ابن خالويه قال كتب أبو فراس الى سيف الدولة وقد شخص من حضرته الى منزله بمنبج «كتابي أطال الله بقاء مولانا الامير سيف الدولة من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل الظهر والظهر (١) وفراً وشكراً» فاستحسن سيف الدولة بلاغته في ذلك ووصف براعته وبلغ أبا فراس ذلك فكتب اليه:

هل للفصاحة والسما حة والعلا عني محيد
إذ أنت سيدي الذي ربيتني وأبي سعيد
في كل يوم استفيـ ـد من العلاء وأستزيد

. وفي اليتيمة كان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الانس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب وممارسة الحروب فوافت حضرته احدى المحسنات من قيان بغداد فتاقت نفس أبي فراس الى سماعها ولم

(١) الظهر الاول بمعنى الركاب والثاني خلاف البطن ويوجد في بعض المواضع مثقل الظهر موقر الضمير والصواب ماذكرناه لانه الموجود في خاص الخاص للثعالبي ونسخة من اليتيمة مخطوطة. ـ المؤلف ـ

ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة فكتب اليه يحثه على استحضارها فقال :

محلك الجوزاء بل أرفع   وصدرك الدهناء بل اوسع
وقلبك الرحب الذي لم يزل   للجد والهزل به موضع
وفضلك المشهور لاينقضي   وفخرك الذائع لا يدفع
رفه بقرع العود سمعا غدا   قرع العوالي جل ما يسمع

وكان سيف الدولة وعد ابا فراس باحضار ابي عبد الله ابن المنجم وبالاجتماع به ليلة فكتب اليه أبو فراس :

« قد تقدم وعد سيدنا سيف الدولة باحضار ابي عبدالله ابن المنجم والغناء بحضوره وأنا سائل في ذلك . فان رأى سيف الدولة أن يتطول بانجاز ما وعد فعل انشاء الله » وكتب اليه معها بهذين البيتين

أيا سيداً عمني جوده   بفضلك حزت السنا والثناء
قدي أن أتيتك في ليلة   فنلت الغنى وسمعت الغناء

فاجابه سيف الدولة

« أنا مشغول بقرع الحوافر عن المزاهر . قال العلوي

أسمعاني الصياح بالآمبيس   وصريف العيرانة العيطموس
واتركاني من قرع مزهر ريا   واختلاف الكؤوس بالخندريس
ليس يبنى العلا بذاك ولا يو   جد كالصبر عند ام ضروس

واذا كنا لانفعل ماقاله أسود بني عبس :

ولقد أبيت على الطوى واظله حتى انال به كريم المأكل

فعلى كل حال يقع الانتظار إن شاء الله تعالى .»

فكتب اليه أبو فراس :

يبني الرجال وغيره يبني القرى شتان بين قرى وبين رجال

قلق بكثرة ماله وسلاحه حتى يفرقه على الابطال (١)

(قلت): كنت أربأ بأبي فراس عن سماع الغناء وهو الذي يقول .

لئن خلق الانام لحسو كأس ومزمار وطنبور وعود

فلم يخلق بنو حمدان إلا لمجد أو لبأس أو لجود

وفي اليتيمة كتب أبو فراس الى سيف الدولة ـ ولا توجد في الديوان المطبوع ـ:

يا أيها الملك الذي أضحت له جمل المناقب

نتج الربيع محاسناً القحنها غرر السحائب

راقت ورق نسيمها فحكت لنا صور الحبائب

حضر الشراب فلم يطب شرب الشراب وانت غائب

وما كان أجدر أبا فراس بالتنزه عن ذكر الشرب والشراب في شعره ولعله كان يجري في ذلك على سنن الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ويصفون ما لا يتعاطون . قال وتأخر عن مجلس سيف الدولة

(١) في نسخة الديوان المطبوعة خلط الطابع بين قصة المغنية البغدادية وقصة ابي عبد الله ابن المنجم فجعلها واقعة واحدة وهما واقعتان كما ذكرناه ـ المؤلف ـ

لةلة وجدها فكتب اليه :

لقد نافسني الدهر   بتأخيري عن الحضره
فما ألقى من العلـ   ـة ما ألقى من الحسره

وفي الديوان اهدى الناس الى سيف الدولة في بعض الأعياد فأكثروا فاستشار أبو فراس فيما يهديه فكل أشار بشيء فخالفهم وكتب اليه . واقتصر في اليتيمة على قوله اهدى الناس الى سيف الدولة فأكثروا فكتب اليه ابو فراس :

نفسي فداؤك قد بعثـ   ـت بعهدتي بيد الرسول
أهديت نفسي انما   يهدى الجليل الى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي   صلة المبشر بالقبول
لما رأيتك في الأنا   م بلا مثيل أو عديل

ووقع بين أبي فراس وبعض بني عمه وهو صبي قتال فخرج معه سيف الدولة بالتعتب فقال أبو فراس وفي اليتيمة أنه كتب الى سيف الدولة يعاتبه :

اني منعت من المسير اليكم   ولو استطعت لكنت أول وارد
أشكو وهل أشكو جناية منعم   غيظ العدو به وكبت الحاسد
قد كنت عدتي التي أسطو بها   ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فرُميت منك بغير ما أملته   والمرء يشرق بالزلال البارد
لكن أتت بين السرور مساءة   وصلت لها كف القبول بساعد

فصبرت كالولد التقي لبره يغضي على ألم لضرب الوالد
ونقضت عهداً كيف لي بوفائه ومن المحال صلاح قلب فاسد

وكان لسيف الدولة غلام اسمه نجا قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان والكفران وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه فشق ذلك على سيف الدولة وأمر بقتل قاتليه فكتب اليه أبو فراس:

مازلت تسعى بجد برغم شانيك مقبل
ترى لنفسك أمراً وما يرى الله افضل

ووجد سيف الدولة على بعض بني عمه فكتب اليه أبو فراس يستعطفه:

ان لم تجاف عن الذنو ب وجدتها فينا كثيرة
لكن عادتك الجميـ لة ان تغض على بصيره

وقال لسيف الدولة ولا يوجدان في الديوان المطبوع:

ومالي (١) لا أثني عليك وطالما وفيت بعهدي والوفاء قليل
وأوعدتني حتى اذا ما ملكتني صفحت وصفح المالكين جميل

قال ابن خالويه: في شرح ديوان أبي فراس لما قتل الصباح مولى عمارة الحرفي وكان سيف الدولة قلده قنسرين فقصد قاتليه مطالباً لهم

---

(١) ابتداء الكلام بالواو غير صحيح لعدم تقدم معطوف عليه ووقع ذلك في شعر ابي فراس كثيراً وعادة العرب في مثله حذف الواو وان نقص الوزن قال الحماسي
اني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عمي الصدق شمس بن مالك
ومثله في ديوان الحماسة كثير ويسمى عند أهل العروض مخروما ـ المؤلف ـ

بدمه ثم كف عنهم عن قدرة وقررهم بالجزيرة بتوسط ابي فراس فقال ابو فراس: (وما نعمة مكفورة قد صنعتها) البيتين المتقدمين.

قال وقد تأخر عن سيف الدولة في بعض غزواته. ولا توجد في المطبوع:

دع العبرات تنهمر انهمارا ونار الشوق تستعر استعارا
أتطفأ حسرتي وتقر عيني ولم أوقد مع الغازين نارا
أظن الصبر ابعد ما يرجى اذا ما الجيش بالسارين سارا
أقمت عن الامير وكنت ممن يعز عليه فرقته اختيارا
وقد ثقفت للهيجاء رمحي وأضمرت المهاري والمهارى
وكان اذا دعا للأمر حفت به الفتيان تبتدر ابتدارا
بخيل لا تعاند من عليها وقوم لا يرون الموت عارا
اذا سار الامير فلا هدوأ لنفسي أو يؤوب ولا قرارا
أكابد بعده هما وغما ونوما لا أكابده غرارا
وكنت به أشد ذرى وبطشاً وأبعدهم إذا ركبوا مغارا
أشق وراءه الجيش المعنى وأخرق خلفه الرهج المثارا
ستذكرني اذا اطردت رجال دققت الرمح بينهم مرارا
وأرض كنت أملؤها خيولا وجو كنت أرهجه غبارا
فاشفي من طعان الخيل صدري وأدرك من صروف الدهر ثارا
لعل الله يعقبني صلاحا قديماً أو يقيلني العثارا

اذا بقي الأمير قرير عين فديناه اختياراً لا اضطرارا
أب بر ومولى وابن عم ومستند اذا ما الخطب جارا
يمد على أكابرنا جناحاً ويكفل عند حاجتها الصغارا
أراني الله طلعته سريعاً وأصحبه السلامة حيث سارا
وبلغه أمانيه جميعاً وكان له من الحدثان جارا

وقال يهنئ سيف الدولة بولديه أبي المعالي شريف وابي المكارم وليست في الديوان المطبوع :

يهني الامير بشارة قرت بها عين المكارم
اعلا الورى قدراً وخيـ ـرهم يسر بخير قادم
اني وان كنت المشا رك في الابوة والمساهم
لأقول قولا لا يرد ولا يرى لي فيه لائم
لأبي المعالي في العلا وأبي المكارم في المكارم
بيت رفيع سمكه عالي الذرى ثبت الدعائم

وكتب الى سيف الدولة وقد بلغه نزول العدو على الحدث فسار سيف الدولة مسرعا حتى سبقه اليها وقد كان سيف الدولة بعيداً عنها موغلا في بلاد الروم فقال ابو فراس هذه القصيدة

دعوناك والبحران(١) دونك دعوة اتاك بها يقظان فكرك لا البرد

(١) في بعض النسخ والهجران والظاهر انه تصحيف والبحران لا يبعد ان يكون المراد بها نهران من الأنهار العظيمة ـ المؤلف ـ

فاصبحت ما بين العدو وبيننا(١) تجاري بك الخيل المسومة الجرد
اتيناك ادنى ما يجيبك جهدنا واهون سير الخيل من تحتنا الشد
بكل نزاري أتتك بشخصه عوادي من حاليك ليس لها رد
وحمر سيوف لا تجف لها ظبى بايدي رجال لا يحط لهم لبد
وزرق تشق السرد عن مهج العدى وتسكن منهم اية سكن الحقد
ومصطحبات قارب الركض بينها ولكن بها عن غيرها ابدا بعد
نشردهم ضرباً كما شرد القطا وننظمهم طعنا كما نظم العقد
لئن خانك المقدور فيما بنيته(٢) فما خانك الركض المواصل والجهد
تعاد كما عودت والهام صخرها ويبنى بها المجد المؤثل والحمد
ففي كفك الدنيا وشيمتك العلا وطائرك الأعلاء وكوكبك السعد

قال ابن خالويه كان بنو عقيل ونمير وكلاب قد عاثوا في عمل سيف الدولة واشتدوا فانفذ ابا فراس في بعض السرايا فظفر ونصر فكتب الى سيف الدولة :

اضارب الجيش بي في وسط مفرقه لقد ضربت بعين الصارم القضب
لا تحرز الدرع مني نفس صاحبها ولا اجيز ذمام البيض واليلب
ولا اعود برمحي غير منحطم ولا اروح بسيفي غير مختضب

(١) لعل معناه انك تقدمت نحونا حتى صرت بين العدو وبيننا وقد كان العدو بيننا وبينك لانه كان موغلا في بلاد الروم. (٢) يشير الى الحدث التي كان قد بناها سيف الدولة . ـ المؤلف ـ

حتى تقول لك الاعداء راغمة هذا ابن عمك أضحى فارس العرب
هيهات لا أجحد النعماء منعمها خلفت يا ابن أبي الهيجاء في أبي
يامن يحاذر أن تمضي علي يد مالي أراك لبيض الهند تسمح بي
وانت بي من أضن الناس كلهم فكيف تبذلني للسمر والقضب
ما زلت أجهله فضلاً وأنكره واوسع النفس من عجب ومن عجب
حتي رأيتك بين الناس محتفيا تثني علي بوجه غير متئب (١)
فعندها وعيون الناس ترمقني علمت أنك لم تخطيء ولم أصب

وقال ابن خالويه أيضا في شرح ديوان أبي فراس : ندب سيف الدولة أبا فراس في سنة ٣٤٥ لبناء رعبان (٢) وقد اخربتها الزلازل . وياقوت يقول خربتها الزلزلة سنة ٣٤٠ فانفذ سيف الدولة أبا فراس في قطعة من الجيش فاعاد عمارتها فيكون قد عمرها بعد خرابها بخمس سنين فبناها في ٣٧ يوما ووافى قسطنطين ابن الدمستق ليزيله عنها فرده الله بغيظه وفي ذلك يقول الشاعر (احد شعراء سيف الدولة)

ارضيت ربك وابن عمك والقنا وبذلت نفسا لم تزل بذالها
وبنيت مجداً في ذؤابه وائل لو طاولته بنات نعش طالها

(١) غير مستحي ولا منقبض (٢) رَعْبان بفتح الراء وسكون العين المهملة وبالباء الموحدة وآخره نون مدينة بين حلب وسميساط قرب الفرات وبها قلعة تحت الجبل ـ المؤلف ـ

رد الجيوش وقد اتتك ذليلة طعن ينكب بينها ابطالها
وتركت رعبانا بما اوليتها تثني عليك سهولها وجبالها

وفي ذلك يقول ابو فراس في رائيته الطويلة مشيراً إلى سيف الدولة

وان معاليه لكثر غوالب وان اياديه لغر غزائر
ولكن قولي ليس يغفل (يعضل) عن فتى على كل قول من معانيه خاطر
الاقل لسيف الدولة القرم انني على كل شيء غير وصفك قادر
فلا تلزمني خطة لا أطيقها فجدك غلاب وفضلك باهر
ولو لم يكن فخري وفخرك واحداً لما سار عني بالمدايح سائر
ولكنني لا أغفل (لا اعضل) القول عن فتى اساهم في عليائه واشاطر
وعن ذكر ايام مضت ومواقف مكاني منها بين الفضل ظاهر
مساع يضل القول فيهن كله وتهلك في اوصافهن الخواطر
بناهن باني الثغر والثغر دارس وعامر دين الله والدين داثر

واين ابو فراس في شجاعته واقدامه من احمد بن عبد الله التنوخي في جبنه وتأخره عن المسير مع أبي فراس الى رعبان جبنا وخوفا .

قال ابن خالويه كان ابو فراس انكر على احمد بن عبد الله التنوخي الشاعر تأخره عن المسير معه الى رعبان و كان جبانا فكتب التنوخي الى ابي فراس قصيدة منها

ايا بدر السماء بلا محاق ويا بحر السماح بغير شاطي

أأترك ان ابيت قرير عين | لقى بين الدساكر والبواطي
واخرج نحو رعبان كأني | بمنبج قد دعيت الى سماط
احاذر من دواه مؤبدات | هنالك ان يقعن على قماطي
واكتب ان كتبت اليك يوما | كتبت اليك من دار العلاطي(١)

الوحشة بين ابى فراس وسيف الدولة

لا يعرف بين ابي فراس وسيف الدولة شيء من الوحشة قبل اسر ابي فراس في المرة الثانية بل سيف الدولة يعبر عنه بسيدي كما مر وهو الأمير المربي لابي فراس وابو فراس يخاطبه خطاب التابع للمتبوع ويتواضع له غاية التواضع كما مر ولا يوجد شيء يمكن ان يفهم منه حصول وحشة بينهما قبل اسر ابي فراس للمرة الثانيه الا مامر عن اليتيمة من انه كتب الى سيف الدولة يعاتبه بقوله من ابيات

قد كنت عدتي التي اسطو بها | ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما املته | والمرء يشرق بالزلال البارد

لكن جامع ديوانه يقول كما مر ان ذلك لقتال وقع بينه وبين بني عمه وهو صبي ويظهر للمتأمل في مجاري الأحوال انه كان قد حصل بينهما شيء من الوحشة بعد وقوع ابي فراس في الأسر ولم يشر احد من المؤرخين الى ذلك صريحاً ولكن يمكن فهمه ضمنا من بعض

---

(١) لعل دار العلاطي هي بارض الروم فخاف ان يؤسر فيكتب اليه منها . - المؤلف -

مانقلوه قال ابن خالويه تأخرت كتب سيف الدولة عن ابي فراس وهو في الأسر وذلك انه بلغه ان بعض الاسراء قال ان ثقل على الامير هذا المال كاتبنا فيه صاحب خراسان وغيره من الملوك وذلك انهم قرروا مع ملك الروم اطلاق اسراء المسلمين بما يحملونه من المال فاتهم سيف الدولة ابا فراس بهذا القول لضمانه المال للروم وقال من اين يعرفه صاحب خراسان فقال القصيدة التي اولها (اسيف الهدى وقريع العرب) وتأتي في الروميات. فالظاهر ان هذا هو السبب في استيحاش سيف الدولة منه وتأخيره فداءه وهذا السبب كاف في حصول الوحشة والنفرة ويدل عليه قول ابي فراس من قصيدة

امثلي تقبل الاقوال فيه ومثلك يستمر عليه كذب

ولكن صاحب اليتيمة يقول ان ابا فراس كتب الى سيف الدولة: مفاداتي ان تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة اهل خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في امري فاجابه سيف الدولة بكلام خشن وقال ومن يعرفك بخراسان فكتب اليه ابو فراس (اسيف الهدى وقريع العرب) الا ان ابن خالويه اعرف بأخبار الاميرين من الثعالبي لوجوده في بلاط سيف الدولة ومزيد خلطته به وبأبي فراس ويمكن ان يكون احد الوشاة ابلغ سيف الدولة شيئاً عن ابي فراس حقاً او باطلا والله اعلم.

والذي يدل على حصول شيء من الوحشة بينهما ان ابافراس

أسرته الروم كما مر سنة ٣٥١ من منبج وحملته الى القسطنطينية فبقي مأسوراً فيها اربع سنين وهو يخاطب سيف الدولة في أشعاره ويتوسل اليه في الفداء ويرسل اليه القصيدة تلو القصيدة ويخاطبه في قصائده بما يلين الجلمود فلا يرق له ولا يفديه . وتحضر امه من منبج الى حلب تتوسل اليه وتتضرع في فداء ولدها فلا يبذله لها ولا يجيبها اليه ويردها خائبة فتموت وهو في الأسر فيرثيها بمرثية تقطع القلوب ويرسل الى ولدي سيف الدولة وهو خالهما يتضرع اليهما بكلام يرقق قلوب الاجانب فضلا عن الأقارب ويسألهما ان يسألا اباهما في فدائه فلم يجد ذلك ويستأذنه ابو فراس على رواية اليتيمة لما طال عليه الاسر في ان يراسل ملوك خراسان في فدائه فيقول سيف الدولة ومن يعرفه في خراسان ويجيبه بجواب خشن ومن يعرفك بخراسان فهل كان سيف الدولة عاجزاً عن فدائه في كل هذه المدة وهو يقطعه منبج التي تغل الف دينار لبيت يقوله او ان ابا فراس ليس أهلا لان يفدى . أو أن سيف الدولة لا تعطفه عليه عاطفة رحم ولا غيره وهو ابن عمه وخال اولاده وبمنزلة ولده وقائد جيوشه ومن أسر في سبيل تشييد ملكه والذب عن الوطن والاسلام وهو يعبر عنه بالامس بقوله سيدي . كل هذا يدلنا على ان في الامر شيئا. وكتب الى سيف الدولة من الأسر :

ايا عاتبا لا أحمل الدهر عتبه علي ولا عندي لانعمه جحد
سأسكت اجلالا لعلمك أنني اذا لم تكن خصمي لي الحجج اللد

فهل كان يا ترى ذلك العتب في بعض هذه الأمور وقصيدته البائية المتقدمة التي أرسلها الى سيف الدولة من الاسار وقد بلغ ابا فراس عن سيف الدولة ما انكره مملوءة بالعتاب الدال على تهاون سيف الدولة بأمره كقوله فيها :

بمن يثق الانسان فيما ينوبه ومن أين للحر الكريم صحاب
وما ادعي ما يعلم الله غيره رحاب علي للعفاة رحاب
ولكن نبا منه بكفي صارم واظلم في عيني منه شهاب
فان لم يكن ود قديم نعده ولا نسب دون الرجال قراب
فأحوط للاسلام ان لاتضيعني ولي عنك فيه حوطة ومناب
امن بعد بذل النفس فيما تريده أثاب بمر العتب حين اثاب

وقال في بعض ما ارسله الى سيف الدولة من الأسر :

وان اوجعتني من اعادي شيمة لقيت من الأحباب ادهى واوجعا
تنكر سيف الدين لما عتبته وعرض بي تحت الكلام وقرعا

وهو يقول في داليته التي قال جامع ديوانه انه يعرض فيها ببعض اهله :

وهل نافعي ان عضني الدهر مفرداً اذا كان لي قوم طوال السواعد
وهل انا مسرور بقرب اقاربي اذا كان لي منهم قلوب الاباعد

لكن لم يتعين ان ذلك البعض هو سيف الدولة بل الظاهر انه غيره.
وفيما كتبه اليه من الاسر قوله :

وعيش العالمين لديك سهل   وعيشي وحده بفناك صعب
وانت انت دافع كل خطب   مع الخطب الملم علي خطب

ويقول في أبياته التي أرسلها لغلاميه منصور وصاف من الأسر مخاطباً سيف الدولة :

بلى ان لي سيدا   مواهبه اكثر
بذنبي اوردتني   ومن فضلك المصدر

فقد اعترف بذنب له اليه جازاه به وكتب اليه من الاسر أبياتا أولها :

جنى جان وأنت عليه حان   وعاد فعدت بالكرم الغزير

وآخرها :

ومثل ابي فراس من تجافى   له عن فعله مثل الامير

فما هو هذا الذنب وما هي هذه الجناية ؟ ليس في يدنا من التواريخ ما يفصلها ولا ما يدل على ذنب وجناية له غير قوله : مفاداتي ان تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة اهل خراسان ليفادوني ـ ان صح ان يسمى ذلك ذنباً وجناية .

ومما يلفت النظر ان سيف الدولة كتب اليه يعتذر من تأخير امره وتشوقه وكأنه أراد ان يحفظ خط الرجعة فيؤخر فداءه ويعتذر اليه ولكن هذا العذر بظاهر الحال غير مقبول فما كان سيف الدولة عاجزاً عن تقديم فدائه واي عذر له في تأخير امره ولذلك لم يقبل ابو

فراس هذا العذر و كتب اليه :

بالكره مني واختيارك ان لا أكون حليف دارك
يا تاركي اني لشكـ ـرك ما حييت لغير تارك
كن كيف شئت فانني ذاك المواسي والمشارك

والذي يغلب على الظن أن تأخير سيف الدولة مفاداة أبي فراس كان لامر سياسي خطير هان معه أمر تأخير فدائه مع كونه من أهم المهمات ولكن أبا فراس لضيق صدره من الاسر وطول مدته فيه كان يلح على سيف الدولة في مفاداته وينسبه الى التهاون في ذلك فان الحالة التي كان فيها ابو فراس في أسره لا يمتنع معها ان يصدر منه العتب واللوم لسيف الدولة ويظن ان ذلك لذنب نسبه سيف الدولة اليه مع كون سيف الدولة معذورا في أمره وربما دل على ذلك مامر عن ابن خالويه ان سيف الدولة امتنع من اخراج ابن اخت الملك الا بفداء عام وحمل أبو فراس الى القسطنطينيه فقال قصيدة يعاتب بها سيف الدولة . فهذا يدل على أن تأخير الفداء كان لطلب فداء عام نجهل تفصيله. كما نجهل تفصيل هذه الامور من جميع نواحيها . ويدل على ما قلناه مافي معجم البلدان من ان سيف الدولة جمع في سنه ٣٥٥ الأموال وفدى اسرى المسلمين من الروم و كان فيهم . ابو فراس ابن حمدان وغيره من اهله وابى ان يفديهم ويترك غيرهم من المسلمين اهـ . لكن الأمر الذي لا يخلو من استغراب ان سيف الدولة مات

بعد خلاص ابي فراس من الأسر بسنة فلم يرثه ابو فراس ولو رثاه لوجد ذلك في ديوانه فهل يا ترى بقي اثر هذه الوحشة في نفس الأميرين او احدهما .

اخباره في الاسر

قال ابن خلكان قال ابو الحسن علي بن الزراد الديلمي : كانت الروم قد أسرت ابا فراس في بعض وقائعها وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ونقلته الى خرشنة بلدة بالروم على الساحل ثم منها الى قسطنطينية وذلك في سنة ٣٤٨ وفداه سيف الدولة في سنة ٣٥٥ قال ابن خلكان قلت هكذا قال وقد نسبوه في ذلك الى الغلط وقالوا أَسر أبو فراس مرتين فالمرة الاولى بمغارة الكحل سنة ٣٤٨ وما تعدوا به خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها وفيها يقال انه ركب فرسه وركضه برجله فاهوى به من أعلى الحصن الى الفرات (١) والله اعلم والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة ٣٥١ وحملوه الى قسطنطينية وأَقام في الاسر أربع سنين وله في الاسر أشعار كثيرة اهـ. وقال ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة ٣٥١ فيها في شوال أَسرت الروم أَبا فراس بن سعيد بن حمدان من منبج وكان متقلداً لها وقال في

(١) هذا مستبعد بل ممتنع عادة فما الذي اصعد الفرس الى أعلى الحصن والاسير لا يكون معه فرس ليركبه والمشهور على الالسنة انه استعصى على الروم فرس فطلبوا اليه ان يروضه ويمكن ان يكون ذلك في اسفل الحصن وهو مكشوف من جهة الفرات فاقحمه فيه والله أعلم . ـ المؤلف ـ

حوادث سنة ٣٥٥ فيها تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف الدولة ابن عمه أبا فراس بن حمدأن وأبا الهيثم ابن القاضي أبي الحصين اه. فيكون أبو فراس أقام في الأسر في المرة الثانية أربع سنين أما في المرة الاولى فلم تطل مدته وتخلص من خرشنة . ويدل شعره الذي أرسله الى سيف الدولة أول ما أسر أنه لقي الروم وهم الف بسبعين من أصحابه لا يرتضيهم فاسر ويدل شعره في تلك القصيدة وغيرها على أنه كان يمكنه الهرب أو الانحياز عن الروم فلم يفعل كما مر تفصيله عند ذكر شخصيته، وبذلك صرح ابن خالويه فقال خرج بردس البطريق وهو ابن اخت الملك في الف فارس من الروم الى نواحي منبج ـ وكانت اقطاعا لأبي فراس ـ فصادف الامير أبا فراس يتصيد في سبعين فارسا فاراده أصحابه على الهزيمة فابى وثبت حتى أثخن بالجراح فاسر اه .

اشتد على ابي فراس المه من الأسر وضاقت به نفسه وحزن لذلك . فكانت دموعه تلك القوافي الخالدة التي تبكي المنشد وتشجي السامع والتي هي غرة في جبين الشعر وقلادة في جيد الدهر . ومن الطبيعي ان يعرض مثل ذلك لمثله فبينما هو امير اذاهو اسير وبينما هو حاكم اذا به محكوم عليه وزاد صدره حراجة ان البطارقة قيدوا عيا فارقين فقيد هو بخرشنة وهو يسار به الى القسطنطينية اسيراً وكيف يطيق الليث ان يصفد ويحتمل ان يحبس ويذل ويمتهن فلا بدله من ان يزأر ان لم يستطع الفتك بخصمه ولعمري ليست نفس الأسد باكبر

من نفس ابي فراس ولا شمم الليث واباؤه باعظم من شمم الحارث واباته وابو فراس الحارث هو الليث افعالا ونفسا واسما وكنية وطال بابي فراس أساره واعتل في اثناء ذلك حتي يئس من نفسه واذا كان في مثل هذه الحال فيمن يستنجد وممن يطلب الفداء وتفريج الكرب ليس الا من أمير اسرته ومن يمت اليه بالقرابة القريبة وبالنصرة في الحروب والمواساة في السراء والضراء وهو ابن عمه سيف الدولة امير بني حمدان فيكتب اليه اول ما اسر بقوله :

دعوتك للجفن القريح المسهد — لدي وللنوم القليل المشرد

ثم لا يلبث ان يستدرك بعد هذا البيت بلا فاصل فيبين ان ذلك ليس لحب الحياة وخوف الموت بل ذلك لأمر يعود الى عزة النفس فيقول :

وما ذاك بخلا بالحياة وانها — لأول مبذول لأول مجتدي

ولكنني اختار موت بني ابي — على صهوات الخيل غير موسد

ويطلب من سيف الدولة ان يفديه لكن لا يطلب ذلك بذلة وضراعة بل يطلبه بكل انفة وحمية فانه اهل لأن يفدى وحق على سيف الدولة ان يفديه وفداؤه يعود بالعز والفخر والنصر عليه وعلى بني حمدان فيقول :

فان تفتدوني تفتدوا لعلاكم — فتى غير مردود اللسان ولا اليد

يطاعن عن احسابكم بلسانه — ويضرب عنكم بالحسام المهند

وتثور بأبي فراس ثائرة الاسف من تحكم آسريه به فيقول فيما كتب به الى سيف الدولة :

الى الله اشكو اننا في منازل تحكم في آسادهن كلاب

ويتأسف لما فاته بسبب الاسر من افعال الخير وبذل الجود ومقارعة الفرسان فيقول :

تمر الليالي ليس للنفع موضع لدي ولا للمعتفين جناب
ولا شد لي سرج على ظهر سابح ولا ضربت لي بالعراء قباب
ولا برقت لي في اللقاء قواطع ولا لمعت لي في الحروب حراب

وتشتد به العلة فيكتب الى سيف الدولة من درب الروم وهو يسار به اسيراً الى القسطنطينية فيقول متحزناً متفجعاً

هل تعطفان على العليل لا بالأسير ولا القتيل
باتت تقلبه الأكف سحابة الليل الطويل

ثم تعود به عاطفة الكرم والشجاعة الى ان يقول

فقد الضيوف مكانه وبكته ابناء السبيل
وتقطعت سمر الرماح واغمدت بيض النصول

ومر ابو فراس وهو اسير بالبلاد التي كان يحل فيها غازيا وهو امير ومن الطبيعي ان يتألم لذلك وهذه عادة الزمان في أهله فقال مشيراً الى ذلك :

ان زرت خرشنة اسيرا فلكم حللت بها مغيرا

ولقد رأيت النار تنـ ـترق المنازل والقصورا
ولقد رأيت السبي يجـ ـلب نحونا حوا وحورا
نختار منه الغادة الـ ـحسناء والظبي الغريرا
ان طال ليلي في ذرا ك فقد نعمت به قصيرا
ولئن لقيت الحزن فيـ ـك فكم لقيت بك السرورا
ولئن رميت بحادث فلألفين له صبورا
من كان مثلي لم يبت الا اميرا او أسيرا
ليست تحل سراتنا الا الصدور او القبورا

قال ابن خالويه قال ابو فراس اخذته من كلام عمي الحسين ابن حمدان وقد بنى اخوه ابراهيم بن حمدان منزلا بخمسين الف دينار فقال له في بناء منزل تصرف خمسين الف دينار لا نزلته ابداً ولا نزلت الا دار الامارة . وكرر أبو فراس ذكر هذا المعنى فقال :

ونحن اناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين او القبر

قال ابن خالويه : بلغ ابا فراس ان الروم قالوا ما أسرنا احدا ولم نسلبه سلاحه غير أبي فراس وقولهم هذا مع أن فيه اظهار الميزة والاحترام لأبي فراس لم ترض به نفسه وعده منة عليه ونفسه لا تقبل منة أحد فقال من قصيدة :

يمنون ان خلوا ثيابي وانما علي ثياب من دمائهم حمر
وقائم سيف فيهم دق نصله واعقاب رمح فيهم حطم الصدر

ثم وصل ابو فراس الى القسطنطينية وبعد وصوله ولقائه ملك الروم قرر معه الفداء وكتب بذلك إلى سيف الدولة فتأخرت اجوبة كتبه فكتب اليه ابو فراس يعتب عليه ويستبطىء أمره فوجد سيف الدولة من ذلك وقرعه في كتابه اليه والى غيره ، وعند ذلك ضاقت بابي فراس نفسه فهو أسير بعيد عن وطنه واهله وقد قرر أمراً مع ملك يجله ويحترمه ويرى ان بيده انفاذ ماقرره معه ثم يجد انه لم يقدر على انفاذه فما يكون موقفه مع ملك الروم وبماذا يعتذر اليه عن تأخير انفاذ ما قرره ثم يكتب الى سيف الدولة يعاتبه ويستبطئوه كما يعاتب ابن العم ابن عمه وكما يستبطئ القائد رئيسه ويطلب منه التعجيل ويتوقع الجواب بالايجاب ساعة فساعة وإذا بالجواب يرد عليه بالتقريع فكم يكون المه عندئذ وزاد في الامه الكتاب الى غيره بتقريعه وسواء أكان تأخير انفاذ ذلك من سيف الدولة لامر سياسي ومصلحة مهمة اقتضت التأخير أم لأمر آخر اوجب غضب سيف الدولة مما فعله أبو فراس فذلك لايدفع تألم ابي فراس الشديد مما حصل فكتب الى سيف الدولة قصيدة ملؤها التألم والحزن وغير خفي حراجة مثل هـذا الموقف على الشاعر فما في نفسه من الألم يبعثه على الشكوى الشديدة من سيف الدولة وخوف ازدياد غضبه يحمله على لين القول وحسن الاعتذار فهو بين داعيين يتجاذبانه ويقف حائراً الى ايهما يميل يقول فيها مشيراً الى سيف الدولة والى ما مضى من أيام شبابه في خدمته :

وهبت شبابي والشباب مضنة ... لأبلج من ابناء عمي اروعا
ابيت معنى من مخافة عتبه ... واصبح محزونا وامسي مروعا

ثم يبث مايجده في نفسه من الحزن والألم فيقول :

اما ليلة تمضي ولا بعض ليلة ... اسر بها هذا الفؤاد المفجعا

ثم يعرض بالشكاية من سيف الدولة بما يقرب من التصريح فيقول :

اما صاحب فرد يدوم وفاؤه ... فيصفي لمن اصفى ويرعى لمن رعى
افي كل دار لي صديق اوده ... اذا ما تفرقنا حفظت وضيعا
اقمت بارض الروم عامين لا ارى ... من الناس محزونا ولا متصنعا

ثم يصرح فيقول :

تنكر سيف الدين لما عتبته ... وعرض بي تحت الكلام وقرعا

ثم يعتذر ويتوسل فيحسن التوسل فيقول :

فقولا له من صادق الود انني ... جعلتك مما رابني منك مفزعا

ويظهر أن من الناس من أوعز الى سيف الدولة بالاستغناء عن ابي فراس وانه يوجد من يقوم مقامه وانه استعاض عنه بغيره أو شيء مما هو من هذا القبيل فقال يرد ذلك ويفنده :

لقد قنعوا بعدي عن القطر بالندى ... ومن لم يجد إلا القنوع تقنعا
وما مر إنسان فاخلف مثله ... ولكن يرجي الناس امراً مرقعا
فلا تغترر بالناس ما كل من ترى ... اخوك اذا اوضعت في الأمر اوضعا

ولا تتقلد ما يروقك حليه تقلد اذا حاربت ما كان اقطعا
ولا تقبلن القول من كل قائل سأرضيك مرأى لست ارضيك مسمعا

ثم يذكر استبداله به ذكر الآسف المغبون الذي يبرز اسفه بعبارة الدعاء واظهار الرضا التي ظاهرها ذلك وملؤها الأسف والوجد فيقول

وان يستجد الناس بعدي فلا يزل بذاك البديل المستجد ممتعا

ثم يبدي عذر سيف الدولة بكلام من لا يسعه الا إبداء العذر ونفسه منطوية على خلاف ذلك فيقول

فان يك بطوء مرة فلطالما تعجل نحوي بالجميل واسرعا
وان يجف في بعض الأمور فانني لاشكره النعمى التي كان اوزعا

ولما كان في اسر الروم امر الملك ان الأسرى يتزاورون يوم السبت فقال ابو فراس

جعلوا الالتقاء في كل سبت فجعلناه للزيارة عيدا
وشركنا اليهود فيه فكدنا رغبة ان نزيل عنه اليهودا
يرقبون المسيح فيه وما نر قب الا اخا جليلا ودودا
لو قدرنا وعل ذاك قريب ماعدمنا بالقرب عيدا جديدا

اراد بقوله وما نرقب الا اخا الخ اخاه ابا الفضل فانه كان من جملة الأسرى وفي نسخة مخطوطة من الديوان انه لم يتركه مع الأسرى اكراما له اي أفرده بمكان وحده وكأن ابا الفضل كان قد ابطأ عن

زيارة ابي فراس فكتب اليه ابو فراس يعاتبه ويذكر ان له مانعاً من زيارته والا لما تركها فقال

أتترك اتيان الزيارة عامدا ... وانت عليها لو تشاء قدير
وعيشك لولا ماعلمت لما ونت ... الى الدار مني روحة وبكور
فلم كان رأيي في لقائك نافذا ... ورأيك فيه ونية وفتور
يضيق علي الحبس حتى تزورني ... فما هو الا روضة وغدير
صبرت على هذي فما انا بعدها ... على غيرها مما كرهت صبور

ولما حصل بالقسطنطينية أكرمه ملك الروم وبجله وعرف له حق الفضل والامارة فافرده بدار وأخدمه ولم يعامله معاملة باقي الأسرى وكذلك أكابر دولته كانوا إذا رأوه أو مرَّ عليهم قابلوه بالتعظيم فكفروا له أي تكتفوا كما يفعلون مع عظمائهم . وعرض عليه الملك الفداء منفرداً فلم يقبل حتى فادى جميع أسرى المسلمين وضمن الفداء عنهم وجاء بهم معه. قال ابن خالويه قال ابو فراس لما حصلت بالقسطنطينية أكرمني ملك الروم إكراماً لم يكرمه أسيراً من قبلي وذلك أن من رسومهم أن لا يركب أسير في المدينة دابة قبل لقاه للملك وان يمشي في ملعب لهم يعرف بالبطوم مكشوف الرأس ويسجد فيه ثلاث ساعات أو نحوها ويدوس الملك رقبته في مجمع لهم يعرف بالنوري فاعفاني من جميع ذلك ونقلني لوقتي الى دار وجعل لي برطنان يخدماني وأمر باكرامي ونقل إليَّ من أردته من أسارى المسلمين وبذل لي المفاداة مفرداً فكرهت

بعد ما وهبه الله لي من العافية ورزقنيه من الكرامة والجاه أن أختار نفسي على المسلمين وشرعت مع ملك الروم بالفداء ولم يكن الأمير سيف الدولة يستبقي اسارى الروم فكان في ايديهم فضلة ثلاثة آلاف أسير ممن اخذ من الاعمال والعساكر «أي أنه في ذلك الوقت كان في أسر الروم ثلاثة آلاف من المسلمين ولم يكن عند سيف الدولة احد من أسارى الروم لانه لم يكن يستبقي اسارى الروم عنده بل إذا كان عند الروم أسارى بعددهم فاداهم بهم وإلا أخذ الفداء وأطلقهم فلما أسر الروم هؤلاء الثلاثة الآلاف لم يكن عند المسلمين مقابلهم» قال أبو فراس فابتعتهم بمائتي الف دينار رومية وفي رواية عن ابن خالويه بمائتين وأربعين الفاً ومائتي دينار رومية على أن يوقع الفداء واشتري هذه الفضلة فضمنت المال والمسلمين وخرجت بهم من القسطنطينية وتقدمت بوجوههم إلى خرشنة ولم يعقد قبلها قط فداء مع أسير ولاهدنة فقال:

ولله عندي في الاسار وغيره ... مواهب لم يخصص بها أحد قبلي
حللت عقوداً أعجز الناس حلها ... ومازلت لاعقدي يذم ولاحلي
اذا عاينتني الروم كفر صيدها ... كأنهم أسرى لدي وفي كبلي
وأوسع أياماً حللت كرامة ... كأني من أهلي نقلت الى أهلي
فابلغ بني عمي وقل لبني ابي ... باني في نعماء يشكرها مثلي
وماشاء ربي غير نشر محاسني ... وان يعرفوا ماقد عرفتم من الفضل

ويظهر من هذا الخبر أنه عقد الهدنة والمفاداة بنفسه مع ملك الروم

وضمن له المال وجاء بالاسرى معه فهل كان ذلك يا ترى بأمر سيف الدولة وبعلمه بعد ما استأذنه فاذن له في المفاداة وهل دفع المال سيف الدولة وأرسله اليه او رضي ملك الروم بضمانه وبقي في عهدته حتى رجع واخذه من سيف الدولة وارسله او دفعه ابو فراس من ماله لم يصرح المؤرخون بشيء من ذلك لكن ظاهر الحال يدل على ان الفداء بامر سيف الدولة وباذنه وانه هو الذي دفع المال معجلا او مؤجلا ولو كان لأبي فراس مال لفدى نفسه من اول الامر وينبغي أن يكون ذلك بعد ما أبطأ عليه سيف الدولة بالجواب ووقعت بينهما الوحشة كما مر ثم عاد فبذل الفداء ولم تطل مدة سيف الدولة بعد هذا الفداء فتوفي بعده بسنة .

أخباره مع المتنبي

في اليتيمة كان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته وانما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالا لا إغفالاً وإخلالاً اه . (أقول) اما انه كان يشهد له بالتقدم فربما يساعد عليه ما في الصبح المنبي من أن أحسن قصائد أبي الطيب هو في سيف الدولة وتراجع شعره بعد مفارقته وسئل عن السبب في ذلك فقال قد تجوزت في قولي وأعفيت طبعي واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان وفيهم من يقول :

تسائلني من أنت وهي عليمة ... وهل بفتى مثلي على حاله نكر

إلى نهاية عشرة أبيات من هذه القصيدة وفيهم من يقول :

صبور ولو لم تبق مـني بقية   قؤول ولو ان السيوف جواب

الى نهاية أربعة أبيات من هذه القصيدة يعني ابا فراس ولعل هذا كان منه بعد مفارقة سيف الدولة حيث خفت دواعي الحسد والمزاحمة منه لأبي فراس . واما أنه كان لا يمدحه تهيباً وإجلالاً فغير صواب والعجب صدور مثله من الثعالبي مع معرفته وفضله فانا لم نر ولم نسمع أن شاعراً ترك مدح احد تهيباً وإجلالاً والصواب انه تركه إغفالاً وإخلالاً فانه مما لاريب فيه انه كان بين المتنبي وأبي فراس منافسة ومباعدة ولا نستطيع أن نقول أن سببها المتنبي وحده أو أبو فراس وحده أو هما لا نستطيع الجزم بشيء منها لكننا نعلم ان المتنبي كان بجبلته متعاظماً معجباً بنفسه يدلنا على ذلك تعاظمه عن مدح الوزير المهلبي والصاحب بن عباد الذي بذل له مشاطرة ما يملك وقصته مع الحاتمي مشهورة(١) وكان معجباً بشعره لايرى لشاعر عليه فضلاً بل

(١) الحاتمي هو ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي (نسبة الى أحد اجداده) الكاتب اللغوي البغدادي مذكور في أنساب السمعاني واليتيمة ومعجم الادباء وتاريخ ابن خلكان وغيرها بكل وصف جميل وملخص القصة كما حكاه الحاتمي ان المتنبي لما ورد مدينة السلام منصرفا من مصر التحف رداء الكبر واذال ذيول التيه وصعر خده ونأى بجانبه ثم ذكر أنه ورد عليه فلما رآه المتنبي دخل بيتا لئلا يقوم له ثم جاء اليه فقام الحاتمي وسلم عليه وجلسا واعرض عن الحاتمي وأقبل على قوم يقرؤون عليه شعره ثم وبخه الحاتمي وانتقد عليه أشياء في شعره لم يكن له عنها جواب وقد أوردنا القصة مفصلة في الجزء الثالث من كتابنا معادن الجواهر ص ٧٩ ـ ٩٠   ـ المؤلف ـ

لا يرى ان أحداً يستطيع ان يجري معه في حلبة الشعر فهو يقول بمسمع من أبي فراس :

خليلي مالي لا ارى غير شاعر فكم منهم الدعوى ومني القصائد

ويقول :

أفي كل يوم تحت ضبني(١) شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول

ومن كانت هذه صفته وهذه حاله لا يمكن أن يرى لأبي فراس حقاً ولا يرعى له مكانة ولا يوفيه ما يستحقه من اجلال وتكريم. مع ما ينضاف الى ذلك من كون أبي فراس شاعراً مفلقاً يزاحم المتنبي في المكانة عند سيف الدولة وفي مدح سيف الدولة ووصف حروبه ووقائعه ـ وعدو المرء من يعمل عمله ـ ومن كونه مقرباً عند سيف الدولة بشعره الفائق وشجاعته وبطولته وقيادته لجيوش سيف الدولة مع كونه ابن عمه وخال أولاده وكل ذلك مما يبعث الحسد والكراهة لأبي فراس في نفس المتنبي ويؤدي الى شيء من التقصير في حقه وما كان في الجنان لا بد أن يظهر منه شيء على صفحات الوجه واللسان وأبو فراس مع ما فيه من الامارة والبطولة والشجاعة وقيادة الجيوش والقرب من سيف الدولة وهو في ريعان الشباب ولشعره المكانة السامية في نفس سيف الدولة وشعراء عصره لم يكن مع اجتماع هذه الخلال فيه ليحتمل من المتنبي تقصيراً في حقه وإخلالاً بمكانته رغماً عما طبع عليه من مكارم الاخلاق

(١) الضبن يقرب من الابط ـ المؤلف ـ

فلا جرم أن يقع في نفسه من النفرة من المتنبي والعداوة أكثر مما وقع في نفس المتنبي منه ويؤدي ذلك الى أن يذمه أبو فراس ويقع فيه عند سيف الدولة ولا بد أن يبلغ ذلك المتنبي فيزيد ما في نفسه على أبي فراس فمع كل هذه الاحوال كيف يمكن أن يمدحه المتنبي بل لو أمكنه لجاهر بذمه . هذا هو السبب لعدم مدح المتنبي له مع مدحه من دونه من بني حمدان الذين لم تكن فيهم هذه المزاحمة والمنافسة للمتنبي لا بالشاعرية ولا بغيرها لاما ذكره الثعالبي . ولو لم يرد في هذا السبب شيء من المؤرخين لكفى فيه ما مر سواء اصح ما ذكره المؤرخون ام لم يصح فلسنا بحاجة اليه والذي ذكرناه كاف في بيان السبب في عدم مدح المتنبي له . اما الذي يدل على وقوع النفرة بينهما من كلام المؤرخين فهو ما ذكره صاحب الصبح المنبي عن حيثية المتنبي قال :قال ابن الدهان في المآخذ الكندية قال ابو فراس لسيف الدولة ان هذا المتشدق كثير الادلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان المتنبي غائباً وبلغته القصة فدخل على سيف الدولة وانشد

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا فداه الورى امضى السيوف مضاربا

الى تمام ستة ابيات فاطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته فخرج المتنبي من عنده متغيرا وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا

في الوقيعة بحق المتنبي وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيد التي أولها:

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وانشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

ما لي اكتم حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأمم

ان كان يجمعنا حب لغرته فليت انا بقدر الحب نقتسم

قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا أعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال أبو فراس مسخت قول دعبل وادعيته وهو :

ولست أرجو انتصافاً منك ما ذرفت عيني دموعاً وانت الخصم والحكم(١)

فقال المتنبي :

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم ابو فراس أنه يعنيه فقال ومن أنت يادعي كندة حتى تأخذ اعراض الأمير في مجلسه واستمر المتنبي في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

(١) سيأتي ان هذا المعنى الذي قال ابو فراس ان المتنبي اخذه من دعبل عاد هو فنظمه ـ المؤلف ـ

أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك أبا فراس غيظاً وقال له سرقت هذا من قول عمرو ابن مرة بن العبد :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهراً وأظهرت اغراباً وابداعا
حتي فتحت باعجاز خصصت به للعمي والصم ابصاراً واسماعا

ولما وصل إلى قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال أبو فراس وماذا أبقيت للأمير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير أماسرقت هذا من قول الهيثم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بابن عريان العثماني :

أعاذلتي كم مهمه قد قطعته أليف وحوش سا كنا غير هائب
أنا ابن العلى والطعن والضرب والسرى وجرد المذاكي والقنا والقواضب
حليم وقور في البلاد وهيبتي لها في قلوب الناس بطش الكتائب

فقال المتنبي :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الأنوار والظلم

فقال ابو فراس وهذا سرقته من قول معقل العجلي :

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعينان زور وباطل

وغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة

دعاويه فيها فضربه بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي في الحال :

ان كان سركم ماقال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم ألم

فقال أبو فراس هذا اخذته من قول بشار :

اذا رضيتم بان نجفى وسركم قول الوشاة فلاشكوى ولاضجر

فلم يلتفت سيف الى ماقال ابو فراس واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال وقبل راسه واجازه بالف دينار ثم بالف اخرى . فهذه القصة تدلنا على ما كان يتداخل المتنبي من الكبرياء والتعاظم وما كان يعتمده من الاستخفاف بحق ابي فراس وان هذا وامثاله كان يصده عن مدح ابي فراس لاماقاله الثعالبي . كما انه يدلنا على مالابي فراس من الرواية الواسعة في الشعر .

الموازنة بين ابى فراس والمتنبى

كان لسيف الدولة من الشعراء عدد كثير ولكن شاعرين منهم امتازا عن الجميع مضافا الى جودة الشعر بمصاحبة سيف الدولة في حروبه واكثر حالاته وكلاهما كان ينظم الاشعار في مدايحه ووصف حروبه غاية جهده وقد وصف كل منهما اكثر وقائع سيف الدولة وحضراها وشاهداها بانفسهما وهما ابو فراس والمتنبي ، وان كان مدح المتنبي لطلب العطاء والجوائز ومدح ابي فراس لأمر يغاير ذلك وقد تسهل الموازنة بين الشاعرين إذا نظما في موضوع واحد ولا سيما على وزن واحد وقافية واحدة فان ذلك له الأثر البين في الحكم بينهما .

لاشك أن المتنبي غزير المادة بارع في صناعة الشعر وامتازت مدايحه في سيف الدولة ولا سيما التي فيها وصف وقائعه في الحرب على سائر شعره ولكن المتنبي رغم غزارة مادته وبلوغ الغاية في جيد شعره له سقطات لاتصدر من اقل الشعراء مادة واضعفهم شعراً، اما ابو فراس فمع غزارة مادته وبراعته في صناعة الشعر فهو قليل السقطات وجل شعره مهذب منسجم خال من التعقيد وكل مايعاب به الشعراء فجيده لايقصر عن جيد المتنبي ويمتاز عن المتنبي بقلة السقط في شعره بل ان قلنا ان جيد ابي فراس يقصر عن جيد المتنبي فكثرة السقط في شعر المتنبي تجعل الميزة لمجموع شعر ابي فراس على مجموع شعر المتنبي فلو رجح مرجح شعر ابي فراس على شعر المتنبي من حيث المجموع وان ساواه او فضله في بعض الافراد لم يكن بعيداً من الصواب وهناك معان تعاقب عليها هذان الشاعران او تقاربا فيها في بيت أو بيتين أو أكثر أو قصيدتين ، قال المتنبي :

ما كل من طلب المعالي نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا

وقال ابو فراس :

فما كل من شاء المعالي ينالها ولا كل سباق الى المجد يهتدي

وقال ابو فراس ايضاً :

وما كل طلاب من الناس بالغ ولا كل سيار الى المجد واصل

وقال المتنبي :

لكل امرىء من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدى

وقال ابو فراس :

يقولون جانب عادة ما عرفتها عزيز على الانسان ما لم يعود

وقال المتنبي :

وترى المروة والفتوة والأبوّ ة فيَّ كل مليحة ضراتها

وقال ابو فراس :

كأن الحجى والصون والعقل والتقى لدي لوبات الحجال ضرائر

وبيت ابي فراس احسن . وقال المتنبي

واصدى فلا ابدي الى الماء حاجة وللشمس فوق اليعملات لعاب

وقال ابو فراس :

فأصدى الى ان ترتوي البيض والقنا واسغب حتى يشبع الذئب والنسر

وقال المتنبي

يا اعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وانت الخصم والحكم

وقال ابو فراس

يئست من الانصاف بيني وبينه ومن لي بالانصاف والخصم يحكم

وبيت المتنبي هو الذي قال عنه ابو فراس كما مر أن المتنبي أخذه من دعبل ولكنه عاد هو فنظمه .

وقد توافق ابو فراس والمتنبي في بيت يكاد ان يكون واحدا فقال المتنبي من قصيدة يمدح بها كافورا وهي آخر ما مدحه به

اذا نلت منك الود فالمال هين و كل الذي فوق التراب تراب

وقال ابو فراس من قصيدة ارسلها الى سيف الدولة من الأسر بعد ما حمل الى القسطنطينية

اذا صح منك الود فالكل هين و كل الذي فوق التراب تراب

ولو جاز لنا ان نقول ان المتأخر آخذ من المتقدم لقلنا إن أبا فراس آخذ من المتنبي لأن نظم بيت ابي فراس كان بعد نظم بيت المتنبي بسنتين على الأقل فان المتنبي قال قصيدته هذه سنة ٣٤٩ وابو فراس قالها في الأسر الثاني و كان سنة ٣٥١ على ان قول ابي فراس فيها

امن بعد بذل النفس فيما تريده اثاب بمر العتب حين اثاب

يدل على انه قالها بعد ما طال اسره وقد بلغه كلام سيف الدولة المار ذكره في اخباره لافي أول اسره الثاني .

وقال المتنبي

فمالي وللدنيا طلابي نجومها ومسعاي منها في شدوق الاراقم

وقال ابو فراس

واني ينام الليل من بات همه طلاب المعالي في شدوق الأراقم

وقال المتنبي

اذا صلت لم اترك مصالا لصائل وان قلت لم اترك مقالا لعالم

وقال ابو فراس

ومن شاء فليفخر يجد فخر فاخر ومن شاء فلينطق يجد نطق عالم

وقال ابو فراس ايضاً

فاذا بطشت بطشت ليثا باسلا　　　واذا نطقت نطقت عن تبيان

وقال المتنبي يصف الجيش

ويخفى عليك الرعد والبرق فوقه　　　من اللمع في حافاته والهماهم

وقال ابو فراس

ويوم تخال الرعد في جنباته　　　لشدة اصوات القنا والهماهم

وقال المتنبي

هم المحسنون الكر في حومة الوغى　　　واحسن منه كرهم في المكارم

وقال ابو فراس

ومن لم يشاهد كر قومي في الوغى　　　فها فليشاهد كرهم في المكارم

وقال المتنبي في بعض وقائع سيف الدولة

وفي بطن هنزيط وسمنين للظبا　　　وصم القنا ممن ابدن بديل

وقال ابو فراس

وراحت على سمنين غارة خيله　　　وقد باكرت هنزيط منها بواكر

وقال المتنبي

ومن العداوة ما ينالك نفعه　　　ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وقال ابو فراس

ويجيء طورا ضره في نفعه　　　جهلا وطورا نفعه في ضره

وقال المتنبي

انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال

وقال ابو فراس

وصرنا نرى ان المتارك محسن وان خليلاً لا يضر وصول

ولا يستطيع ذو انصاف ان يرجح احدهما على الآخر في اكثر هذه الأبيات التي تعاقبا فيها معنى واحداً .

وقال المتنبي في بناء الحدث

بناها فاعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فاصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم

وقال ابو فراس

بناهن باني الثغر والثغر دارس وعامر دين الله والدين داثر
راى الثغر مفغوراً فسد بسيفه فم الدهر عنه وهو سغبان فاغر

وقال المتنبي يذكر الاحيدب وهو جبل فوق الحدث

نثرتهم فوق الاحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم

وقال ابو فراس

وحسبي بها يوم الاحيدب وقعة على مثلها في العز تثنى الخناصر
عدلنا بها في قسمة الموت بينهم وللسيف حكم في الكتيبة جائر

وقال المتنبي

فلم يبق الا من حماها من الظبا لمى شفتيها والثدي النواهد

تبكي عليهن البطاريق في الدجي وهن لدينا ملقيات كواسد

وقال ابو فراس

وخريدة كرمت على آبائها زمناً وعند سبائها لم تكرم
راحت وصاحبها بعرس حاضر يرضي الاله واهلها في مأتم

وقال أبو فراس أيضاً

ومستردفات من نساء وصبية تثنى على اكتافهن الغدائر
بنيات املاك اصبن بجاءة فهن وفي اعناقهن الجواهر

وقال المتنبي

غني عن الاوطان لا يستخفني الى بلد سافرت عنه اياب
وعن ذملان العيس ان سامحت به والا ففي اكوارهن عتاب

وقال ابو فراس

اذا لم أجد في بلدة ما اريده فعندي لاخرى عزمة وركاب
وليس فراق ما استطعت فان يكن فراق على حال فليس اياب

وقال المتنبي

سرايا ك تترى والدمستق هارب واصحابه قتلى وأمواله نهبى
وهل رد عنه باللقان وقوفه صدور العوالي والمطهمة القبا

وقال أبو فراس

واوردها في بطن اللقان وظهره يطأن به القتلى خفاف حواذر
اخذن بانفاس الدمستق وابنه وعبرن في جيحان من هو عابر

وقال ياقوت في معجم البلدان ان ابا فراس شدد اللقان وقال

وقاد الى اللقان كل مطهم   له حافر في يابس الصخر حافر

والموجود في ديوانه هو البيت السابق وهذا البيت الذي اورده ياقوت لاوجود له في نسخ الديوان .

وقال المتنبي يمدح سيف الدولة لما افتتح الشام وهزم عساكر الاخشيد عن صفين :

ياسيف دولة ذي الجلال ومن له   خير الخلائف والأنام سمي
او ما ترى صفين حين اتيتها   فانجاب عنها العسكر الغربي
فكأنه جيش ابن حرب رعته   حتى كأنك يا علي علي

وقال أبو فراس

وناهض اهل الشام منه مشيع   يسايره الاقبال فيمن يساير
اتى الشام لما استذأب البهم واغتدت   بها اذؤب البيداء وهي قساور
فثقف منآد وأصلح فاسد   وذلل جبار واذعر ذاعر
فلما راى الاخشيد ماقد اظله   تلافاه يثني غربه ويكاسر

وقال المتنبي لما اوقع سيف الدولة ببني كلاب وكان سيف الدولة اداناهم الى ان بدت منهم هفوة ثم صفح عنهم ورد الحرم واحسن اليهن

فعُدن كما أخذن مكرمات   عليهن القلائد والملاب
يثبنك بالذي أوليت شكراً   وأين من الذي تولي الثواب

وكيف يتم بأسك في اناس ... تصيبهم فيؤلمك المصاب
ترفق ايها المولى عليهم ... فان الرفق بالجاني عتاب
وعين المخطئين هم وليسوا ... باول معشر خطئوا فتابوا
وما جهلت اياديك البوادي ... ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولده دلال ... وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم ... وحل بغير جارمه العذاب
ولو غير الأمير غزا كلاباً ... ثناه عن شموسهم ضباب

كنى عن الحرم بالشموس وعن المحاماة عنهن بالضباب

ولكن ربهم اسرى اليهم ... فما نفع الوقوف ولا الذهاب

وقال ابو فراس في ذلك

وما انس لا انس يوم المغار ... محجبة لفظتها الحجب
دعاها ذووها لسؤ الفعال ... لما لا تشاء وما لا تحب
فوافتك تعثر في مرطها ... وقد رأت الموت من عن كثب
ومازلت مذ كنت تأتي الجميل ... وتحمي الحريم وترعى الحسب
وقد خلط الخوف لما طلعت ... دل الجمال بذل الرعب
وتغضب حتى إذا ما ملكت ... اطعت الرضى وعصيت الغضب
فلما بدت لك دون البيوت ... بدا لك منهن جيش لجب
فكنت حماهن اذ لا حمى ... وكنت اباهن اذ ليس اب

فولين عنـك يفدينهـا ويرفعن من ذيلها ما انسحب(١)
ينادين بين خلال البيوت لا يقطع الله أصل العرب
أمرت وأنت المطاع الكريم ببذل الأمان ورد النهب

ووصف كل منهما استنقاذ سيف الدولة ابا وائل تغلب بن داود ابن حمدان من أسر القرمطي المعروف بالمبرقع لما اسر أبا وائل خليفة سيف الدولة على حمص والزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال فاسرى سيف الدولة من حلب يغذ السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق فاوقع به وقتله ووضع السيف في أصحابه فلم ينج إلا من سبق فرسه وعاد إلى حلب ومعه أبو وائل وبين يديه رأس الخارجي على رمح فقال أبو فراس من قصيدته الرائية الطويلة :

وأنقذ من مس الحديد وثقله أبا وائل والدهر أجدع صاغر
وآب برأس القرمطي أمامه له جسد من أكعب الرمح ضامر

وقال المتنبي

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضمان النضار وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة فجئن بكل فتى باسل

(١) الضمير في يفدينها وذيلها يرجع الي المحجبة التي لفظتها الحجب وهي امرأة الامير والضمير في ولين ويرفعن يرجع الي النساء التي بدا له منهن جيش لجب لما رأوها بدت له من خلال البيوت . ـ المؤلف ـ

والمتنبي وإن جاد في أكثر هذه القصيدة إجادة فائقة إلا أن له فيها ما يقصر عن درجة الجيد وتلك سجية ابي الطيب في شعره فمن جيدها قوله :

كأن خلاص أبي وائل معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت على البعد عندك كالقائل

وفيها يقول

بضرب يعمهم جائر له فيهم قسمة العادل
وطعن يجمع شذانهم كما اجتمعت درة الحافل

ويقول في سيف الدولة

ولا يستغيث إلى ناصر ولا يتضعضع من خاذل
ولا يزع الطرف عن مقدم ولا يرجع الطرف عن هائل
خذوا ما أتاكم به واعذروا فان الغنيمة في العاجل
وإن كان اعجبكم عامكم فعودوا إلى حمص في القابل
فان الحسام الخضيب الذي قتلتم به في يد القاتل
أمام الكتيبة تزهى به مكان السنان من العامل
وعدت الى حلب ظافراً كعود الحلي إلى العاطل
تفك العناة وتغني العفاة وتغفر للمذنب الجاهل

ولكنه يقول فيها ما لا يصح عده من الجيد كقوله في الخيل :

فدانت مرافقهن الثرى على ثقة بالدم الغاسل

وما بين كاذتي المستغير كما بين كاذتي البائل

فانك لا ترى في البيت الأول معنى بديعا واي بداعة في ان الخيل تطأ في الوحل ثقة منها بان الدم سيغسله والبيت الثاني مع اشتماله على البائل المشتق من البول الذي لايحسن ذكره في شعر يمدح به الملوك وعلى لفظة الكاذتين تثنية كاذة وهي لحم الفخذ الغير المستعذبة ولا المستملحة لم يشتمل على معنى بديع وأي بداعة في تشبيه الفرس الغائر المفرج بين رجليه لشدة العدو بالفرس البائل أما بيتا أبي فراس فمع اشتمالهما على وصف الحال بافصح لفظ وأبدع معنى قد اشتمل البيت الثاني منهما على معنى مبتكر هو أحسن ما قيل في رأس على رمح

ويقول المتنبي في هذه القصيدة مخاطباً سيف الدولة :

ومثل الذي دسته حافياً يؤثر في قدم الناعل

وليس مثل سيف الدولة يخاطب بمثل (دسته حافياً)

وقال المتنبي يذكر الدمستق ويذكر اللقان وآلس وهما نهران ويصف الخيل :

قاد المقانب أقصى شربها نهل على الشكيم وأدنى سيرها سرع

لايعتقي بلد مسراه عن بلد كالموت ليس له ري ولاشبع

يذري اللقان غباراً في مناخرها وفي حناجرها من آلس جرع

يصف الخيل بسرعة الجري فيقول : انها لسرعة جريها تشرب من نهر آلس وتستتم البلع في اللقان

وقال ابو فراس

عشية روحن من عرقة ... واصبحن فوضى على شيزر
وقد طالما وردت بالحيار ... وعاودت الماء في تدمر
فدن البقيعة قد الأديـ ... ـم والغرب في شية الاشقر
وجاوزن حمص فلم ينتظر ... ن على مورد او على مصدر
وبالرستن استوبلت موردا ... كورد الحمامة او انزر
وجزن المروج وقرني حماه ... وشيزر والفجر لم يسفر

(عرقة) من نواحي الروم وبلد شرقي طرابلس (وشيزر) قرب المعرة فوصفها انها روحت من عرقة اي سارت عند العشي فاصبحت على شيزر (والحيار) صقع من برية قنسرين بينه وبين حلب يومان (وتدمر) مدينة بينها وبين حلب خمسة ايام. (والبقيعة) كأنها تصغير بقعاء وهي كورة بين الموصل ونصيبين وكورتان من عمل منبج اي انها قدت البقيعة بسيرها قد الجلد ولم تذهب حمرة الغرب وذلك قبل العشاء وجئن الى حمص والرستن والمروج وحماه وشيزر في تلك الليلة قبل طلوع الفجر

وقال المتنبي لما اسر سيف الدولة قسطنطين بن فردس الدمستق وانهزم الدمستق وقد اصابه ضربة في وجهه:

لذلك سمي ابن الدمستق يومه ... مماتا وسماه الدمستق مولدا
فولى واعطاك ابنه وجيوشه ... جميعا ولم يعط الجميع ليحمدا
وما طلبت زرق الأسنة غيره ... ولكن قسطنطين كان له الفدا

وما تاب حتى غادر الكر وجهه جريحا وخلى جفنه النقع ارمدا

وقال المتنبي ايضاً

افي كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الاقدام للوجه لائم
وقد فجعته بابنه وابن صهره وبالصهر حملات الأمير الغواشم
مضى يشكر الاصحاب في فوته الضبا لما شغلتها هامهم والمعاصم
يسر بما اعطاك لا عن جهالة ولكن مغنوما نجا منك غانم

وقال ابو فراس في ذلك :

وآب بقسطنطين وهو مكبل تحف بطاريق به وزرازر (١)
وولى على الرسم الدمستق هاربا وفي وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه وللشدة الصماء تقنى الذخائر
وقد يقطع العضو النفيس لغيره وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وقال ابو فراس ايضاً في مثل ذلك :

لما برزنا للدمستق مرة ورأى بوادر خيلنا كالأسهم
طلب النجاة بنفسه فتحكمت في جيشه الأسياف اي تحكم
ما كان بعض قلوبنا في جسمه فيكون اثبت من هضاب يلملم
لولا الجواد الأدهم الناجي به اضحت قوائم رجله في الادهم
ولئن نجا فرجاله وحماته ما بين مصفود وبين مكلم

(١) البطاريق جمع بطريق كـكبريت وهو القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل والزرازر جمع زرزار وهم البطارقة وقيل اشباه البطارقة ـ المؤلف ـ

وقال المتنبي من هذه القصيدة المتقدم بعضها :

تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا ... وفر من الفرسان من لا يصادم
وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقال ابو فراس في نظيره :

اشدة ما أراه منك أم كرم ... تجود بالنفس والأرواح تصطلم
يا باذل النفس والأموال مبتسما ... اما يهولك لا موت ولا عدم
لقد رأيتك بين الجحفلين ترى ... ان السلامة من وقع القنا تصم

وقال المتنبي وقد حضر العيد وهو بمصر

عيد باية حال عدت يا عيد ... بما مضي او بأمر فيه تجديد
اما الاحبة فالبيداء دونهم ... فليت دونك بيدا دونها بيد
لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي ... شيئا تتيمه عين ولا جيد
يا ساقيي اخمر في كؤوسكما ... ام في كؤوسكما هم وتسهيد
ماذا لقيت من الدنيا واعجبه ... اني بما انا شاك منه محسود

وقال ابو فراس وقد حضر العيد وهو في الاسر

ياعيد ما عدت بمحبوب ... على معنى القلب مكروب
ياعيد قد عدت على ناظر ... عن كل حسن فيك محجوب
يا وحشة الدار التي ربها ... اصبح في أثواب مربوب
قد طلع العيد على اهلها ... بوجه لا حسن ولا طيب

مالي وللدهر واحداثه لقد رماني بالأعاجيب

وليس لنا ان نفضل احدى هاتين القطعتين على الأخرى لكن المتنبي يقول انه لولا العلا لم يعان الأسفار والعلا في نظره مدح الناس واستجداؤهم وذمهم بالفحش الذم ان قصروا او رآهم مقصرين في عطائهم اما ابو فراس فان قال ان اسره في سبيل العلا لم يستطع احد تكذيبه. والمتنبي يقول ان حزنه لبعد احبته والحقيقة ان حزنه لفقد الجوائز الوافرة التي كان يأملها من كافور وابو فراس يحزن لأنه اصبح في أسر الروم وفي اثواب مربوب وشتان ما بينهما

واشترك المتنبي وابو فراس في وصف دخول ملك الروم على سيف الدولة ووصف الجيش الذي اعده سيف الدولة على جبل الجوشن والمستفاد من ديوان المتنبي ان ذلك كان سنة ٣٤١ و ٣٤٣ والظاهر ان قول ابي فراس كان في الاول منهما ونحن نذكر المعنى الذي اشتركا فيه ففي الديوان ان المتنبي دخل على سيف الدولة في ذي القعدة سنة (٣٤١) وقد جلس لرسول ملك الروم وقد ورد يلتمس الفداء وركب الغلمان بالتجافيف (١) فأنشد قصيدة يذكر فيها رسول ملك الروم ويصف الجيش

وكاتب من ارض بعيد مرامها قريب على خيل حواليك سبق

(١) جمع تجفاف بالكسر وهو آلة للحرب من حديد وغيره يلبسه الفرس ليقيه في الحرب. ـ المؤلف ـ

فلما دنا اخفى عليه مكانه شعاع الحديد البارق المتألق
واقبل يمشي في البساط فما درى الى البحر يسعى ام الى البدر يرتقي

وفي الديوان ايضا دخل على سيف الدولة رسول ملك الروم سنة (٣٤٣) فقال المتنبي

تزاحم الجيش حتى لم يجد سببا الى بساطك لي سمع ولا بصر
فكنت اشهد مختص واغيبه معاينا وعياني كله خبر
تكسب الشمس منك النور طالعة كما تكسب منها نوره القمر

وقال ابن خالويه وافى رسول ملك الروم يطلب الهدنة فامر سيف الدولة بالركوب بالسلاح فركب من داره الف غلام مملوك بالف جوشن (درع) مذهب على الف فرس عتيق بالف تجفاف وركب الناس والقواد على طبقاتهم ومعهم راياتهم وسلاحهم (وبالطبع كان ابو فراس في مقدمة القواد) حتى طبق الجيش جبل جوشن وما حوله فقال ابو فراس في ذلك.

علونا جوشنا باشد منه واثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البر بحرا من سلاح
والسنة من العذبات حمر تخاطبنا بافواه الرياح
واروع جيشه ليل بهيم وغرته عمود من صباح
صفوح عند قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفاح
فكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح

واذا قرنا ميمية المتنبي في سيف الدولة التي أولها

اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعرا ميتم

الى ميمية ابي فراس التي أولها

نفى النوم عن عيني خيال مسلم تأوب من أسماء والركب نوم

وجدنا لقصيدة ابي فراس التي كلها غرر الميزة على قصيدة المتنبي فان المختار من قصيدة المتنبي وإن ساوى قصيدة أبي فراس لكن غير المختار منها لا يساوي شيئاً من قصيدة أبي فراس فمن مختار قصيدة المتنبي قوله :

تعرض سيف الدولة الدهر كله يطبق في أوصاله ويصمم
فجاز له حتى على الشمس حكمه وبان له حتى على البدر ميسم
كأن العدى في أرضهم خلفاؤه فان شاء حازوها وان شاء سلموا
ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل إلا الخميس العرمرم
فلم يخل من نصر له من له يد ولم يخل من شكر له من له فم
ولم يخل من أسمائه عود منبر ولم يخل دينار ولم يخل درهم
ضروب وما بين الحسامين ضيق بصير وما بين الشجاعين مظلم
بغرته في الحرب والسلم والحجى وبذل اللهى والحمد والمجد معلم
ولما تلقاك السحاب بصوبه تلقاه أعلى منه كعباً وأكرم
فباشر وجهاً طالما باشر القنا وبل ثيابا طالما بلها الدم
وكل فتى للحرب فوق جبينه من الضرب سطر بالاسنة معجم

يمد يديه في المفاضة ضيغم وعينيه من تحت التريكة أرقم

ويقول أبو فراس في قصيدته في مدح سيف الدولة

نحف اذا ضاقت علينا امورنا بابيض وجه الرأي والخطب مظلم
الى رجل يلقاك في شخص واحد ولكنه في الحرب جيش عرمرم
ثقيل على الأيام أعقاب وطئه صليب على أفواهها حين يعجم
تجر عليه الحرب من كل جانب فلا ضجر جاف ولا متبرم
اخو غمرات في الخطوب اذا أتى لها حادث من جانب الله مبرم
وان لسيف الدولة القرم عادة تروم علوق المعجزات فترأم
سنضربهم ما دام للسيف قائم ونطعنهم مادام للرمح لهذم
ونقفوهم خلف الخليج بضمر تخوض بحاراً بعض خلجانها دم
ونجنب ما ألقى الوجيه ولاحق الى كل ما ابقى الجديل وشدقم
ونعتقل الصم العوالي انها طريق الى نيل المعالي وسلم
وأرماحنا في كل لبة فارس تثقب تثقيب الجمان وتنظم

ولكن المتنبي يقول في المخلص بعد المطلع :

لحب ابن عبد الله أولى فانه به يبدأ الذكر الجميل ويختم
أطعت الغواني قبل مطمح ناظري إلى منظر يصغرن عنه ويعظم

فما زاد على أن جعل حب سيف الدولة أولى من حب الغواني وانه لما نظره عدل عن الغواني اليه وان منظر الغواني اصغر من منظره ومنظره أعظم وهذا الى السخف اقرب منه إلى مدح ملك مع ما في

مطلع قصيدته من البرودة . أما أبو فراس فهو مع مافي مطلع قصيدته من البراعة يقول في مخلص قصيدته التي يخاطب فيها أبا العشائر الحسين ابن علي بن الحسين بن حمدان بعد ما أسر

وخطب من الأيام أنساني الهوى ... واحلى بفي الموت والموت علقم
ووالله ما شيبت الا علالة ... ومن نار غير الحب قلبي يضرم
فمن مبلغ عني الحسين الوكة ... تضمنها در الكلام المنظم
لذيذ الكرى حتى أراك محرم ... ونار الأسى بين الحشى تتضرم

أخباره مع بني ورقاء

في اليتيمة أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله أبناء ورقاء الشيباني من رؤساء عرب الشام وقوادها والمختصين بسيف الدولة وما منهما إلا أديب شاعر جواد ممدح وبينهما وبين أبي فراس مجاوبات

قال ابن خالويه لما سمع أبو أحمد عبد الله بن محمد بن ورقاء الشيباني ظفر سيف الدولة بقاتلي الصباح مولى عمارة الحرفي عامل سيف الدولة على قنسرين وعفوه عنهم بتوسط أبي فراس قال قصيدة يهنئ بها سيف الدولة بغزوته هذه ويفاخر مضر بايام بكر وتغلب في الجاهلية والاسلام أولها

ارسمًا بسابروج(١) ابصرت عافيا ... فاذكرك العهد الذي كنت ناسيا

(١) سابروج بسين مهملة والف وباء موحدة وراء مشددة مضمومة وواو ساكنة وجيم موضع بنواحي بغداد . ـ المؤلف ـ

ألا ليت شعري والحوادث جمة وما كنت في دهري الى الناس شاكيا
امخترمي ريب المنون بحسرة تبلغ نفسي من شجاها التراقيا
الى الله اشكو ان في الصدر حاجة تمر بها الايام وهي كما هيا

ومنها في ذكر بني كعب وايحاشهم سيف الدولة حتى اضربهم:

وانهم لما استهاجوا صياله وما كان عن مستوجب البطش وانيا
كمن شب نارا في شعار ثيابه وهيج ليثا للفريسة ضاريا

وهي طويلة جداً فلما سمع ابو فراس ما عمل فيها عمل قصيدة على هذا الشرح يذكر فيها أسلافهم ومناقبهم في الاسلام دون الجاهلية ويرد على ابي احمد في افتخاره بايامهم في الجاهلية وبايام من بعد منهم في الاسلام وتركه الفخر بمن قرب منهم في الاسلام وهي قصيدة تزيد على ٢٤٠ بيتاً أولها :

لعل خيال العامرية زائر فيسعد مهجور ويُسعد هاجر

إلى أن يقول :

أيشغلكم وصف القديم ودونه مفاخر فيها شاغل ومآثر
فقل لبني ورقاء ان شط منزل فلا العهد منسي ولا الود داثر
وكيف يرث الحبل او تضعف القوى وقد قربت قربى وشدت اواصر
ابا احمد مهلاً اذا الفرع لم يطب فلا طاب يوم الا فتخار العناصر
أتسمو بما شادت أوائل وائل وقد غمرت تلك الاوالي الاواخر
وتطلب العز الذي هو غائب وتترك العز الذي هو حاضر

وختمها بهذين البيتين :

يسر صديقي ان اكثر واصفي عدوي وان ساءته تلك المفاخر
وهل تجحد الشمس المنيرة ضوءها ويستر نور البدر والبدر ظاهر

قال ابن خالويه قال لي ابو فراس لما وصلت هذه القصيدة الى ابي احمد عبد الله بن محمد بن ورقاء الشيباني ظن أني عرضت به في البيتين الذين ختمت بهما القصيدة فكتب الي قصيدة تصرف فيها بالتشبيب يقول فيها :

اشاقك بالخال (١) الديار الدوائر روائح مجت آلها (٢) وبواكر
عمرن بعمار من الانس برهة فهاهن صفر ليس فيهن صافر
اخلت بمغناها دمى وخرائد وحلت باقصاها مهى وجاآذر
اهن عيون باللحاظ دوائر على عاشقيها أم سيوف بواتر
ضعائف يقهرن الاشداء قدرة عليهم وسلطان الصبابة قاهر
الا يا ابن عمي يستزيد ابن عمه رويدك اني لانبساطك شاكر
تصفحت ما أنفذته فوجدته كما استودعت نظم العقود الجواهر
وذكرني روضاً بكته سماؤه فضاحكه مستأسد وهو زاهر
عرائس يجلوها عليك خدورها ولكنما تلك الخدور دفاتر
فعدلاً فان العدل في الحكم سيرة بها سار في الناس الملوك الاساور

فكتب أبو فراس الى ابي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء وجعله

(١) الخال اسم مكان (٢) الآل السراب ـ المؤلف ـ

حكا بينه وبين عمه أبي أحمد عبد الله بن ورقاء وابتدأ فيها بالحماسة وهي في الديوان المطبوع ناقصة فقال :

انا اذا اشتد الزما ن وناب خطب وادلهم
الفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيو ف وللندى حمر النعم
هذا وهذا دأبنا يودى دم ويراق دم
قل لابن ورقا جعفر حتى يقول بما علم
اني وان شط المزا ر ولم تكن داري أمم
اصبو الى تلك الخلا ل واصطفي تلك الشيم
والوم عادية الفرا ق وبين أحشائي ألم
ولعل دهرا يثني ولعل شعبا يلتئم
هل أنت يوما منصفي من ظلم عمك يا ابن عم
أبلغه عني ما أقو ل فانت من لا يتهم
أني رضيت وان كرهـ ت أبا محمد الحكم

فكتب أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء مجيباً له :

أنتم كما قد قلت بل اعلى واشرف يا ابن عم
ولكم سوابق كل فخـ ر والسوابق من أمم
لم يعل منكم شاهق فوق الشوامخ والقمم
الا ولاحقه يلو ح على ذراه كالعلم

ودعوت شيخك وابن عمـ لك جعفرا فيما أهم
من عدل قولك حين قلـ ت وجور ماقد قال عم
فقضى عليه وقد قضى في الحق لما أن حكم
ان الذي أبدى الفخا ر لسادة ملكوا الامم
في دهرهم وزمانهم ولهم قديم في القدم
ليسوا كمن لم يبلغوا الـ عليـاء الا بالوهم
هذا قضائي ان نحا للحق عمي والتزم
احسنت والله العظيـ م نظام بيتك حين تم
فيما ذكرت به السيو ف وما ذكرت به النعم
حتى كأن بنظمه للحسن درا منتظم
وشكوت اشواقا اليّ تمس قلبك بالالم
افديه قلباً عاليا فوق الفضائل والهمم
قد فاض فيضا بالسما ح وقد تدفق بالكرم
فسيول جدواه تد فقها الشهامة عن ضرم
وقد انبرى لي منعما يا طيب ذلك في النعم
وازل لي من بره ازكى واطيب ما قسم
فلأشكرن صنيعه حتي تغيبني الرجم

وأرسل أبوفراس الى أبي محمد جعفر وابي أحمد عبد الله ابني ورقاء يقوله من قصيدة :

اتاني من بني ورقاء قول ألذ جنى من الماء القراح
واطيب من نسيم الروض حفت به اللذاتُ من روح وراح
تبكي في نواحيه الغوادي بادمعها فتبتسم الأقاحي
عتابك يا ابن عم بغير جرم أشد علي من وخز الرماح
وما أرضى انتصافا من سواكم واغضي منك عن ظلم صراح
أظنا إِن بعض الظن اثم أمزحاً رب جد من مزاح
أريتك يا ابن عم باي عذر عدوت عن الصواب وانت لاحي
أأجعل في الأوائل من نزار كفعلك أم باسرتنا افتتاحي
أمن كعب نشا بحر العطايا وأكرم مستغاث مستراح
وصاحب كل عضب مستبيح اعاديه ومال مستباح
وهذا السيل من تلك الغوادي وهذي السحب من تلك الرياح
وكيف أعيب مدح شموس قومي ومن اضحى امتداحهم امتداحي
ولو شئت الجواب أجبت لكن خفضت لكم على علم جناحي
ولست وان صبرت على الاسايا الاحي اسرتي وبهم الاحي
ولو اني اقترحت على زماني لكنتم يا بني ورقا اقتراحي

فاجابه أبو أحمد بقوله من قصيدة :

أصاح قلبه أم غير صاحي وقد عنت لنا عفر البطاح
ظباء الوحش تحكي ماثلات ظباء الانس بالصور الملاح
يدِرن مراض أجفان صحاح فيا عجبي من المرضى الصحاح

وما زالت عيون العين فينا تؤثر فوق تأثير السلاح
أَمطلعة الهلال على قضيب ومسدلة الظلام على الصباح
عدتني عن زيارتك العوادي ودهر للاكارم ذو اطراح
امدره (١) تغلب لسنا وعلما ومصقع نطقها عند التلاحي
لقد اوتيت علماً واضطلاعا بآداب والفاظ فصاح
لمقولك المضاء اذا انتضاه الـ ـقصيد على المهندة الصفاح

وقال ابو فراس في بني ورقاء من قصيدة يذكر فيها وده لهم وقوة اتصاله بهم ويفضلهم على سواهم :

ياقوم اني امرؤ كتوم تصحبني مقلة نموم
نديمي النجم طول ليلي حتى إذا غارت النجوم
أسلمني الصبح للرزايا فلا حبيب ولا نديم
برملتي عالج رسوم يطول من دونها الوسيم
انخت فيهن يعملات ماعهد إرقالها ذميم
اجدبها قطع كل واد أَخصبه نبته العميم
تلك سجايا من الليالي للبؤس مايخلق النعيم
بين ضلوعي هوى مقيم لآل ورقاء لا يريم
يغير الدهر كل شيء وهو صحيح لهم سليم

(١) المدره بالميم المكسورة والدال المهملة الساكنة والراء المفتوحة والهاء السيد الشريف والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال . ـ المؤلف ـ

امنع من رامه سواهم منه كما يمنع الحريم
ونحن من عصبة وأهل يضم أغصاننا أروم
وهل يساويهم قريب أم هل يدانيهم حميم
لم تتمرق لنا خؤول في العز منا ولا عموم
سمت بنا وائل وفازت بالعز أخوالنا تميم
ودادهم خالص صحيح وعهدهم ثابت مقيم
ذاك لنا منهم حديث وهو لأجدادنا قديم
ندني بني عمنا الينا فضلاً كما يفعل الكريم
ايد لهم عند كل خطب يثنى بها الحادث الجسيم
والسن دونهم حداد لد اذا قامت الخصوم
لم تنأ عنا لهم قلوب وان نأت منهم جسوم
فلا عدمنا لهم ثناء كأنه اللؤلؤ النظيم
لقد نمتنا لهم أصول ما مس أعراقهن لوم
نبقى ويبقون في نعيم ما بقي الركن والحطيم

حياته السياسية

كان عصر الحمدانيين عصراً قد انقسمت فيه المملكة الاسلامية المترامية الاطراف إلى ممالك وأمارات جلها غير عربية فكانت خراسان وماوالاها بيد السامانيين وماوراء النهر بيد الغزنويين وكلتا الدولتين غير عربية وبغداد وفارس بيد البويهيين وهم من الفرس والخلافة العباسية

في بغداد لا حول لها ولا طول وانما لها الخطبة والمشاركة في السكة في البلاد الاسلامية والشرقية. والشام ومصر بيد الاخشيديين وهم أتراك وأفريقيا والمغرب بيد الفاطميين والاندلس بيد الامويين فأنشأ الحمدانيون مملكة اسلامية عربية في الموصل وديار بكر وديار ربيعة والجزيرة وحلب والعواصم الى منتهى البحر المتوسط شمالا والى مملكة الروم وقاعدتها القسطنطينية شرقا والى فلسطين ودمشق غربا فردوا غارات الروم وأغاروا على بلادهم وفتحوا كثيراً منها والروم يومئذ في قوتهم وقهروا القرامطة والخوارج الشراة كهرون الشاري وغيرهم وتسلطوا على الاكراد وأخضعوهم وأخضعوا قبائل العرب المنتشرة في الجزيرة وبادية الشام صاحبة العدد الكثير والقوة وأدخلوها في طاعتهم وحاربوا الأخشيديين في الشام وأخذوا منهم دمشق ثم عادوا اليها بمخامرة أهلها وكانت هذه المملكة منقسمة بين ناصر الدولة الحسن بن عبد الله ابن حمدان وأخيه سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان وكان لناصر الدولة الموصل والجزيرة ولسيف الدولة حلب والعواصم وماإليها وكان ناصر الدولة لايخلو من منازعة البويهيين له وسيف الدولة يحارب الروم غالباً وسيد بني حمدان ورئيسهم سيف الدولة ووزيره وقائده الاول ومحل اعتماده في الحروب وقيادة الجيوش وحماية المملكة أبو فراس ولم يكن سيف الدولة وأبو فراس طالبي ملك صرف وأمارة محضة بل كان لهما باعث ديني وغيرة وطنية يبعثهما على حماية المملكة وحفظها فسيف الدولة

يجمع من غبار غزواته للروم التي كان يقصد منها رد عاديتهم عن بلاده لبنة ويوصي أن توضع تحت رأسه في قبره وأبو فراس يقول لسيف الدولة

فأحوط للاسلام أن لا يضيعني ولي عنك فيه حوطة ومناب

وان رجلا كسيف الدولة وابن عمه ابي فراس يستطيعان انشاء دولة قوية عربية اسلامية نمت في ظلها العلوم العربية والاسلامية والادب العربي نموا فائقا في عصر تفككت فيه عرى الاسلام والعروبة وفي بقعة محاطة بالروم من جهة وبالاخشيديين والبويهيين الاقوياء من جهات اخرى ومشحونة في داخلها بدعايات القرامطة والخوارج وفتنهم وبغزوات الاكراد والقبائل العربية وفسادهم لرجلان فريدان عظيمان خلد التاريخ ذكرهما في صفحاته بالعز والفخر .

ومما يلفت النظر ان جميع ملوك الاسلام كانوا في ذلك الوقت مشغولين بلذاتهم او بالحروب بينهم وبنو حمدان وحدهم هم الحامون للثغور والواقفون في وجه الروم يصدونهم عن غزو بلاد الاسلام ولم يجسر الاجنبي على اقتحام تلك الثغور الا بعد انقضاء دولتهم والى ذلك يشير بعض شعراء ذلك العصر بقوله يمدح سيف الدولة وابا فراس :

طلعت لهم فوق الدروب سحابة تهمي بصوبي عثير وقتام
والمسلمون بمعزل منهم سوى من افردوه لنصرة الاسلام
وأبو فراس في الهياج أمامه مثل الحسام بدا امام حسام

عصره العلمي والادبي

كان أبو فراس في عصر ملئ باعاظم العلماء ومشاهير الكتاب وأكابر الشعراء وكانت حضرة سيف الدولة التي نشأ فيها أبو فراس وتربى وترعرع تعج بالمشاهير الفحول من هؤلاء فمن الشعراء المتنبي والسري بن احمد الوفا الموصلي وأبو العباس أحمد بن محمد النامي والزاهي علي بن اسحق البغدادي والناشي الاصغر علي بن عبد الله بن وصيف والخالديان أبو بكر وأبو عثمن . وأبو الفرج الببغا عبد الواحد بن نصر الشامي. وأبو نصر بن نباتة التميمي من شعراء العراق والوأواء الدمشقي وأبو بكر الخوارزمي وأبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي والقاضي الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزيز . وأبو القاسم الشيظمي وأبو الحسن محمد بن سامي الشعباني المعروف بالمغنم المصري وأبو محمد الفياضي الكاتب وأبو اسحق الصابي وسلامة بن الحسين الموصلي . والقاضي أبي الحصين علي بن عبد العزيز الرقي وغيرهم ذكر اكثرهم ابن النديم في الفهرست والثعالبي في اليتيمة وقال الثعالبي يقال إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ الشعر ونجوم الدهر. ومن العلماء الفارابي وابن خالويه النحوي الاديب اللغوي. وأبو الفرج الاصبهاني وغيرهم فنشأ أبو فراس في هذا المجتمع الادبي العلمي فاقتبس من نوره . واستضاء بهديه وصحب ابن خالويه وتلمذ عليه واستفاد منه ولا شك في أن للصحبة والعشرة أثرها في مثل ذلك لا سيما اذا

انضاف اليها فكر وقّاد وفهم حاذق ونفس شديدة الانطباع كفكر أبي فراس وفهمه ونفسه فلا جرم إن نشأ أبو فراس بهذه المنزلة المتميزة في الشعر والأدب والعلم والمعرفة .

أدبه وشعره واسلوبه

أبو فراس شاعر مفلق من فحول الشعراء المتميزين وكاتب بليغ أحرز قصب السبق في ميدان الأدب بشعره ونثره وان كان المأثور عنه من النثر شيئاً يسيرا وهو شاعر وجداني قوي العاطفة رقيق الاحساس فياض الشعور غزير المواهب مصقول الالفاظ بديع المعاني سابق في الاجادة تهتز بشعره النفوس وتفيض من جوانبه الرقة والانسجام وتعلوه الفخامة والمتانة . وهو طويل النفس وقصيدته الرائية التي يفتخر فيها بقومه تزيد على ٢٤٠ بيتا كلها في غاية المتانة والقوة والانسجام لم يزدها طولها الا حسنا وقوة ومتانة مع أنه استوفى فيها ذكر عشيرته ومفاخرهم وأيامهم فاشتمل بسبب ذلك أكثرها على القصص التي تحتاج الاجادة في نظمها الى قوة شعرية قوية ومادة غزيرة .

وفي اليتيمة شعره مشهور سائر . بيّن الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله ابن المعتز وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام وكان الصاحب يقول بدئ الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس وأبا فراس اهـ.

وأنت إذا تأملت شعره في جميع الفنون في جزالته ومتانته وعذوبته وسلاسته وانسجامه وأخذه بمجامع القلوب وجمعه لأنواع المحاسن التي تطلب من الشعراء علمت أنه ليس في شيء من المبالغة اقترانه الى ملك الشعراء امرىء القيس بل من يفضله على المتنبي ليس مبالغاً فان المتنبي وان ساواه أو فضله في ابعاض من شعر المتنبي إلا أنه لايكاد يساويه في مجموع شعريهما فانك لاتكاد تجد في شعر أبي فراس ما يعاب أو ينتقد بل جله أو كله مهذب مصفى في غاية الانسجام والبلاغة والرقة والمتانة سالم من السقطات مع مافي شعر المتنبي من السقطات الكثيرة كما ذكرناه آنفاً عند المقارنة بينهما .

وحسب أبي فراس قول سيف الدولة الشاعر الملك لما طلب اجازة بيت قاله ليس لها الا سيدي كما مر .

وشعر أبي فراس صور صادقة لشخصيته . وقد كان في شخصيته القوة والصفاء والوضوح. وهي كذلك ظاهرة في شعره. وكما كانت شخصية أبي فراس تتدفق بالحيوية كذلك شعره يفيض بالرجولة والحياة. وقد مر بنا أن حياة أبي فراس كانت مجالاً ممتازاً لتحقيق أغراضه ومطامح نفسه لذلك بعد شعره كل البعد عن أن يحمل صوراً من التشاؤم والنقمة كالذي نراه في شعر المتنبي . وانما كانت صوره الشعرية مشرقة نابضة بالحياة والفتوة . وأما اسلوبه فعنصر متمم لشعره الذي يمثل شخصيته . هو اسلوبه في الحياة . سهولة ومتانة ورقة . ينسجم مع

معانيه وأغراضه الشعرية لفظاً وتركيباً انسجاما جميلا رائعاً .

وقد أبان أبو فراس رأيه في الشعر وأشار إلى ميزة في شعره هي أنه مقصور على الفخر ومدح عشيرته ومقطعات تحلى بها كتبه ورسائله خال من المديح والهجاء والمجون في أبياته التي افتتح بها ابن خالويه ديوانه الذي جمعه حيث يقول :

الشعر ديوان العرب أبداً وعنوان الأدب
لم أعد فيه مفاخري ومديح آبائي النجب
ومقطعات ربما حليت منهن الكتب
لا في المديح ولا الهجا ء ولا المجون ولا اللعب

ومن البديهي أن لا يعدو ابو فراس وهو الشاعر المطبوع ـ في شعره مفاخره ومديح آبائه وتلك المقطعات التي حلى بها كتبه ورسائله لان المديح الذي كان شائعاً في ذلك العصر لم يكن يمت الى شعور صادق وانما كان من أجل حاجات خاصة تحمل الشعراء على اصطناع شعور مزيف ولو لا تلك الحاجات لما وجدوا دافعاً نفسياً لمدح من مدحوا أما أبو فراس فقد كان غنياً عن أن يقضي حاجة من مال أو جاه بالشعر . لذلك كان يقول الشعر للشعر مدحاً وغيره وكذلك ترفعه عن الهجاء كان طبيعيا لان الطبقة التي كانت تتهاجى من الشعراء والتي كانت تهجو من منعها سيبه من الملوك والامراء كان أبو فراس بعيداً عنها ولم يكن له بينها قرين تدعو المنافسة بينهما الى التهاجي وانما

كان أقرانه من النبلاءِ الامراء الذين عرفت ولم يكن يرجو سيب أحد ليهجوه اذا منعه بل كان يرى نفسه اعلى وارفع من ان يهجو احداً .وهو نفسه لم يكن يرضى أن يحشر في زمرة الشعراء، لما أخذت الأذهان في ذلك العصر عنهم من أخلاق لا ترضاها النفوس الكبيرة فهم مداحون اليوم لمن هجوه بالامس وهجاؤون غداً لمن مدحوه اليوم في سبيل الدرهم والدينار الى غير ذلك من الأخلاق التي نعرفها اليوم من أخبار أكثرهم وأشعارهم قال :

نخم الغبي وقلت غير ملجلج انى لمشتاق الى العلياء
وصناعتي ضرب السيوف وانني متعرض في الشعر بالشعراء

وقال :

نطقت بفضلي وامتدحت عشيرتي فما أنا مداح ولا أنا شاعر

والحقيقة أنه كان هو وحده الشاعر الذي يحق له أن يفخر بشعره ويتباهى بشاعريته اذا غض غيره من الشعراء من أبصارهم . الا نادراً منهم وكذلك خلو شعره من المجون واللعب كان أمرا بديهيا وقد عرفت من أخلاقه ورجولته ما عرفت . وحسب الشعر العربي بل القومية العربية من أبي فراس تلك الاغراض التي ذكرها في أبياته المتقدمة والتي قصر عليها شعره ففيها المجال كل المجال لاظهار شاعريته الفياضة . وفيها دروس العزة والرجولة والقومية لمن يريدون حياة عزيزة وكرامة موفورة .

وقد نظم أبو فراس في جل ابواب الشعر وانواعه المتعارفة ومقاصد الشعراء وتصرف في مناحي الشعر ما شاء فجاء في جميعها بالمعاني البديعة في التراكيب البليغة وجاء في جميع ذلك سابقا مجليا .

نظم في الغزل والنسيب فكان غزله ونسيبه يكاد يسيل رقة مع احتشام ومحافظه على الأدب. ونظم في المديح فلم يتعد مدح قومه وعشيرته وخاصة ابن عمه الامير سيف الدولة ومدح اهل البيت النبوي وما تضمنته مراسلة اخوانه واصدقائه فجاء مدحه مع تفوقه في صياغته ومعانيه الجليلة بعيداً عن الدعاوى الباطلة والمبالغات الشائنة مخلدا بخلود الدهر .

لقد احسنت حياة ابي فراس الى الادب العربي ايما احسان لانه وهو الامير المبجل والفارس المقدم والابي المترفع قد بعد عن ان يلتجىء الى المدائح الكاذبة المصطنعة الشعور فكان مديحه صادقاً لا يقوله الا بدافع الشعور الصادق الصميم لانه لم تلجئه حاجة الى اصطناع شعور مزيف كالتي الجأت المتنبي الى مدح كافور. ومدائح ابي فراس تكاد تكون وحدها في الادب العربي شعرا صحيحا لانها قيلت لوجه الشعور الصادق والوداد الحق . فكل مدائحه في ذلك لأهل البيت النبوي وفي آل حمدان ومراسلة اخوانه. اما مدائحه في أهل البيت عليهم السلام فانها تشعر بولاءٍ صادق وعصبية شديدة وايمان راسخ تجلت فيها عقيدته الدينية واضحة راسخة واما مدائحه في آل حمدان فمصدرها الفخر والاعتزاز

واكثرها في سيف الدولة وقد علمت اي صلة من نسب وادب ومكانة كانت تجمع بينهما. فما كان ليمجد اعمال سيف الدولة ويفخر بها الا لأن مجده ونجره فخره كما قال:

ولو لم يكن فخري وفخرك واحداً   لما سار عني بالمدائح سائر

وما كان ليتواضع في مدحه له ويضع نفسه في منزلة التابع الاقل الا لان سيف الدولة صاحب الفضل عليه في كفالته وتربيته له وتقديمه اياه تقديراً لمزاياه فهو في هذا التواضع الشديد يساير خلقه العالي في الوفاء وعرفان الجميل فلا تذلل ولا استكانة. ولهذا رايناه في مواضع كثيرة عندما كان الموقف يستلزم فخرا واستشهاداً بحقائق. يخاطب سيف الدولة خطاب الند للند. ولم يكن في ذلك مجترئا على مقام سيف الدولة ولا متعديا حدوده. واما مراسلته لاخوانه واصدقائه فلا تنم الا عن حسن الوفاء وكرم الاخلاق.

ونظم في الرثاء قليلا لم يعد به رثاء بعض أئمة اهل البيت ورثاء امه وبعض عشيرته فكان دافعه الى ذلك عاطفة دينية او رحم ماسة لا غرض آخر من اغراض الدنيا التي يتوخاها الشعراء.

ونظم في الفخر والحماسة وذكر الحرب والتمدح بالشجاعة واكثر فكان الشاعر الوحيد الذي جمع الى متانة الشعر وحصافته صدق الدعوى في حماسته فلم يفخر الا بما فيه ولم يقل قولا لم يصدقه الفعل فهو اذا افتخر بقومه وعشيرته وبحروبه وشجاعته وبحلمه وصفحه وكرمه

وبذله وتحمس لا يفخر الا بما فيه ويقول قولاً صادقاً يطابق الفعل ولا يكون كاكثر الشعراءِ في حماستهم و كثير من أقوالهم في أنهم يقولون مالا يفعلون وان كان ربما تجاوز في بعض ذلك كقوله :

اذا امست نزار لنا عبيداً فان الناس كلهم نزار

وقوله :

حمدان جدي خير من وطئ الحصى وأبي سعيد في المكارم اوحد

ونظم في الاحتجاج والمناظرة فكان المتكلم الفريد الذي لا يفوقه الكميت في شعره الكلامي ولا علماء الكلام والجدل فيما دونوه في كتبهم الكلامية ابانت عن ذلك ميميته المشهورة المسماة بالشافية التي رد فيها على محمد بن سكرة العباسي باقوى رد وبرهان واوضح حجة وبيان وشحنها بالاحتجاجات والردود والاشارة الى الوقائع واطال فيها فكانت آية في البلاغة والمتانة والرصانة مع أن ذلك كما مر تحتاج الاجادة فيه الى قوة فائقة والا غلبت على الشعر الركة . ونظم في الصفات فابدع ومنظومته في وصف الطرد والقنص مع طولها أجاد فيها وأبدع . ونظم في الزهد والمواعظ والحكم فكان كأزهد زاهد وأكبر واعظ وأعظم حكيم وهو الفارس البطل الشجاع الفاتك الذي تغلب على مثله قساوة القلب والبعد عن الزهد والمواعظ والحكم . ونظم في المراسلات لاخوانه فكان عنوان الوفاء وطراز حفظ المودة والاخاء . ونظم الروميات فكانت فريدة في بابها في رقتها وكشفها عن طبع رقيق

وعاطفة شديدة ونفس كبيرة وهمة عالية . ونظم في شكوى الزمان وعتاب الاخوان والشوق الى الاهل والاوطان فأبدع ولم يعدالحقيقة ونظم في الاشارة الى القصص والأخبار والتواريخ فكشف نظمه فيها عن خبرة واسعة . وفي شعره الأمثال السائرة الكثيرة التي يتمثل بها الادباء في محافلهم والخطباء على منابرهم . ونظم في الألغاز وغير ذلك من فنون الشعر التي تجدها فيما سنتلوه عليك من شعره وأجاد وبلغ الغاية في كل ما عاناه من ضروب الشعر ولم تقتصر اجادته على ما مارسه او اتصف به من وصف الحروب والشجاعة والفخر . وقاما يوجد كتاب أدب او تاريخ او نحوها ليس فيه استشهادات من شعره

[نكتة طريفة]

في اليتيمة حكى بديع الزمان ابو الفضل الهمداني ان الصاحب ابا القاسم قال يوما لجلسائه وانا فيهم وقد جرى ذكر ابي فراس لا يقدر احد ان يزور على ابي فراس شعراً فقلت ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول :

رويدك لا تصل يدها بباعك ... ولا تعز السباع الى رباعك
ولا تعن العدو علي اني ... يمين ان قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب صدقت قلت ايد الله مولانا قد فعلت قال صاحب اليتيمة ولعمري انه قد أحسن ولم يشق غبار ابي فراس اهـ .

ديوان شعره

وديوان شعره قد جمعه ابو عبد الله الحسين بن محمد بن خالويه النحوي اللغوي وشرح الوقائع التي أشار اليها أبو فراس في شعره وذكر جملة من أخباره والموجود بايدي الناس هو برواية ابن خالويه جمعه غير مرتب على الحروف وقال في مقدمته بعد كلامه المتقدم في مدح أبي فراس : وما زال رحمه الله تعالى ايجابا لحق الادب في رعاية الصحابة والعلم باهل المخالصة يلقي الي دون الناس شعره ويحظر علي نشره حتى سبقتني به الركبان فجمعت منه ما ألقاه الي وشرحت من زبدة أخباره رضي الله عنه والايام المذكورة فيه ما أرجو ان يقرنه الله عز وجل بالصواب والرشاد بمنه ولطفه وطوله وقوته وحوله اه وهذا الديوان طبع في بيروت لاول مرة سنة ١٨٧٣م وحذف منه شروح ابن خالويه الا اقلها ونقص منه جملة من القصائد بتمامها ونقص من القصائد المذكورة فيه عدة أبيات وكان مشحونا بالاغلاط لعدم معرفة الواقفين على طبعه فجاء كثير من كلماته محرفا أو ناقصا أو غير ذلك من الاغلاط وهو بهذه الطبعة اول ديوان شعر قرأته وسني بين السبع والعشر وعلق بذهني منه شيء كثير لا أزال احفظه حتى اليوم وقد بلغت الثمانين من أعوام عمري ثم طبع للمرة الثانيه في بيروت سنه ١٩١٠ م وغير ترتيبه عما في الطبعة الاولى بالتقديم والتأخير وشاركت الطبعة الثانية الأولى في نقصان القصائد والابيات وفي الاغلاط وزادت

عليها في الغلط كثيرا وأفسده طابعه زيادة على الغلط بما علقه عليه من الشروح التي لا يكاد يمت شيء منها الى صواب. فمن طريف ماجاء فيها نذكره تفكهة للمطالع ونموذجا لتلك الشروح ما ذكره في شرح قوله (وخلى أمير المؤمنين عقيل) فقال أي خلى أمير المؤمنين سيف الدولة قبيلة عقيل الذين قادهم ندى بن جعفر وفي شرح (منكم علية أم منهم) ان علية اسم إمام من كبار المحدثين. وأدرج الأبيات الثلاثة التي قيلت في عبد الله بن طاهر وأولها (له يوم بؤس فيه للناس أبؤس) في ضمن قصيدة لأبي فراس الى غير ذلك مما يجده المطالع. وكم كنت متألماً أن لا يكون ديوان هذا الشاعر العربي العظيم النمذ مطبوعاً طبعاً متقناً صحيحاً كاملا فبحثت عن نسخه المخطوطة حتى وقع بيدي بتوفيقه تعالى منها أربع نسخ منها نسختان رتبهما كاتبهما على حروف المعجم والباقي غير مرتب واحداها ناقصة واشتركت ثلاث منها في ذكر الوقائع التي ذكرها ابن خالويه في الشرح كما اشتركت في الغلط والتحريف الذي يصعب معه معرفة الصواب الا أنني استطعت بعد مزيد التأمل والتعب الشديد ومقابلة النسخ بعضها ببعض ومراجعة الكتب أن أستخرج منها نسخة صحيحة كاملة مرتبة على حروف المعجم سالمة من الغلط والتحريف الا في مواضع يسيرة بقيت مستغلقة وشرحت ما استغلق من الفاظه اللغوية وما أشير اليه من الحوادث والوقائع الا قليلا منها لم يتيسر لي الاطلاع عليه كما أنني عثرت أثناء بحثي وتنقيبي في كتب الأدب

والتاريخ وغيرها على شعر له غير يسير خلت عنه هذه النسخ الاربع والمطبوعة فكانت هذه النسخة التي جمعتها نسخة فريدة في بابها خدمت بها الادب العربي وحاميت عن شعر هذا الشاعر العظيم أن تعبث به أيدي التحريف والتصحيف والنقصان ومثلتها للطبع فكان مجموع أبيات النسخة التي جمعتها (٣٤٣٠) بيتاً او ازيد بزيادة (١١٥٦) بيتاً عن النسخة المطبوعة البالغ عدد أبياتها ٢٢٧٤ بيتاً وأرجو أن لا يكون فاتني شيء من شعره بعد هذا التفتيش الطويل والتنقيب الكثير .

ومما يلاحظ في ديوان ابي فراس كثرة اختلاف نسخه كثرة مفرطة جداً حسبما رأيناه في النسخ التي عثرنا عليها وفي كتب الأدب (أولاً) في اللفظة الواحدة أو الجملة الواحدة أو البيت الواحد فتجدها مغيرة بما يرادفها أو يقارب معناها (ثانياً) في ترتيب الأبيات بالتقديم والتأخير (ثالثاً) في القصائد بالزيادة والنقصان (رابعاً) في بعض القصائد المتحدة الوزن والقافية ففي نسخة جعلت القصيدتان او اكثر قصيدة واحدة وفي اخرى قصيدتين الى غير ذلك مما يتعسر حصره . ويمكن كون سبب ذلك أنه القى شعره الى ابن خالويه . فجمعه ورتبه وغير بعض الفاظه الى ما رآه احسن وأسقط بعض الأبيات التي لم يرتضها وغير ترتيب بعضها بعد أن رخص له أبو فراس في جميع ذلك ويمكن أن يكون أبو فراس نفسه قد وقع منه هذا او بعضه وكانت هذه القصائد قد انتشرت وروتها الرواة على حالها الأول

فوقع الاختلاف من جراء ذلك ويمكن ان يكون وقع تغيير في الديوان من ابن خالويه أو من أبي فراس بعد انتشار نسخه فقد كان أبو فراس في عصر قد راج فيه سوق الشعر والادب رواجاً عظيما وكان لأبي فراس وعشيرته من الصيت ما يحمل الكثيرين على نسخ ديوانه ورواية شعره . وربما يرشد الى هذا قول ابن خالويه السابق : ويحظر على نشره حتى سبقتني به الركبان . ويمكن أن يكون ما القاه أبو فراس الى ابن خالويه من شعره قد نقص منه بعض القصائد أو المقطعات التي ذهل عنها أبو فراس ورواتها الرواة فالحقها الناس ببعض نسخ الديوان وبقي البعض الآخر خالياً عنها اما جعل القصيدتين واحدة فمن جهل الرواة . وبعد فراغي من جمع ديوان ابي فراس وترجمته زارني الشاب النابه الاديب سامي الدهان الحلبي . واستعاره مني فبقي عنده اياما وأخبرني أنه بذل جهوداً عظيمة في جمع ديوان ابي فراس وشرح ابن خالويه له فوقف على نحو خمسين نسخة منه في فرنسا والمانيا وانكلترة والمدينة المنورة ومصر واستانبول والشام وحلب وغيرها من العواصم والبلدان الاوربية والاسلامية وصرف في سبيل ذلك أموالاً طائلة وأوقاتا نفيسة وعانى أسفاراً الى هذه البلدان ومشقات في سبيل تحصيل نسخ الديوان حتى اخرج من مجموعها نسخة كاملة صحيحة وجمع بين الالفاظ المتعددة نسخها وراجع في اسماء الاماكن والأشخاص الرومية التي وجدت في شعره

ولم تضبط في الكتب العربية الاصول اليونانية وشرع في طبعه وأراني مما طبعه ١٧١ صفحة وهو جاد في اكمال طبعه فاعجبت بهمته وجهوده وشكرت له صنيعه . وعلمت أن الله تعالى بعد مرور أكثر من الف سنة من وفاة أَبي فراس شاء أن لا يبقى ديوان أبي فراس على ما كان عليه فسخرني وسخر هذا الشاب النبيل لاحياء ديوان أبي فراس ونشره من رمسه . وقد كتب الي عن اعماله في جمع هذا الديوان ماصورته :

طفت عواصم أوربا وحواضرها باحثاً منقباً في مكتباتها عن مخطوطات العصر الحمداني بصورة عامة ونسخ ديوان أبي فراس بصورة خاصة فوفقت بعد سياحة ثلاث سنوات إلى اكتشاف نسخ من ديوانه لاتعرف عنها فهارس المكتبات العامة إلا انها مخطوطات عربية لشاعر مجهول . وقد نوهت عن ذلك في إحدى مجلات أوربا وفي مؤتمر المستشرقين ببلجيكا ولفت النظر إلى العناية بها والحفظ عليها وقد وقعت على نسخة «الأم» في برلين فاخذت عنها الديوان رواية ابن خالويه ، وقابلت عليها نسخ انكلترا وايطاليا وفرنسا وهولندا وهي مع نسخ المانيا تبلغ العشرين ، وقد كاتبت الاستاذ المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في الحصول على نسخ لينغراد فتفضل عليّ بما طلبت واستجلبت نسختي فاس ورباط وزرت مصر فوجدت في الأزهر وفي التيمورية ودار الكتب المصرية خمس عشرة نسخة واكتشفت في الكنيسة المارونية بحلب نسخة ديوانه وأما نسخ استانبول فقد حصلت

على ما أريد منها .

ولقد ترجمت كتاب « دفورجاك » التشكي عن أبي فراس في مقدمته بطبعة يتيمة الدهر إلى الفرنسية وحصلت على أكثر من ستين مرجعاً من روسي والماني وانكليزي وايطالي وافرنسي وترجمتها الى العربية جميعاً .

وتفضلت علي الجمعيات العلمية في اوربا بمخطوطات المستشرقين الذين حاولوا طبع أبي فراس فحالت دون اتمامه المنية . كل ذلك الى مخطوطات تاريخية عن العصر الحمداني صورتها ونقلتها حتى تم لدي من ذلك كله شبه تمام المعلومات التي تهم عصر الشاعر الخالد .

ولقد بلغ عدد نسخ الديوان الخمسين والمخطوطات التاريخية الثلاثين والدراسات والمصادر ما يقرب من المائة . هذا والله يعلم اني أعتقد بنقص المصادر وفساد أكثر النسخ وقصور عملي هذا وفقري في العلم لا أدعي الكمال وتمام المعرفة ولم أقصد إلا نشر النسخ كما هي .

وقد قدمت بين يدي الطبعة بوصف النسخ بالفرنسية وتعداد الدراسات عن الشاعر وقيمتها وتحليل ما في الديوان وقدمت الدراسة الفرنسية هذه الى (السوربون) فكلفت الاستاذ بلانشير مؤلف « المتنبيء » أن ينقدها وكان من حظي أن أثنى عليها ووقعت من نفسه وفرح بصدورها لأنها تفتح أمامه آفاقاً جديدة للعصر الذي كرس له شبابه حين درس المتنبيء اهـ .

مختارات من شعره

الغزل والنسيب

قال ولا توجد في الديوان المطبوع

أيا من وجهه بدر   وفي الحاظـه سحر
ويا من جسمه ماء   ويا من قلبه صخر
لقد قام لدى العاذ   ل من وجهك لي عذر
فكاشفتك عن وجد   ي لما عزني الصبر
وما بحت بما القا   ه حتى انهتك الستر

وقال :

لبسنا رداء الليل والليل راضع   الى أن تردى رأسه بمشيب
وبتنا كغصني بانة عابثتهما   مع الصبح ريحا شمأل وجنوب
بحال ترد الحاسدين بغيظهم   وتطرف عنا طرف كل رقيب
الى ان بدا ضوء الصباح كأنه   مبادي نصول في عذار خضيب
فيا ليل قد فارقت غير مذمم   ويا صبح قد أقبلت غير حبيب

وقال ولا توجد في الديوان المطبوع :

تبسم إذ تبسم عن أقاح   وأسفر حين أسفر عن صباح
وأتحفني براح من رضاب   وراح من جنا خد وراح
فمن لألاء غرته صباحي   ومن صهباء ريقته اصطباحي

وله :

وظبي غرير في فؤادي كناسه | اذا اكتنست عين الفلاة وحورها
فمن خلقه اجيادها وعيونها | ومن خُلقه عصيانها ونفورها

وله وليست في الديوان المطبوع :

وبيض بألحاظ العيون كأنما | هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى | فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة | ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وله مسيء محسن طوراً وطوراً | فما أدري عدوي أم حبيبي
يقلب مقلة ويدير لحظا | به عرف البريء من المريب
وبعض الظالمين وان تناهى | شهي الظلم مغتفر الذنوب

وله الزمني ذنباً بلا ذنب | ولج في الهجران والعتب
أحاول الصبر على هجره | والصبر محظور على الصب
واكتم الوجد وقد اصبحت | عيناي عينيه على قلبي

وقال من قصيدة

عمم صباحاً وان غدوت خلاء | من ظباء فضحن فيك الظباء
كنت أستصعب الجفاء فاما | بعدوا سهل البعاد الجفاء
كلما أبلت الديار الليالي | عاد ذاك البلى علي بلاء

وقال في غلام نبت عذاره :

قد كان بدر السماء حسنا | والناس في حبه سواء

فزاده ربه عـذارا تم به الحسن والبهـاء
لا تعجبوا ربنا قدير يزيد في الخلق ما يشاء

وقال من قصيدة :

انا في حالتي وصال وهجر من اذى الحب في عذاب مذيب
بين قرب منغص بصدود ووصـال منغص برقيب

وله :

أساء فزادته الاساءة حظوة حبيب على ما كان منه حبيب
يعد علي الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوب
ألا أيها الجاني ونسأله الرضا ويا أيهـا المخطي ونحن نتوب
لحا الله من يرعاك في القرب وحده ويترك عهد الغيب حين تغيب

وله وليسا في الديوان المطبوع :

وشادن قال لي لما رأى سقمي وضعف جسمي والدمع الذي انسجما
اخذت دمعك من خدي وجسمك من خصري وسقمك من طرفي الذي انسقما

وقال وليسا في الديوان المطبوع :

أيا معافى من رسيس الهوى يهنيك حال السالم الغانم
اعانك الله بخير أما تكون لي عوناً على ظالمي

وقال وليسا في الديوان المطبوع :

لمـا تبينت بأني اله ازداد حبا كلما لاموا
وددت اذ ذاك بان الورى فيك مدى الأيام لوام

وقال وليسا في الديوان المطبوع :

ودعوا خشية الرقيب بإيما ء فودعت خشية اللوام
لم ابح بالوداع جهراً ولكن كان جفني فمي ودمعي كلامي

وقال :

من أين للرشأ الغرير الأحور في الخد مثل عذارك المتحدر
قمر كأن بعارضيه كليهما مسكا تساقط فوق ورد أحمر

وقال :

عدتني عن زيارته عواد أقل مخوفها سمر الرماح
ولواني اطعت رسيس شوقي ركبت اليه أعناق الرياح

وقال :

قمر دون حسنه الأقمار وكثيب من النقا مستعار
وغزال فيه نفار وما يشـ ـكر من شيمة الظباء النفار

وقال: اتتني منك أخبار وبانت منك أسرار
من السلوة في عينيـ ـك آيات وآثار
اراها منك بالقلب وللأحشاء أبصار
اذا ما برد الحب فما تسخنه النار

وقال :

وعارضني السحاب فقلت مهلا فاني من دموعي في سحاب
وانت اذا سكبت سكبت وقتاً ودمعي كل وقت في انسكاب

فهبك صدقت دمعك مثل دمعي فهل بك في الجوانح مثل ما بي

وقال :

فديت من أصبح أحبابه تخاف منه ما يخاف العدا
سبحان من حبب الحاظه الى محبيه وفيها الردى

وقال : نبوة الادلال ليست عندنا ذنباً يعد
قل لمن ليس له عهـ ـد لنا عهد وعقد
جملة تغني عن التفـ ـصيل مالي عنك بد
ان تغيرت فما غيـ ـر منا لك عهد

وقال :

أهدى الي صبابة وكآبة فأعادني كلف الفؤاد عميدا
ان الغزالة والغزالة أهدتا وجها اليك اذا طلعت وجيدا

وقال : ولقد علمت وما علمـ ـت وان أقمت على صدوده
ان الغزالة والغزا لة في ثناياه وجيده

وقال : يامعشر الناس هل لي مما لقيت مجير
أصاب غرة قلبي هذا الغزال الغرير
فعمر ليلي طويل وعمر نومي قصير
اسرت مني فؤادي يفديك ذاك الأسير

وقال :

ما ان تجدد لي يأس فيسليني الا تجدد لي في وصله طمع

لا احمل اللوم فيه والغرام معا   ما كلف الله نفسا فوق ما تسع

وقال : غلام فوق ما اصف   كأن قوامه ألف

اذا ما ماس يرعبني   اخاف عليه ينقصف

سروري عنده طمع   ودهري كله أسف

وقال :

الحزن مجتمع والصبر مفترق   والحب مختلف عندي ومتفق

ولي اذا كل عين نام صاحبها   عين تحالف فيها الدمع والارق

لولاك ياظبية الانس التي نظرت   لما وصلن الى مكروهي الحدق

لكن نظرت وقد سار الخليط ضحى   بناظر كل حسن منه مسترق

وقال :

يامن رضيت بفرط ظلمه   ودخلت طوعاً تحت حكمه

الله يعلم ما لقيـ   ـت من الهوى وكفى بعلمه

هب للمقر ذنوبه   واصفح له عن عظم جرمه

اني اعيذك ان تبو   ء بقتله وبحمل اثمه

وقال :

هبه أساء كما ذكرت فهب له   وارحم تضرعه وذل مقامه

بالله ربك لم فتكت بصبره   ونصرت بالهجران جيش سقامه

فرقت بين جفونه ومنامه   وجمعت بين نحوله وعظامه

وقال :

لا غرو ان فتنتك بالـ   ـلحظات فاترة الجفون

فمصارع العشاق ما | بين الفتور الى الفتون
اصبر فمن سنن الهوى | صبر الظنين على الضنين (١)

وقال: اشفقت من هجري فغلـ | ـبت الظنون على اليقين
وظننت بي فضننت لي | والظن من شيم الضنين

وقال: ما كنت تصبر بالقديـ | ـم فلم صبرت اليوم عنا
ولقد أسأت بك الظنو | ن لانه من ضن ظنا

وقال: الورد ما ينبت خداه | والسحر ما تفعل عيناه
حل رداء الحسن في وجهه | تطريزه منه عذاراه

وقال: قلبي يحن اليه | نعم ويحنو عليه
وما جنى او تجنى | الا اعتذرت اليه
فكيف املك قلبي | والقلب رهن لديه

وقال: الورد في وجنتيه | والسحر من مقلتيه
وان عصاني لساني | فالقلب طوع يديه

وقال: ولما أصبح الدمع | وقد باح بكتمان
وللناس على سري | من عيني عينان
تسامحت فلا اكتم | الا بعض اشجاني
وبالدارين انسان | له بالقلب داران
اذا ما ماس بالقرطق | يسعى بين أخدان

(١) الاول المتهم والثاني البخيل ـ المؤلف ـ

رأيت البدر قد بان على غصن من البان
الا يا صاحبي رحلي بالله اجيباني
ترى من لست أنساه على الحالات ينساني

وهذا الذي قاله من أن عيني العاشق عينان عليه قد أولع به و كرره في شعره فقال :

علي من عيني عينان تبوح للناس بكتماني
وجهك و البدر اذا ابرزا لاعين العالم بدران

وقال من قصيدة ليست في المطبوع وتأتي :

فعلام أكتم او أسر صبابتي وعلي من عيني لي عينان

وقال:

من لي بكتمان هوى شادن عيني له عين على قلبي
عرضت صبري وسلوي له فاستشهدا في طاعة الحب

وقال من أبيات مرت

واكتم الوجد وقد أصبحت عيناي عينيه على قلبي

وقال :

واذا يئست من الدنو رغبت في فرط البعاد
أرجو الشهادة في هوا ك لان روحي في جهاد

وقال :

و كنى الرسول عن الجواب تظرفا ولئن كنى فلقد علمنا ما عنى

قل يارسول ولا تحاش فانه لابد منه أساء بي أم أحسنا
الذنب لي فيما جناه لانني مكنته من مهجتي فتمكنا

وقال وفيه اشارة الى علم النجوم :

وشادن من بني كسرى شغفت به لو كان أنصفني في الحب ما جارا
كانما الشمس لي في القوس نازلة ان لم يزرني وفي الجوزاء ان زارا

وقال :

فو الله ماأحدثت في الحب سلوة ووالله ماحدثت نفسي بالصبر
وانك في عيني لابهى من الغنى وانك في قلبي لأحلى من النصر

وقال :

صبرت على اختيارك واضطراري وقل مع الهوى منك انتصاري
وكان يصاف حمل الضيم قلبي فقر على تحمله قراري

وقال :

فديتك طال ظلمك واحتمالي كما كثرت ذنوبك واعتذاري
وكم أبصرت من حسن ولكن عليك لشقوتي وقع اختياري

وقال :

ولي في كل يوم منك عتب أقوم به مقام الاعتذار
حملت هواك لا جلدا ولكن صبرت على اختيارك واضطراري

﴿ الفخر والحماسة ﴾

وقد أكثر في شعره من الفخر والحماسة وذكر الحرب حتى أنه لشدة ولوعه بذلك يمزجه بالغزل والنسيب وبكثير من فنون الشعر

والشريف الرضي في شعره هذه المزية فأبو فراس يقول وهو يتغزل:

أجملي يا ام عمرو   زادك الله جمالا
لا تبيعيني برخص   ان في مثلي يغالى
انا ان جدت بوصل   أحسن العالم حالا

قال ابن خالويه : كثرت وقائع سيف الدولة بالعرب في كل أرض فتجمعت نزاريها ويمانيها وتشاكت ما لحقها وتراسلت واتفقت على الاجتماع بسلمية لمقاتلته وقتلت عامله بقنسرين الصباح عبد عمارة الحارفي فنهض سيف الدولة ومعه ابن عمه أبو فراس حتى أوقع بهم وعليهم يومئذ الندى بن جعفر ومحمد بن بزيع العقيليان من آل المهنا فهزمهم وقتل وجوههم واتبع فلهم وقدم أبا فراس في قطعة من الجيش يتبعهم ويقتل ويأسر فلم ينج منهم الا من سبق به فرسه واتبعهم سيف الدولة وأبو فراس حتى ألحقوهم بالسماوة . وانكفأ سيف الدولة الى بني نمير وهي بالجزيرة فوجدها خاضعة ذليلة تعطي الرضا وتنزل على الحكم فصفح عنهم واحلهم بالجزيرة فقال أبو فراس من قصيدة يذكر الحال والمنازل ويصف مواقفه فيها وكان قد حسن بلاؤه في تلك الوقعة . وهي من غرر شعره :

أبت عبراته الا انسكابا   ونار ضلوعه الا التهابا
ومن حق الطلول علي أن لا   أغب من الدموع لها سحابا
وما قصرت عن تسآل ربع   ولكني سألت فما أجابا

رأَيت الشيب لاح فقلت أهلا ووَدعت الغواية والشبابا
وما أن شبت من كبر ولكن لقيت من الأَحبة ما أشابا
بعثن من الهموم الي ركبا وصيرن الصدود له ركابا
الم ترنا أعز الناس جارا وأمنعهم وأمرعهم جنابا
لنا الجبل المطل على نزار حللنا النجد منه والهضابا
يفضلنا الانام ولا نحاشي ونوصف بالجميل ولا نحابي
وقد عامت ربيعة بل نزار بأنا الرأس والناس الذنابي
ولما أن طغت سفهاء كعب فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب (١) غير أنا اذا جارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيجت آساداً غضابا
أسنته اذا لاقى طعانا صوارمه اذا لاقى ضرابا
دعانا والأَسنة مشرعات فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام اذا أصابت مراميها فراميها أصابا
عبرن بماسح والليل طفل وجئن الى سلمية حين شابا (٢)
تناهبن الثناء بصبر يوم به الارواح تنتهب انتهابا

(١) الحرائب جمع حريبة . في الصحاح حريبة الرجل ماله الذي يعيش به
(٢) (عبرن) الضمير راجع الى الخيل المفهومة من سوق الكلام (وتل ماسح) قرية من نواحي حلب (وسلمية) بليدة بناحية البرية من اعمال حماه .
ـ المؤلف ـ

وقاد ندى بن جعفر من عقيل شعوبا قد أسلن بها الشعابا
فما كانوا لنا الا اسارى وما كانت لنا الا نهابا
كأن ندى بن جعفر قاد منهم هدايا لم يرغ عنها ثوابا (١)
وشدوا رأيهم ببني (٢) بزيع نخابوا لا أبا لهم وخابا
فلما اشتدت الهيجاء كنا اشد مخالبا وأحد نابا
وامنع جانباً وأعز جاراً واوفى ذمة وأقل عابا
قرينا بالسماوة من عقيل سباع الارض والطير السغابا
وبالصباح والصباح عبد قتلنا من لبابهم اللبابا
تركنا في بيوت بنى المهنا نوادب ينتحبن بها انتحابا
وأبعدنا لسوء الفعل كعبا وادنينا لطاعتها كلابا
وسرنا بالخيول الى نمير تجاذبنا اعنتها جذابا
امام مشيع سمح بنفس يعز على العشيرة ان يصابا
وما ضاقت مذاهبه ولكن يهاب من الحمية ان يهابا
ويأمرنا فنكفيه الاعادي همام لو يشا لكفى ونابا

---

(١) الهدايا جمع هدي وهو ما يساق لينحر بمكة او بمنى (ولم يرغ) اي لم يطلب شبه قيادة رئيسهم لهم الى الحرب بقود الهدايا ولكن الهدايا يطلب بها الثواب اما هؤلاء فلم يطلب قائدهم عنهم ثوابا

(٢) بني تصغير ابن خففت الياء لضرورة الشعر هكذا في اكثر النسخ وفي بعضها بابني وهو خطأ لان الذي شدوا رايهم به هو محمد بن بزيع وهو واحد ـ المؤلف ـ

فلما أيقنو أن لا غياث ... دعوه للمغوثة فاستجابا
وعاد الى الجميل لهم فعادوا ... وقد مدوا لما يهوى الرقابا
أمر عليهم خوفا وأمنا ... اذاقهم به أريا وصابا
احلهم الجزيرة بعد يأس ... اخو حلم اذا ملك العقابا
ولو شئنا حميناها البوادي ... كما تحمي اسود الغاب غابا
اذا ما أنفذ الامراء جيشاً ... الى الاعداء أنفذنا كتابا
انا ابن الضاربين الهام قدما ... اذا كره المحامون الضرابا
الم تعلم ومثلك قال حقا ... بأني كنت أثقبها شهابا

وقال يفتخر من قصيدة

انخت وصاحباي بذي طلوح ... طلائح شفها وخد القفار
ولا ماء سوى نطف الروايا ... ولا زاد سوى القنص المثار
فلما لاح بعد الأين سلع ... ذكرت منازلي وعرفت داري
الم بنا وجنح الليل داج ... خيال زار وهنا من نوار
اباخلة علي وأنت جار ... وواصلة على بعد المزار
تلاعب بي على بزل المطايا ... خلائق لا تقر على الصغار
ونفس دون مطلبها الثريا ... وكف دونها فيض البحار
ارى نفسي تطالبني بأمر ... قليل دون غايته اقتصاري
وما يغنيك من همم طوال ... اذا اقترنت باحوال قصار
علي لكل هم كل عنس ... امون الرحل موخدة القفار

وخراج من الغمرات خرق ... ابو شبلين محمي الذمار
شديد تحيف الايام واف ... على علاته عف الازار
فلا نزلت بي الجيران ان لم ... اجاورها مجاورة البحار
ولا صحبتني الفرسان ان لم ... أصاحبها بمأمون الفرار
ولا خافتني الاملاك ان لم ... أصبحها بملتف الغبار
بجيش لا يحل بهم مغير ... ورأي لا يغبهم مغار
شددت على الحمامة كور رحل ... بعيد حله دون اليسار
تحف بي الاسنة والعوالي ... ومضمرة المهارى والمهار (١)
وتخفق حولي الرايات حمراً ... وتتبعني الخضارم من نزار
عزيز حيث حط السير رحلي ... تداريني الأنام ولا أداري
وأهلي من انخت اليه عيسي ... وداري حيث كنت من الديار

وقال يفتخر من قصيدة ولا توجد في الديوان المطبوع :

لقد نزحت بالغيد خوص الركائب ... وقد غادرتني فرصة للنوائب
وما كنت أدري ما جناية بينهم ... على القلب حتى جد سير الركائب
ومن كان مشغولاً بود خريدة ... وحث كؤوس أو وصال حبائب
فما لي الا البيض والبيض والقنا ... وجرد كرام محضرات الجوانب
ولا أنا وان عند مختلف القنا ... ولا بجبان عند زحف الكتائب

(١) المهارى جمع مهرية نوع من الأبل منسوبة الى مهر بن حيدان بالفتح حي من العرب والمهار جمع مهر وهو ولد الفرس ـ المؤلف ـ

وقد ألبستني كل حال لباسها ... واحكمني طول السرى بالتجارب
وعرفني عرف الخطوب ونكرها ... تصرف أيام أتت بالعجائب
ولو رضيت نفسي المقام لاقصرت ... ولكنها معقودة بالكواكب
ولو أنها لانت لخفض معيشة ... أطاعت مقالات الغواني الكواعب
ولكن نفسي لا تجيب الى الرضا ... بغير الرضا من عاليات المناصب
واني لمن قوم كرام اصولهم ... بهاليل ابطال كرام المناسب
ولو لا رسول الله كان اعتزاؤنا ... لاشرف بيت من لؤي بن غالب

وقال يفتخر :

ومعود للكر في حمس الوغى ... غادرته والفر من عاداته
حمل القناة على أغر سميذع ... دخال ما بين الفتى وقناته
لا أطلب الرزق الدنيء مناله ... قوت الهوان أقل من مقتاته
علقت بنات الدهر(١) تطلب ساحتي ... لما فضلت بنيه في حالاته
فالبيض ترميني بيض رجالها ... والدهر يطرقني بسود بناته(٢)

وقال :

ألا ليت قومي والاماني كثيرة ... شهودي والأرواح غير لوابث
غداة تناديني الفوارس والقنا ... ترد الى حد الظبا كل ناكث
احارث ان لم تصدر الرمح قانيا ... ولم تدفع الجلى فلست بحارث

وقال :

احسن من قهوة معتقة ... بكف ظبي مقرطق غنج

---

(١) بنات الدهر مصائبه (٢) اي بمصائبه ـ المؤلف ـ

صوت قراع في وسط معمعة قد صبغ الارض من دم المهج

وقال :

اما الخليط فتهم أَو منجد فاذرف فهل لك غير دمعك منجد
عرج على ربع بمنعرج اللوى واسأله ما فعل الظباء الخرد
ايام يدعوني الهوى فاجيبه ومغازلي فيها الغزال الاغيد
رحلوا فاخلق ربعهم وصبابتي ابدا لاخلاق الربوع تجدد
من كل شمس في الخدور اذا بدت كادت لها الشمس المنيرة تسجد
وتحالفاني حين زمت عيسهم دمع يفيض وحسرة تتردد
ياعاذلي كف الملام فانه لايستطاع على الفراق تجلد
واذا الهموم تناصرت لم يفنها الا العذافرة الامون الجلعد
واخو ملمات تسدد فعله همم مثقفة وعزم محصد (١)
خرق اذا اقتحم الغبار رأيته كالسيف الا أنه لا يغمد

وكان أَبو أحمد عبد الله بن محمد بن ورقاء الشيباني قال قصيدة يهنئ بها سيف الدولة بظفره في بعض وقائعه ويفاخر فيها مضر ببكر وتغلب وذكر أيامها في الجاهلية والاسلام فعمل أبو فراس قصيدة يذكر فيها آباءه وأسلافه وأَهله الاقربين في الاسلام ويرد على أبي أحمد في افتخاره بآبائه الابعدين في الجاهلية والاسلام وهي تزيد على (٢٤٠) بيتاً فانتخبنا شيئاً منها في الغزل ووصف الناقة والآداب والحكم والحماسة

(١) محصد اي محكم من قولهم حبل محصد اي مفتول محكم الفتال ـ المؤلف ـ

وغيرها قال :

لعل خيال العامرية زائر فيَسعَد مهجور و يُسعِد هاجر
واني على طول الشماس عن الصبا احن وتصبيني اليها الجآذر
وفي كلتي ذاك الخباء خريدة لها من طعان الدارعين ستائر
تقول اذا ما جئتها متدرعا ازائر شوق أنت أم أنت ثائر
تثنت فغصن ناعم أم شمائل وولت فليل فاحم أم غدائر
وقد كنت لا ارضى من الوصل بالرضى ليالي ما بيني وبينك عامر
فاما وقد طال الصدود فانه يقر بعيني الخيال المزاور
تنام فتاة الحي عني خلية وقد كثرت حولي البواكي السواهر
وما هي الا نظرة ما احتسبتها بعدان(١) صارت بي اليها المصاير
ظللت بها والركب والحي كله حيارى الى وجه به الحسن حائر
وما سفرت عن ريق الحسن انما نمن على ما تحتهن المعاجر
ويا عمتي مالي ومالك كلما هممت بامر هم لي منك زاجر
فيا نفس ما لاقيت من ألم الجوى ويا قلب ما جرّت عليك النواظر
كأن الحجى والصون والعقل والتقى لدي لربات الحجال ضرائر
وهن وان جانبت ما يبتغينه حبائب عندي منذ كن أثاير
وكم ليلة خضت الأسنة نحوها وما هدأت عين ولا نام سامر
فلما خلونا يعلم الله وحده لقد كرمت نجوى وعفت سرائر

(١) عدان في معجم البلدان مدينة كانت على الفرات لأخت الزباء

وبت يظن الناس في ظنونهم وثوبي مما يرجم الناس طاهر
ولا ريبة الا الحديث كانه جمان وهى أو لؤلؤ متناثر
وكم ليلة ماشيت بدر تمامها الى الصبح لم يشعر بأمري شاعر
أقول وقد ضج الحلي وأشرفت ـ ولم اروعها ـ للصباح بشاير
ايا رب حتى الحلي مما نخافه وحتى بياض الصبح مما نحاذر
ولي فيك من فرط الصبابة آمر ودونك من حسن التصون زاجر
وراءك عني انما عفة الفتى اذا عف عن لذاته وهو قادر
نفى الهم عني همة عدوية وقلب على ماشئت منه مؤازر
واسمر مما ينبت الخط ذابل وأبيض مما تطبع الهند باتر
وقلب تقر الحرب وهو محارب وعزم يقيم الجسم وهو مسافر
ونفس لها في كل أرض لبانة وفي كل حي أسرة ومعاشر
اذا لم أجد في كل أرض عشيرة فان الكرام للكرام عشائر
ولاحقة الأطلين من نسل لاحق امينة ما نيطت عليه الحوافر (١)
من اللاء تأبى أن تعاند ربها اذا حسرت عند المغار المآزر (٢)
وخرقاء ورقاء بطيء كلالها تكلف بي مالا تطيق الاباعر (٣)

(١) الاطلين تثنية اطل بالكسر وهي الخاصرة ولاحقة الاطلين اي ضامرتها ولاحق اسم فرس ونيطت اي علقت (٢) حسرت المآزر اي القيت وهي كناية عن اشتداد الامر (٣) الخرقاء من النوق التي لا تتعاهد مواضع قوائمها لنشاطها (والورقاء) التي في لونها بياض الى سواد . ـ المؤلف ـ

غريرية صافت شقائق دابق ... مدى قيظها حتى تصرم ناجر (١)
وحمضها الراعي بميثاء برهة ... تناول من خضرافه وتغادر (٢)
أقامت به شيبان ثمة ضمنت ... بقية صفوان قراها المناضر (٣)
وخوضها بطن السلوطح ريثما ... اديرت بملحان الشهور الدوائر (٤)
فجاء بكوماء اذا هي أقبلت ... ظننت عليها رحلها وهي حاسر
فيا بعد ما بين الكلال وبينها ... ويا قرب ما يرجو عليها المسافر
دع الوطن المألوف رابك أهله ... وعد عن الاهل الذين تكاشروا
فاهلك من أصفى وودك ما صفا ... وان نزحت دار وقلت نواصر
تبوأت من قرمي معد كليهما ... مكانا أراني كيف تبنى المفاخر
لئن كان أصلي من سعيد نجاره ... ففرعي بسيف الدولة القرم ناضر
وما كان لولاه لينفع أول ... اذا لم يزين أول المجد آخر
لعمرك ما الابصار تنفع أهلها ... اذا لم يكن للمبصرين بصائر

---

(١) الغريرية بالغين المعجمة المضمومة والراء المفتوحة منسوبة الى غرير كزبير فحل من الابل وصافت شقائق دابق أقامت فيها في الصيف ويمكن ان تكون ضافت بالضاد المعجمة (ودابق) بلدة بحلب (وناجر) كل شهر من اشهر الصيف من النجر وهو الحر (٢) حمضها اطعمها الحمض وهو كل نبت مالح (وميثاء) ناحية بالشام (والخضراف) نبت (٣) شيبان احد الشهرين اللذين هما اشد الشهور برداً سمي بذلك لابيضاض الارض بما فيه من الثلج (وصفوان) ثاني ايام البرد سمي بذلك لصفاء السماء فيه عن الغيم (٤) السلوطح موضع بالجزيرة (وملحان) احد الشهرين اللذين هما اشد الشهور بردا .

ـ المؤلف ـ

وهل ينفع الخطي غير مثقف وتظهر الا بالصقال الجواهر
وكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والوفر وافر
اناضل عن أحساب قومي بفضله وأفخر حتى لا أرى من يفاخر
علي لابكار الكلام وعونه مفاخر تفنيه وتبقى مفاخر
انا الحارث المختار من نسل حارث اذا لم يسد في القوم الا الاخاير
فان تمض أشياخي فلم يمض مجدها ولا دثرت تلك العلا والمآثر
نشيد كما شادوا ونبني كما بنوا لنا شرف ماض وآخر غابر
وفينا لدين الله عز ومنعة ومنا لدين الله سيف وناصر(١)
اذا ذكرت يوما غطاريف وائل فنحن أعاليها ونحن الجماهر

وقال :

سلي عني سراة بني معد بباس عند مشتجر العوالي
لقيناهم باسياف قصار كفين مؤونة الاسل الطوال
وعادوا سامعين لنا فعدنا الى المعهود من شرف الفعال
ونحن متى رضينا بعد سخط اسونا ما جرحنا بالنوال

وقال :

لنا بيت على عنق الثريا بعيد مذاهب الاطناب سامي
تظلله الفوارس بالعوالي وتفرشه الولائد بالطعام

وقال :

باطراف المثقفة العوالي تفردنا باوساط المعالي

---

(١) أراد بهما ابني عمه سيف الدولة واخاه ناصر الدولة ـ المؤلف ـ

وما تحلو مجانِي العز يوما   اذا لم تجنها سمر العوالي
ممالكنا مكاسبنا اذا ما   توارثها رجال عن رجال

وقال من قصيدة :

وما كل طلاب من الناس بالغ   ولا كل سيار الى المجد واصل
وما المرء الا حيث يجعل نفسه   واني لها فوق السماكين جاعل
وللوفر متلاف وللحمد جامع   وللشر تراك وللخير فاعل

وقال :

اذا مررت بواد جاش غاربه   فاعقل قلوصك وانزل ذاك وادينا
وان عبرت بناد لا تطيف به   اهل السفاهة فاجلس فهو نادينا
تجفل الشول بعد الخمس صادية   اذا سمعن على الامواه حادينا
ويصبح الضيف أولانا بمنزلنا   نرضى بذاك ويمضي حكمه فينا

وقال: اطرح الامر الينا   واحمل الكل علينا
اننا قوم اذا ما   صعب الامر كفينا
واذا ما ريم منا   موضع الذل أبينا
واذا ما هدم الـ   ـعز بنو العز بنينا

وقال وقد أوقع ببني كلاب :

ابلغ بني حمدان في بلدانها   كهولها والغر من شبانها
يوم طردت الخيل عن أظعانها   وسقت من قيس ومن جيرانها
ذوي علاها وذوي طعانها   حتى اذا قل غنى شجعانها

طاردني عنها وعن اتيانها حرائر رغبت في صيانها
استعمل الشدة في أوانها وأغفر الزلة في إبانها

وقال من أبيات :

سلي عني نساء بني معد يقلن بما رأين وما سمعنه
الست امدهم لذرى ظلال واوسعهم لدى الاضياف جفنه
واثبتهم لدى الحدثان جأشا واسرعهم الى الفرسان طعنه
متى ما يدن من اجل كتابي امت بين الاسنة والاعنه

وقال :

لقد علمت سراة الحي انا لنا الجبل الممنع جانباه
يفيء الراغبون الى ذراه ويأوي الخائفون الى حماه

وقال وقد أوقع ببني كلاب وأسر مصعبا الطائي وسألته أم بسام فصفح عن الأموال من أبيات

جار نزعناه قسرا في بيوتكم والخيل تعصب فرسانا بفرسان
بالمرج اذا ام بسام تناشدني بنات عمك يا حار بن حمدان
فظلت أثني صدور الخيل ساهمة بكل مضطغن بالحقد ملآن
ونحن قوم اذا عدنا بسيئة على العشيرة عقبنا باحسان

قال ابن خالويه : غزا الأمير سيف الدولة في سنة ٣٣٩ واوغل في بلد الروم وفتح صارخة واحرقها (وهي مدينة بالروم بينها وبين القسطنطينية سبعة أيام) واوقع بالدمستق فهزمه واسر عدة من البطارقة

وغيرهم وعاد ظافرا غانما فتبعه العدو فاخذ عليه الدرب فتخلى عن بعض السواد وقتل البطارقة وعاد فقال ابو فراس يصف الغزوة ويفتخر ويذكر غزواته بالروم من قصيدة وليست في الديوان المطبوع :

لا عز الا بالحسام المخذم ... وضراب كل مدجج مستلئم
وقراع كل كتيبة بكتيبة ... ولقاء كل عرمرم بعرمرم
ولقد رضعت من الزمان لبانه ... وعرفت كل معوج ومقوم
وقطعت كل تنوفة لم يلقها ... قدم ولم تقرع بباطن منسم
واهنت نفسي للرماح وانه ... من لم يهن بين القنا لم يكرم
ورأيت عمري لا يزيد تاخري ... فيه ولا يفنيه فضل تقدمي
ولقومي الشرف المنيع محله ... فوق المجرة والسماك المرزم
ورثوا الرياسة كابرا عن كابر ... من عهد عاد في الزمان وجرهم
ظفروا بها بالسيف أول مرة ... وبقاؤها بالسيف اصبح فيهم
نحن البحار بل البحار مياهها ... ملح وموردنا لذيذ المطعم
لما برزنا للدمستق مرة ... ورأى بوادر خيلنا كالاسهم
طلب النجاة بنفسه فتحكمت ... في جيشه الاسياف أي تحكم
ما كان بعض قلوبنا في جسمه ... فيكون اثبت من هضاب يلملم
لولا الجواد الادهم الناجي به ... اضحت قوائم رجله في الادهم
ولئن نجا فرجاله وحماته ... مابين مصفود وبين مكلم
لبسوا الحديد بزعمهم وبودهم ... ان لم يكن ذاك الحلي عليهم

سل أهل خرشنة تجبك نساؤهم كم ثاكل منها و كم من أيم
عهدي بها والنار في جنباتها وكأنها صدر المشوق المغرم
كذات حجل ما رآها الناس قد برزت لأعينهم بأنف مرغم

ويقول فيها في مدح سيف الدولة :

يا ابن الذوائب من نزار والاولى شادوا بيوت مناقب لم تهدم
عز الانام وأنت تعلم أنه ما إن ينال العز من لم يعزم
وأزرت صارخة(١) الخيول فيا لها من زورة طلعت بطير أشأم
أحرقت أهليها بها فتركتهم في جمرها المتلهب المتضرم
فكأنما عجلت ما قد أوعدوا يوم القيامة من عذاب جهنم
وملكت حصون عيون جيحان وقد اعيا الورى في دهره المتقدم
فكأنما امتدت يمينك صاعداً في الجو حتى حزت بعض الأنجم
حتى اذا ما آب جيشك قافلا ضل الدليل عن الطريق الاقوم(٢)
فتطرقوا بعض السواد تلصصا والليل يسترهم بثوب مظلم
ما قابلوك ولو رأوك تجاهم اشبعت منهم كل نسر قشعم
والعود أحمد والليالي بيننا وغدا نروح معتبين اليهم
يا سيف سيف الدولة الماضي اذا نبت السيوف وخان كل مصمم

(١) صارخه مدينة بالروم بينها وبين القسطنطينية سبعة ايام (٢) يشير بهذا البيت والابيات الثلاثة بعده الى ما حصل لجيش سيف الدوله وهو عائد من غزو الروم من ان دليله ضل الطريق فدخل في مضيق صعب واغتنمت الروم فرصة غيابه فعاثوا في بعض السواد ـ المؤلف ـ

إرم الكتائب بي فانك عالم انى اخو الهيجاء غير مذمم
وعلي أن التي الفوارس معلما وعلو جدك عدتي وعرمرمي
انا سيفك الماضي وليس بقاطع سيف اذا ما لم يشد بمعصم

ويقول فيها في أسر داود بن عمار بن داود بن حمدان :

قل لابن عمار بن داود (١) وما قول العليم كقول من لم يعلم
ان بت ترسف في الحديد فطالما امسيت توضع بالحديد الى الكمي
ولئن أُصبت لقد أَصبت من العدى عدد الحصى وعفوت عفو المنعم
قالوا الفداء ولا فداء بيننا الا بحكم المشرفي المخذم
هيهات لا صلح وقد بقيت لنا بيض رقيقات الظبى لم تثلم
عزماً بنا ان الحسام ليكافل بنفوسهم وشبا الاصم اللهذم
صبرا أبا العباس انا معشر صبر على صرف الزمان المجرم
ياسيف دين الله غير مدافع أغضب لدين الله ربك واعزم
فاذا سلمت فكل شيء سالم واذا بقيت فاننا في أنعم
اعطيت من غنم الغنيمة غنمه وجعلت مالك مال من لم يغنم

وقال مفتخراً من قصيدة :

وقوفك في الديار عليك عار وقد رد الشباب المستعار
ابعد الأربعين محرمات تماد في الصبابة واغترار

(١) الذي ظهر لنا ان ابن عماراً هذا اسمه داود بن عمار بن داود بن حمدان كما اوضحناه عند ذكر الروميات عند قوله :
اوما كشفت عن ابن دا ودثقيلات الكبول ـ المؤلف ـ

وطال الليل بي ولرب دهر نعمت به لياليه قصار
وقال الغانيات سلا غلاما فكيف به وقد شاب العذار
وكم من ليلة لم أرو منها حننت لها وأرقني ادكار
قضاني الدين ماطله ووافى الي بها الفؤاد المستطار
الى أن رق ثوب الليل عنا وقالت قم فقد برد السوار
وولت تسرق اللحظات نحوي بملتفت كما التفت الصوار (١)
وقد عاديت ضوء الصبح حتى لطرفي عن مطالعه ازورار
ومضطغن يراود في عيبا سيلقاه اذا سكنت وبار (٢)
اذا ما العز أصبح في مكان سموت له وان بعد المزار
مقامي حيث لا أهوى قليل ونومي عند من أقلي غرار
ابت لي همتي وغرار سيفي وعزمي والمطية والقفار
ونفس لا تجاورها الدنايا وعرض لا يرف عليه عار
وقوم مثل من صحبوا كرام وخيل مثل من حملت خيار
وخيل خف جانبها فلما ذكرنا بينها نسي الفرار
وكم ملك نزعنا الملك عنه وجبار بها دمه جبار
فقد أصبحن والدنيا جميعا لنا دار ومن تحويه جار
اذا أمست نزار لنا عبيداً فان الناس كلهم نزار

(١) الصوار ككتاب وغراب القطيع من بقر الوحش (٢) وبار بفتح الواو ارض بين اليمن ورمال يبرين وهي ارض عاد لا يسكنها احد ـ المؤلف ـ

وقال من قصيدة :

نعم تلك بين الواديين الخواتل ... وذلك شاء دونهن وجامل (١)
فما كنت اذ بانوا بنفسك فاعلا ... فدونكه ان الخليط لزائل
كأن ابنة القيسي في أخواتها ... خذول تراعيها الظباء الخواذل (٢)
قشيرية (٣) قتريه (٤) بدوية ... لها بين أثناء الضلوع منازل
هوانا غريب شزب الخيل والقنا ... لنا كتب والباترات رسائل
اغرن على قلبي بخيل من الهوى ... فطارد عنهن الغزال المغازل
باسهم لفظ لم تركب نصالها ... واسياف لحظ ما جلتها الصياقل
وقائع قتلى الحب فيها كثيرة ... ولم يشتهر سيف ولا هز ذابل
اراميتي كل السهام مصيبة ... وانت لي الرامي فكلي مقاتل
واني لمقدام وعندك هائب ... وفي الحي سحبان وعندك باقل
يضل علي القول ان زرت دارها ... ويعزب عني وجه ما أنا فاعل
وحجتها العليا على كل حالة ... فباطلها حق وحقي باطل
تطالبني بيض الصوارم والقنا ... بما وعدت جدي في المخايل
ولا ذنب لي ان الفؤاد لصارم ... وان الحسام المشرفي لفاصل
وان الحصان الوالقي (٥) لضامر ... وان الاصم السمهري لعاسل

---

(١) الخواتل جمع خاتلة من الختل وهو الخدع (والشاء) الشياة الكثيرة (والجامل) القطيع من الجمال (٢) الخذول الظبية تخلفت عن صواحبها وانفردت (٣) قشيرية منسوبة الى بني قشير (٤) قترية منسوبة الى قتيرة كجهينة ابو قبيلة (٥) الوالقي فرس لخزاعة ـ المؤلف ـ

ولكن دهرا دافعتني خطوبه ... كما دفع الدين الغريم المماطل
واخلاف أيام اذا ما انتجعتها ... حلبت بكيات وهن حوافل(١)
ولو نيلت الدنيا بفضل منحتها ... فضائل تحويها وتبقى فضائل
ولكنها الايام تجري كما جرت ... فيسفل أعلاها وتعلو الاسافل
لقد قل أن تلقى من الناس مجملا ... وأخشى قريبا ان يقل المجامل
ولست بجهم الوجه في وجه صاحبي ... ولا قائل للضيف هل أنت راحل
ولكن قراه ما تشهى ورفده ... ولو سأل الاعمار ما هو سائل
ينال اختيار الصفح عن كل مذنب ... له عندنا ما لا تنال الوسائل
لنا عقب الامر الذي في صدوره ... تطاول أعناق العدى والكواهل
اصاغرنا في المكرمات أكابر ... وآخرنا في المأثرات أوائل
اذا صلت صولا لم أجد لي مصاولا ... وان قلت قولا لم أجد من يقاول

وقال من قصيدة وليست في الديوان المطبوع

البين بين ما يجن جناني ... والبعد جدد بعد كم أحزاني
وبلى الرسوم الدارسات بذي الغضا ... اغرى بي الكمد الذي أبلاني
قل الديار بجانب الصمان ... بلسان دمع لا بلفظ لسان
آسى بان ابكيت عيني لا بكت ... عين عليك بغير دمع قاني
ولئن جزعت فلست أول جازع ... لما فنيت وكل شيء فاني

(١) الاخلاف جمع خلف بالكسر وهو حلمة الضرع (والبكيات) القليلة اللبن (والحوافل) الملأى من اللبن ـ المؤلف ـ

اوما رأيت غداة مخنية اللوى ما بي من البرحاء والأشجان
الوى اللوى بجميل صبري في اللوى ودعا حنيني أبرق الحنان
ولقد سألت الربع عن سكانه لو كان يخبرني عن السكان
وسؤال ما لا يستطيع جوابه لمسائل ضرب من الهذيان
ما بحت بالكتمان حتى عزني فيض الدموع فبحت بالكتمان
فعلام أكتم أو أسر صبابتي وعلي من عيني لي عينان
ان الغواني يوم منعرج اللوى شردن طيب النوم عن أجفاني
بيض كامثال الدمى فتخالها اقمار ليل في ذرى أغصان
خالفت قول العاذلين على الهوى ونهى غرام الحب من ينهاني
ولئن سلوت عن الاحبة نائياً ما غرد القمري في الافنان
فهراق فيك دمي حسام مكذب(١) عن قرنه وشبا سنان جبان
وتنوفة قذف يحار بها القطا جاوزتها بجلالة مذعان[٢]
تطوي الفلاة باربع مجدولة وتنال شأو الريح بالذملان
هذا وكم من غمة كشفتها بشبا الضبا ونوافذ الخرصان
متجردا فيها بغير مساعد غير الجواد ومرهف وسنان
فاذا بطشت بطشت ليثا باسلا واذا نطقت نطقت عن تبيان
واذا قصدت لحاجة لم يثنني خوف الردى وتصرف الازمان

(١) مكذب محجم (٢) التنوفة الفلاة وقذف) بضمتين او بفتحتين بعيدة
(والجلالة) بضم الجيم الناقة العظيمة [ومذعان] منقادة سلسة ـ المؤلف ـ

واذا فخرت فخرت بالشم الأولى … شادوا المكارم من بني حمدان
نحن الملوك بنو الملوك اولي العلا … ومعادن السادات من عدنان
والمجد يعلم أننا أركانه … والبيت معتدل على الاركان
قومي متى تخبرهم لم يحسنوا … غير اصطناع العرف والاحسان
كم معدم أغنوا بفضل سماحهم … كرما وفكوا من أسير عاني

وقال يفتخر وقد ظفر ببني نمير من أبيات

لنا الدنيا فما شئنا حلال … لساكنه وما شئنا حرام
وينفذ أمرنا في كل حي … فيقصيه ويدنيه الكلام
الم تخبرك خيلك عن مقامي … ببالس يوم ضاق بها المقام
وولت تلتقي بعضا ببعض … لهم في الارض واسعة زحام
احلكم بدار الضيم قسرا … همام لا يقاس به همام

وقال يفتخر من قصيدة وليست في الديوان المطبوع

اما ودموعي بين تلك المعالم … وشوقي الى تلك الخدود النواعم
لقد أورثوني يوم بانوا صبابة … وناموا وجفني بعدهم غير نائم
واني ينام الليل من بات همه … طلاب المعالي في شدوق الاراقم
اذار الألى شطت بهم غربة النوى … سقتك الغوادي من متون الغمائم
ابيني لنا أين الذين عهدتهم … ليالي ريب الدهر ليس بظالمي
كفى حزنا ان غالني الدهر فيهم … برغمي وما هذا الزمان براغم
غشوم فلا ذو الفضل ينجيه فضله … لديه ولا ذو النقص منه بسالم

واني اذا ما غالني بصروفه صبور على روعاته غير حائم
وان امرأً لم يجعل الطرف حصنه وسمر القنا اعوانه غير حازم
ومن لم يشاهد كرقومي في الوغى فها فليشاهد كرهم في المكارم
متى ترمني الايام منها بنكبة تمزق فتسفر عن هزبر ضبارم
ويوم تخال الرعد في جنباته لشدة أصوات القنا والهماهم
شفيت بعزم صادق غير كاذب ورمح رديني وابيض صارم
وفتيان صدق كالنجوم طوالع على شزب جرد كرام سواهم
ومن شاء فليفخر يجد فخر فاخر ومن شاء فلينطق يجد نطق عالم

وقال يفتخر :

ما كنت بالربع قبل اليوم وقافا ولا لدار عفتها الريح وصافا
حتى تولى الخليط المستقل بمن كانوا وكنا أخلاء وألافا
فمن يجير معنى القلب مكتئبا سلت عليه عيون العين أسيافا
ماذا على من جفا من غير ما سبب لو أن طيف خيال منه بي طافا
يا أيها الركب حثوا الناجيات بنا طال التعلل إغذاذا وايجافا
ليس الكريم الذي يرضى بعيشته ويستكين لريب الدهر ان وافى
اني امرؤ ببني حمدان مفتخري خير البرية أجدادا وأسلافا
ان حالفتنا المعالي فهي قد علمت كانت لآبائنا من قبل أحلافا
من كل مشتهر بالصبر مدرع ما هاب قط ولا ولى ولا خافا
مستقبلا لوجوه القوم يطعنهم حتى يبيحوه أصلاباً واكتافا

كأن آدم وصى قبل ميتته ... بأن تكون عليه الناس أضيافا

وقال يفتخر وقد قتل زيد بن منيع سيد بني جعفر ورماه النساء بانفسهن فأطلق لهن الاموال والاسرى

إباء اباء البكر غير مذلل ... وعزم كحد السيف غير مفلل

أأغضي على الامر الذي لاأريده ... ولما يقم بالعذر رمحي ومنصلي

ابى الله والمهر المنيعي[١] والقنا ... وأبيض وقاع على كل مفصل

وفتيان صدق من غطاريف وائل ... اذا قيل ركب الموت قالوا له انزل

يسومهم بالخير والشر ماجد ... جرور لأذيال الخميس المذيل

له بطش قاس تحته قلب راحم ... ومنع بخيل تحته بذل مفضل

وعزمة خراج من الضيم فاتك ... وفي أبي يأخذ الامر من عل

عزوف أنوف ليس يرغم أنفه ... جري متى يعزم على الامر يفعل

شديد على طي المنازل صبره ... اذا هو لم يظفر بأكرم منزل

وكل محلاة السراة بضيغم ... وكل معلاة الرحال بأجدل

تواصت بمر الصبر دون حريمها ... فلما رأتنا أجفلت كل مجفل

فبين قتيل بالدماء مضرج ... وبين أسير في الحديد مكبل

ومضى باقيها عند ذكر شخصيته وقال:

لمن الجدود الاكرمو ... ن من الورى الا ليه

من ذا يعد كما أعد ... من الجدود العاليه

(١) منيع كزبير ابو قبيلته وكأن النسبة اليه ـ المؤلف ـ

من ذا يقوم لقومه | بين الصفوف مقاميه
أحمي حريمي أن يبا | ح ولست أحمي ماليه
ناري على شرف تاجـ | ـج للضيوف الساريه
يانار ان لم تجلـبي | ضيفا فلست بناريه
والعز مضروب السرا | دق والقباب الجاريه
يجني ولا يجنى عليـ | ـه ويتقي الجلى بيه

[المديح]

قال في أهل البيت عليهم السلام وليست في الديوان المطبوع:

شافعي «أحمد» النبي ومولا | ي «علي» و «البنت» و «السبطان»
و «علي» و «باقر العلم» و «الصا | دق» ثم «الامين» ذو التبيان
و «علي» والخيران «علي» | و «أبوه» و «العسكري» الداني
والامام «المهدي» في يوم لا ينـ | ـفع الا غفران ذي الغفران

وكان محمد بن سكرة الهاشمي العباسي ـ من شعراء اليتيمة ـ عمل قصيدة يفاخر بها الطالبيين وينتقص بها ولد علي عليه السلام ويتحامل فيها أولها

بني علي دعوا مقالتكم | لاينقص الدر وضع من وضعه

فلما وقف عليها ابو فراس لم يجبه تنزها عن مناقضته ولسلامة شعره فقال هذه القصيدة في أهل البيت عليهم السلام وسماها الشافية

الدين مخترم والحق مهتضم | وفيء آل رسول الله مقتسم

والناس عندك لا ناس فيحفظهم سوء الرعاء ولا شاء ولا نعم(١)
اني أبيت قليل النوم أرقني قلب تصارع فيه الهم والهمم
وعزمة لا ينام الدهر صاحبها الا على ظفر في طيه كرم
يصان مهري لامر لا أبوح به والدرع والرمح والصمصامة الخذم
وكل مائرة الضبعين مسرحها رمث الجزيرة والخضراف والعذم(٢)
وفتية قلبهم قلب اذا ركبوا يوما ورأيهم رأي اذا عزموا (٣)
يا للرجال أما لله منتصر من الطغاة ولا لله منتقم
بنو علي رعايا في ديارهم والامر تملكه النسوان والخدم[٤]

(١) اي ليسوا بناس كاملين فيحفظهم اي يغضبهم ويثير حفيظتهم وحميتهم سوء الرعاء لهم من الحكام والامراء ولاهم شاء ولا نعم لانهم من بني آدم والغرض ذم الحكام الرعاة وتحريك حمية الرعية والقاضي ابن ابي جرادة حرف البيت وابدل سوء بسوم فتكلف في شرحه والصواب ما ذكرناه (٢) الضبع كفرخ العضد ومائرة الضبعين اي سمينة ومار بمعنى تحرك ذاهباً وجائيا فضبعاها يموران لسمنها (والرمث والخدراف) بالكسر فيهما (والعذم) نباتات ترعاها الابل (٣) اي قلبهم كامل ورايهم كامل وذلك لانهم قد ينفون الشيء ويريدون نفي الكمال كما يقال هذا ليس برجل اي ليس كاملا في الرجولة فاذا حملوا الشيء على نفسه ارادوا اثبات الكمال له (٤) كانت ام المقتدر لها كاتب ولها قهرمانة بمنزلة الوزير قال عريب القرطبي في صلة تاريخ الطبري : في سنة ٢٩٥ قلد المقتدر احمد ابن العباس كتابة السيدة امه ثم قال ولولا التحكم عليه لكان الناس معه في عيش رغد لكن امه وغيرها من حاشيته كانو يفسدون كثيراً من أمره قال وفي سنة ٣٠٦ امرت السيدة ام المقتدر قهرمانة لها تعرف بثمل ان تجلس بالرصافة للمظالم يوما في كل جمعة اه وغير ام المقتدر كان لها شبه ذلك ـ المؤلف ـ

محلؤون فاصفى وردهم وشلهم عندالورود واوفى وردهم لمم[١]
فالارض الا على ملا كها سعة والمال الا على أربابه ديم
وما السعيد بها الا الذي ظلموا وما الغني بها الا الذي حرموا[٢]
للمتقين من الدنيا عواقبها وان تعجل منها الظالم الاثم[٣]
لا يطغين بني العباس ملكهم بنو علي مواليهم وان رغموا
أتفخرون عليهم لا أبا لكم حتى كأن رسول الله جدكم
وما توازن يوما بينكم شرف ولا تساوت بكم في موطن قدم
ولا لجدكم مسعاة جدهم ولا نثيلتكم من امهم أمم[٤]

(١) محلؤن مطرودون والوشل الماء القليل واللمم مصدر لم به لمما أي أتاه في اوقات قليلة . واعترض عليه ابن ابي جرادة بانه جعل ازاء الصفو الوشل مع ان مقابله الكدر لأن الوشل الماء القليل . ويمكن الجواب بان الماء القليل تغلب عليه الكدورة لأنه يتكدر باقل شيء واعترض ايضاً باستعمال لمم مصدر لم وهي شاذة وقد انكرها الاصمعي ولم يجزها لئلا يشتبه بمعنى الجنون والوسوسة وصغائر الذنوب واللغة الفصيحة المستعمله الم به يلم الماما . (٢) اراد بالذي الفريق فصح التعبير عنه بالذي باعتبار اللفظ واعادة ضمير الجمع عليه باعتبار المعنى . (٣) قال ابن ابي جرادة ما كان ماضيه على فعل بكسر العين اذا كان من اكتساب الاعمال فاسم فاعله على فعيل او فاعل كرحم وعلم واثم وسلم وقد جاءت منه احرف نادرة يسيره على فعل وهي حذر وبطر واشر فلا يقاس عليها والذي جاء من اثم اثيم وآثم بالمد وقد جاء في القرآن الكريم . (٤) امم اي قريبة (ونثيلة) ام العباس وضرار ابني عبد المطلب بن هاشم وهي نثيلة ابنة كليب بن مالك بن جناب ابن النمر بن قاسط قال ابن ابي جرادة كانت ؟؟؟؟ في الجاهلية وام عبد الله [ا]بي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومية شريفة في قومها . ـ المؤلف ـ

ليس الرشيد كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرضا ان انصف الحكم
قام النبي بها يوم الغدير لهم والله يشهد والاملاك والأمم
حتى اذا أصبحت في غير صاحبها باتت تنازعها الذؤبان والرخم
وصيرت بينهم شورى كأنهم لا يعلمون ولاة الحق أين هم
تالله ما جهل الاقوام موضعها لكنهم ستروا وجه الذي علموا
ثم ادعاها بنو العباس ملكهم وما لهم قدم فيها ولا قدم
لا يذكرون اذا ما معشر ذكروا ولا يحكم في أمر لهم حكم
ولا رآهم أبو بكر وصاحبه أهلا لما طلبوا منها وما زعموا
فهل هم مدعوها غير واجبة ام هل أئمتهم في أخذها ظلموا
أما علي فقد أدنى قرابتكم عند الولاية إن لم تكفر النعم
أينكر الحبر عبد الله نعمته أبوكم أم عبيد الله أم قثم(١)
بئس الجزاء جزيتم في بني حسن أباهم العلم الهادي وامهم
لا بيعة ردعتكم عن دمائهم ولا يمين ولا قربى ولا ذمم[٢]

(١) لما ولي عليه السلام الخلافة ولى عبد الله بن العباس البصرة واخاه عبيد الله اليمن واخاهما قثما المدينة او مكة او هما . (٢) كان المنصور وجماعة من بني هاشم قد بايعوا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب في آخر دولة بني امية فلما افضى الامر الى المنصور طلب محمداً فاختفى فحبس اباه عبد الله بالمدينة واهل بيته ثم حملهم الى العراق فحبسهم بالهاشمية ولما خرج عليه محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن هدم عليهم الحبس فماتوا .

ـ المؤلف ـ

ألا صفحتم عن الاسرى بلا سبب للصافحين ببدر عن أسيركم [١]

ألا كففتم عن الديباج ألسنكم وعن بنات رسول الله شتمكم (٢)

ما نزهت لرسول الله مهجته عن السياط «السباب» فالا نزه الحرم [٣]

(١) المراد بالاسرى بلا سبب اي بلا ذنب عبد الله بن الحسن واهل بيته وبأسيرهم ببدر العباس بن عبد المطلب ولما جيء بعبد الله واهل بيته الى الربذة مغلولين مكبلين عليهم المسوح وخرج المنصور ناداه عبد الله يا ابا جعفر ماهكذا فعلنا باسراكم يوم بدر فأخسأه المنصور ولم يعرج عليه . (٢) الظاهر ان المراد بالديباج محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان وهو اخو بني حسن لامهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب فانه كان يلقب بالديباج لحسنه اخذه المنصور مع بني حسن وكانت ابنته رقية تحت ابراهيم بن عبد الله بن حسن فلما ادخل على المنصور قال إيها ياديوث مم حملت ابنتك وقد اعطيتني الايمان ان لا تغشني فانت بين ان تكون خائناً او ديوثاً وأيم الله اني لاهم برجمها فقال له محمد اما ما رميت به الجارية فان الله قد اكرمها وطهرها بولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنني ظننت حين ظهر حملها ان زوجها الم بها على حين غفلة فاحفظه كلامه فامر بشق ثيابه فشق قميصه عن ازاره فاشف عن عورته ثم امر به فضرب مائتين وخمسين سوطاً والمنصور يفتري عليه لايكني فاصاب سوط منها وجهه فقال ويحك اكفف عن وجهي فان له حرمة برسول الله فقال للجلاد الراس الرس فضرب على راسه نحواً من ثلاثين سوطاً واصاب سوط منها احدى عينيه فسالت قال ابن الاثير واحضر المنصور محمد بن ابراهيم بن الحسن وكان احسن الناس صورة فقال له انت الديباج الاصفر قال نعم قال لاقتلنك قتلة لم اقتلها احدا ثم امر فبني عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها اه . ولكن الظاهر ان المراد بالديباج في البيت هو العثماني لانه هو الذي لم يكف المنصور لسانه عنه (٣) يشير بذلك إلى ضرب محمد بن عبد الله العثماني بالسياط مع اتصال نسبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل امه فاطمة بنت الحسين عليه السلام والى الافتراء على ابنته رقية زوجة ابراهيم وإلى الافتراء عليه من المنصور ولا يكنني وقول المنصور له يا ابن اللخناء فقال له محمد باي امهاتي تعيرني ابفاطمة بنت الحسين ام بفاطمة الزهراء ام برقية . ـ المؤلف ـ

ما نال منهم بنو حرب وان عظمت تلك الجرائم الادون نيلكم
كم غدرة لكم في الدين واضحة وكم دم لرسول الله عندكم
أأنتم آله فيما ترون وفي اظفاركم من بنيه الطاهرين دم
هيهات لا قربت قربى ولا رحم يوما اذا اقصت الاخلاق والشيم
كانت مودة سلمان له رحما ولم يكن بين نوح وابنه رحم
يا جاهداً في مساويهم يكتمها غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم[١]
ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الاقوال والتهم[٢]
باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رشدهم فعموا[٣]
ياعصبة شقيت من بعدما سعدت ومعشرا اهلكوا من بعد ما سلموا

(١) هو يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن خرج ببلاد الديلم سنة١٧٦ فامنه الرشيد ثم غدر به احضر نسخة الامان وقال لمحمد بن الحسن الشيباني صاحب ابي حنيفة ما تقول فيه قال صحيح فحاجه فيه الرشيد فقال له محمد ماتصنع بالامان لو كان محاربا ثم اعطيته الامان هل كان آمنا ثم سال ابا البختري فقال هذا منتقض قال الرشيد فمزقه فمزقه ابو البختري وحبس الرشيد يحيي فبقي محبوساً شهراً ومات (٢) الزبيري هو عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن الزبير ادعى عند الرشيد ان يحيى بن عبد الله بن حسن دعاه الى بيعته فباهله يحيي بعد ما صلى كل منهما ركعتين وشبك يحيى يمينه في يمين الزبيري وقال اللهم ان كنت تعلم اني دعوت عبد الله بن مصعب الى الخلاف على هذا فاسحتني بعذاب من عندك وكلني الى حولي وقوتي والا فكله الى حوله وقوته واسحته بعذاب من عندك وتفرقا فما وصل الزبيري الى داره حتى جعل يصيح بطني بطني ومات.

(٣) كان المأمون بايع للرضا عليه السلام بولاية العهد ثم ندم لما انتقضت عليه البلاد فسمه في عنب فتوفي بطوس سنة ٢٠٢ ـ المؤلف ـ

لبئسما لقيت منهم وان بليت   بجانب الطف تلك الاعظم الرمم (١)

لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا   ولا الهبيري نجى الحلف والقسم (٢)

ولا الأمان لاهل الموصل اعتمدوا   فيه الوفاء ولا عن عمهم حلموا (٣)

(١) يشير الى مافعله جعفر المتوكل بقبر الحسين عليه السلام فانه أمر مناديه فنادى عند قبره من وجد به بعد ثلاث برئت منه الذمة وامر بهدم قبته وخراب الدور التي حوله وحرث الارض وأجرى اليها الماء وذلك سنة ٢٣٦ . (٢) المراد بابي مسلم ابو مسلم الخراساني مؤسس دولة بني العباس قتله المنصور بعد مسيره الى لقاء عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس لما دعا الى نفسه بعد موت السفاح وبايعه أهل الشام فندب اليه المنصور أبا مسلم فخذله الجند لما رأوا أبا مسلم وفر عبد الله واحتوى أبو مسلم على مافي عسكره فارسل المنصور من يحصي ذلك فقال أبو مسلم امين على الدماء خائن في الاموال وسار قاصداً خراسان فاحتال عليه المنصور حتى رده وقتله سنة ١٣٩ « والهبيري » هو يزيد بن عمر ابن هبيرة كان الوالي على العراقين وخراسان وغيرها من قبل بني أمية حاربه بنو العباس في خلافة السفاح ثم أمنوه فخرج الى المنصور بعد استيثاقه بالايمان وشروط الصلح ومشاورة العلماء والفقهاء فيها أربعين يوما وأجازها السفاح وامضاها ثم غدروا به وقتلوه وقتلوا قواده والاكابر من اولاده وعشائره وذلك سنة ١٣٢ (٣) قال ابن الاثير في حوادث سنة ١٣٢ فيها استعمل السفاح اخاه يحيي بن محمد على الموصل بدل محمد بن صول لان اهل الموصل امتنعوا من طاعته واخرجوه فسار يحيي اليها في اثني عشر الفا فقتل منهم اثني عشر رجلا فنفروا منه وحملوا السلاح فامنهم ونادى من دخل الجامع فهو آمن واقام الرجال على ابواب الجامع فقتلوا الناس قتلا ذريعا قيل انه قتل فيه احد عشر الفا ممن له خاتم وممن ليس له خاتم خلقا كثيرا فسمع في الليل صراخ النساء اللاتي قتل رجالهن فامر بقتل النساء والصبيان ثلاثة ايام وكان معه قائد معه اربعة آلاف زنجي فاخذوا النساء قهرا اه (والمراد) بعمهم عبد الله بن علي فانه لما فر من ابي مسلم قدم على اخوته بالبصره واختفى عند سليمان بن علي فكتب المنصور الى سليمان باحضاره فحضر مع اخوته وكان وعدهم بالصفح عنه فخادعهم وحبسه واغفله مدة وقتله هدم عليه البيت .

ـ المؤلف ـ

أبلغ لديك بني العباس مألكة لا يدعوا ملكها ملاكها العجم(١)
اي المفاخر أضحت في منابركم وغيركم آمر فيهن محتكم
وهل يزيدكم من مفخر علم وبالخلاف عليكم يخفق العلم
خلو الفخار لعلامين ان سئلوا يوم السؤال وعمالين اذ علموا
لا يغضبون لغير الله ان غضبوا ولا يضيعون حكم الله ان حكموا
تبدو التلاوة من أبياتهم أبدا ومن بيوتكم الاوتار والنغم
ياباعة الخمر خلوا عن مفاخرة لمعشر بيعهم يوم الفخار دم
منكم علية أم منهم وكان لكم شيخ المغنين ابراهيم ام لهم (٢)
ام من تشاد له الالحان سائرة عليهم ذو المعالي أم عليكم (٣)
اذا تلوا سورة غنى خطيبكم قف بالديار التي لم يعفها القدم (٤)
مافي منازلهم للخمر معتصر ولا بيوتهم للشر معتصم

(١) اراد بهم ملوك آل بويه في العراق وفارس والسامانية بخراسان وماوراء النهر والاخشيدية بمصر والشام (٢) قال ابن ابي جرادة : [ابراهيم] هو ابراهيم ابن المهدي بن المنصور كان مغنياً مجيداً وعوادا بارعا «وعلية» اخته وكانت عوادة محسنة اهـ . (٣) علي آل ابي طالب هو امير المؤمنين علي ابن ابي طالب [ع] وعلي بني العباس هو المكتفي بالله علي بن المعتضد بالله احمد ولم يذكر ابن ابي جرادة هذا البيت . (٤) هذا شطر بيت لزهير بن ابي سلمى من قصيدة اولها :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم

ـ المؤلف ـ

ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم ... ولا يرى لهم قرد له حشم(١)
الركن والبيت والاستار منزلهم ... وزمزم والصفا والحجر والحرم
صلى الاله عليهم كلما سجعت ... ورق فهم للورى ذخر ومعتصم

وقال يمدح ابني سيف الدولة وهو خالهما ويذكر أخاهما الآخر وليست في الديوان المطبوع

ابنان ام شبلان ذان فانني ... لارى دماء الدارعين حلاهما
تنبي الفراسة ان في ثوبيهما ... ليثين تجتنب الليوث حماهما
لم لا يفوقان الكرام مكارما ... والسيدان كلاهما جداهما
تلقى أبا الهيجاء في هيجاهما ... ويزيد فضل أبي العلاء علاهما (٢)
زدناهما شرفا رفيعا سمكه ... ثبت الدعائم اذ تخولناهما
ميزت بينهما فلم يتفاضلا ... كالفرقدين تشاكلت حالاهما

(١) قال ابن ابي جرادة روى محمد بن عمر الشيباني: حدثني ابو عبادة الوليد ابن عبيد البحتري قال كنا ليلة في مجلس المتوكل وهو يشرب وقد دخلت سندانة الضراطة وقد لبست لحيتها التي كانت تلبسها وتعممت عليها فقال المتوكل للفتح من هذا قال ياسيدي هذه سندانة قال من تشبه قال لا ادري قال تشبه ابن ابي حفصة تحمل اليه عشرة آلاف دينار الساعة اهـ. واما القرد الذي له حشم فقد رأيت في بعض المواضع وغاب عني الآن انه كان لبعض نسائهم وكانت تلبسه الديباج وقيل الخنثى عبادة نديم المتوكل والقرد كان لزبيدة حتى طالبت الناس بالسلام عليه الى ان قتله يزيد بن مزيد الشيباني كذا في حاشية بعض نسخ الديوان

(٢) ابو الهيجاء هو عبدالله بن حمدان والد سيف الدولة وهو جدهما من قبل الاب وابو العلاء هو سعيد بن حمدان والد ابي فراس وهو جدهما من قبل الام ـ المؤلف ـ

اني وان كان التعصب شيمتي لا أدفع الشرف الرفيع أخاهما
أنى يقصر عن مكان في العلا والمجد من أضحى أبوه أباهما
لكن لذين بنا مكانا باذخا لا يدعيه من الانام سواهما
طاباوطاباخوالكراماخوهما والوالدان وطاب من رباهما

وقال مادحا

لله درك من قرم أخي كرم لا ينطق المال الا في تشكيه
فالخيل يعسجها والبيض يثلمها والسمر يحطمها والقرن يرديه

وقال من قصيدة يظهر أنها في مدح ابن عم له ولعله سيف الدولة وليست في الديوان المطبوع .

قدك يا أيها الملح اللجوج ليس من حكمها علي خروج
عللينا بطيب ريقك يا من بجنى النحل ريقها ممزوج
لم يزدك الخلخال حسنا ولكن بك زين الخلخال والدملوج
عج بوادي الاراك نبك رسوما دارسات ونادبالركب عوجوا
يا بني العم قد أتانا ابن عم في طلاب العلا صعود لجوج
حازم عازم حروب سروب طاعن ضارب خروج ولوج
وخيول وغلمة ودروع وسيوف وضمر ووشيج
لك بحر من الندى كل بحر من مجاري الندى لديه خليج
فكفاك المحذور جمعا ووقا ك الذي بيته يؤم الحجيج

وكتب الى سيف الدولة

قدضج جيشك من طول القتال به وقد شكتك الينا الخيل والابل

وقد درى الروم مذ جاورت أرضهم ان ليس يعصمهم سهل ولا جبل
في كل يوم تزور الثغر لا ضجر يثنيك عنه ولا شغل ولا ملل
فالنفس جاهدة والعين ساهدة والجيش منهمك والمال مبتذل
توهمتك كلاب غير قاصدها وقد تكنفك الاعداء والشغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه وقد طلعت عليهم دون ماأملوا
فاستقبلوك بفرسان اسنتها سود البراقع والاكوار والكلل
فكنت اكرم مسؤول وأفضله اذا وهبت فلا من ولا بخل

وقال يفتخر ويمدح سيف الدولة عقيب بعض الوقائع وقد أسر فيها أخواه

ضلال ما رأيت من الضلال معاتبة الكريم على النوال
وان مسامعي عن كل عذل لفي شغل بحمد أو سؤال
ولا والله ما بخلت يميني ولا أصبحت أشقاكم بمالي
ولا أمسي احكم فيه بعدي قليل الحمد مذموم الفعال
ولكني سأفنيه وأقني ذخائر من ثواب أو جمال
وللوراث أرث أبي وجدي جياد الخيل والاسل الطوال
وما تجني سراة بني أبينا سوى ثمرات أطراف العوالي
اوينا بين أطناب الاعادي الى بلد من النصار خالي
تمد بيوتنا في كل فج به بين الاراقم والصلال
نعاف قطونه ونمل منه ويمنعنا الاباء من الزيال
مخافة أن يقال بكل أرض بنو حمدان كفوا عن قتال
ومن عرف الخطوب ومارسته اطاب النفس بالحرب السجال

فان يك اخوتي وردوا شباها ... باكرم موقف وأجل حال
فمن ورد المهالك لم ترعه ... رزايا الدهر في أهل ومال
وذا الورد المكدر جانباه ... بما اوردت من عذب زلال
اسيف الدولة المأمول اني ... عن الدنيا اذا ما عشت سالي
اذا قضي الحمام علي يوما ... ففي نصر الهدى بيد الضلال
اذا ما لم تخنك يد وقلب ... فليس عليك خائنة الليالي
وانت أشد هذا الناس بأسا ... واصبرهم على نوب القتال
واهجمهم على جيش كثيف ... وأغورهم على حي حلال
وأنت أريتني خوض المنايا ... وصبري تحت هبوات النزال
فصبري في قتالك لا قتالي ... وفعلي في فعالك لا فعالي
وفي إرضاك إغضاب العوالي ... واكراه المناصل والنصال
ضربت فلم ادع للسيف حدا ... وجلت بحيث ضاق عن المجال
وقلت وقد اظل الموت صبراً ... وان الموت عند سواك غالي
الا هل منكر ببني نزار ... مقامي يوم ذلك أو مقالي
الم أثبت لها والخيل فوضى ... بحيث تخف أحلام الرجال
تركت ذوابل المران فيها ... مخضبة محطمة الاعالي
وعدت أجر رمحي عن مقام ... تحدث عنه ربات الحجال
فقائلة تقول ابا فراس ... لقد حاميت عن حرم المعالي
وقائلة تقول جزيت خيرا ... اعيذ علاك من عين الكمال
ومهري لا يمس الارض زهواً ... كأن ترابها قطب النبال

كأن الخيل تعرف من عليها ... ففي بعض على بعض تعالي
علينا أن نغاور كل يوم ... رخيص الموت بالمهج الغوالي
فإن عشنا ذخرناها لاخرى ... وان متنا فموتات الرجال

—(الرثاء)—

قال يرثي الحسين ويمدح أمير المؤمنين عليا عليهما السلام من قصيده كما في نسختين مخطوطتين من روايةابن خالويه واورد ابن شهر اشوب في المناقب ابياتا منها وخلا عنها الديوان المطبوع

يوم يسفح الدير لا أنساه ... ارعى له دهري الذي اولاه
يوم عمرت العمر فيه بفتية ... من نورهم أخذ الزمان بهاه
فكأن غرتهم ضياء نهاره ... وكأن أوجههم نجوم دجاه
ومهفهف للغصن حسن قوامه ... والظبي منه اذا رنا عيناه
نازعته كأسا كان ضياءها ... لما تبدت في الظلام ضياه
والبدر منتصف الضياء كأنه ... متبسم بالكف يستر فاه
ظبي لو أن الفكر مر بخده ... من دون لحظة ناظر ادماه

ويقول في الرثاء :

واحتز رأسا طالما من حجره ... اذنته كفا جده ويداه
يوم بعين الله كان وانما ... يملي لظلم الظالمين الله
يوم عليه تغيرت شمس الضحى ... وبكت دما مما رأته سماه
لا عذر فيه لمهجة لم تنفطر ... أو ذي بكاء لم تفض عيناه
تباً لقوم تابعوا أهواءهم ... فيما يسوءهم غدا عقباه

اتراهم لم يسمعوا ما خصه منه النبي من المقال أباه
اذ قال يوم غدير خم معلنا من كنت مولاه فذا مولاه
لو لم تنزل فيه الاهل أتى من دون كل منزل لكفاه
من كان أول من حوى القرآن من لفظ النبي ونطقه وتلاه
من كان صاحب فتح خيبر من رمى بالكف منه بابه ودحاه
من عاضد المختار من دون الورى من آزر المختار من آخاه
من خصه جبريل من رب العلا بتحية من ربه وحباه
اظننتم ان تقتلوا أولاده ويظلكم يوم المعاد لواه
او تشربوا من حوضه بيمينه كأساً وقد شرب الحسين دماه
أنسيتم يوم الكساء وانه ممن حواه مع النبي كساه
يارب اني مهتد بهداهم لا اهتدي يوم الهدى بسواه
اهوى الذي يهوى النبي وآله ابدا واشنأ كل من يشناه

وقال يرثي امه وقد توفيت وهو في الأسر ولا توجد في الديوان المطبوع ووجدت في نسختين في برلين واخرى في اكسفورد واخذت عن المستشرق دفوراك ولكننا وجدناها في نسختين عندنا مخطوطتين وفيهما زيادة عن نسخ برلين واكسفورد الابيات الثلاثة الاولى

ايا ام الاسير سقاك غيث بكره منك ما لقي الاسير
ايا ام الاسير سقاك غيث الى من بالفدى يأتي البشير
ايا ام الاسير سقاك غيث تحير لا يقيم ولا يسير
ايا ام الاسير لمن تربى وقد مت الذوائب والشعور

اذا ابنك سار في بر وبحر فمن يدعو له او يستجير
حرام ان يبيت قرير عين ولؤم إن يلم به السرور
وقد ذقت الرزايا والمنايا ولا ولد لديك ولا عشير
وغاب حبيب قلبك عن مكان ملائكة السماء له حضور
ليبكك كل ليل قمت فيه الى ان يبتدي الفجر المنير
ليبكك كل مضطهد مخوف اجرتيه وقد قل المجير
ليبكك كل يوم صمت فيه مصابرة وقد حمي الهجير
ليبكك كل مسكين فقير اغثتيه ومافي العظم رير (١)
ايا اماه كم هول طويل مضى بك لم يكن منه نصير
ايا اماه كم سر مصون بقلبك مات ليس له ظهور
ايا اماه كم بشرى بقربي اتتك ودونها الاجل القصير
الى من اشتكي ولمن اناجي اذا ضاقت بما فيها الصدور
بأي دعاء داعية اوقى باي ضياء وجه استنير
بمن يستدفع القدر الموخى بمن يستفتح الامر العسير
يسلي عنك انا عن قليل الى ماصرت في الاخرى نصير

وقال يرثي أبا المرجى جابر بن نصر الدولة

الفكر فيك مقصر الآمال والحرص بعدك غاية الجهال
لو كان يخلد بالفضائل فاضل وصلت لك الاجال بالاجال

(١) الرير مخ العظام الذي ذاب وفسد وصار ماء أسود رقيقاً من الهزال .
ـ المؤلف ـ

او كنت تفدى لافتدك سراتنا ⁂ بنفائس الارواح والاموال
اعزز على سادات قومك ان ترى ⁂ فوق الفراش مقلب الأوصال
والسمر عندك لم تدق صدورها ⁂ والخيل واقفة على الاطوال(١)
والسابغات مصونة لم تبتذل ⁂ والبيض سالمة مع الابطال
واذا المنية أقبلت لم يثنها ⁂ حرص الحريص وحيلة المحتال
ما للخطوب وما لاحداث النوى ⁂ اعجلن جابر غاية الاعجال
وفجعن بالدر الثمين المنتقى ⁂ وفتكن بالعلق النفيس الغالي
لما تسربل بالفضائل وارتدى ⁂ برد العلا واعتم بالاقبال
وتشاهدت صيد الملوك بفضله ⁂ واري المكارم من مكان عالي
أأبا المرجى غير حزني دارس ⁂ ابدا عليك وغير قلبي سالي
ولئن هلكت فما الوفاء بهالك ⁂ ولئن بليت فما الوداد ببالي
لازلت مغدوق الثرى مطروقه ⁂ بسحابة مجرورة الاذيال
وحبين عنك السيئات ولم يزل ⁂ لك صاحب من صالح الاعمال

وقال يرثي ابا وائل تغلب بن داود بن حمدان وقد توفي سنة ٣٣٨ وليست في الديوان المطبوع :

اي اصطبار ليس بالزائل ⁂ واي دمع ليس بالهامل
انا فجعنا بفتي وائل ⁂ لما فجعنا بأبي وائل
المشتري الحمد بأمواله ⁂ والبائع النائل بالنائل
ماذا ارادت سطوات الردى ⁂ في الاسد ابن الاسد الباسل

---

(١) الاطوال جمع طول كقول وهو حبل تشد به الدابة. ـ المؤلف ـ

كأنما دمعي من بعده صوب عطايا كفه الهاطل
ما أنا ابكيه ولكنما تبكيه أطراف القنا الذابل
دان الى سبل العلى والندى ناء عن الفحشاء والباطل
ارى المعالي اذ قضى نحبه تبكي بكاء الواله الثاكل
الاسد الباسل والعارض الـ هاطل عند الزمن الماحل
سقى ثرى ضم ابا وائل صوب سحاب وا كف هامل
لا در در الدهر ما باله حملني ما لست بالحامل
كان ابن عمي ان عرى حادث كالليث او كالصارم الناصل
عمري لقد وكلني فقده بالحزن في العاجل والآجل

وكتب الى سيف الدولة من الاسر يعزيه باخته من أبيات :

في الرزية ان ضنت بما ملكت فيها الجفون فما تسخو على احد
ابكي بدمع له من حسرتي مدد واستريح الى صبر بلا مدد
هذا الاسير المبقى لا فداء له يفديك بالنفس والاهلين والولد

وكتب الى سيف الدولة من الاسر يعزيه بابنه ابي المكارم من ابيات

هل تبلغ القمر المدفون رائعة من المقال عليها للاسى حلل
ما بعد فقدك في اهل ولا ولد ولا حياة من الدنيا لنا أمل
يا من اتته المنايا غير حافلة أين العبيد وأين الخيل والخول
اين الليوث التي حوليك رابضة اين الصنائع اين الاهل مافعلوا
اين السيوف التي قد كنت أقطعها اين السوابق اين البيض والاسل

يا ويح خالك بل يا ويح كل فتى ... مع كل هذا تخطى نحوك الاجل

[الروميات]

قد عرفت أن أبا فراس اسر مرتين ولبث في الاسر الثاني اربع سنين. وقد نظم في الاسر عدة قصائد هي من غرر شعره. ولا ريب ان الاسر أثر في نفس أبي فراس رقة زيادة على ما فيها. واسر وهو جريح بسهم بقي نصله في فخذه فاجتمع عليه مع الاسر والجراح طول المدة وتأخير سيف الدولة مفاداته وفرط الحنين الى اهله واخوانه فلا جرم ان تصدر قصائده وهو أسير عن قلب شجي ونفس رقيقة متألمة فتزداد رقة ولطافة وسلاسة وتؤثر في النفوس تأثيراً محزنا يكاد يبكي سامعها وتعلق بالحفظ لسلاستها وربما هاجت به عاطفة الحماسة في هذه الحال فيخرج بشعره الى التحمس النائق فان ما هو فيه لم يكن لينسيه سوابقه في الامارة والحروب ولم يكن ليفقده كبر النفس وعلو الهمة والصفات الغريزية التي فيه من هذا القبيل لذلك كانت رومياته مطبوعة بطابع يميزها عن باقي شعره. في اليتيمة قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس (وما محاسن شيء كله حسن) وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الاحسان وأصاب شاكلة الصواب ولعمري إنها كما قرأته لبعض البلغاء لو سمعتها الوحش لانست او خوطبت بها الخرس لنطقت او استدعي بها الطير لنزلت اهـ. ونحن نورد هنا رومياته كلها عدا ما مر منها في تضاعيف ما تقدم.

﴿مراسلته سيف الدولة من الأسر﴾

وقال أول ما أسر يسأل سيف الدولة المفاداة :

دعوتك للجفن القريح المسهد ... لدي وللنوم القليل المشرد
وما ذاك بخلا بالحياة وانها ... لاول مبذول لاول مجتدي
وما الأمر مما ضقت ذرعا بحمله ... وما الخطب الا ان اقول له ازدد
وما زال عني ان شخصاً معرضاً ... لنبل الردى ان لم يصب فكأن قد
ولكنني أختار موت بني أبي ... على سروات الخيل غير موسد
نضوت على الايام ثوب جلادتي ... ولكنني لم انض ثوب التجلد
وما انا الا بين امر وضده ... يجدد لي في كل يوم مجدد
فمن حسن صبر بالسلامة واعد ... ومن ريب دهر بالردى متوعد
أقلب طرفي بين خل مكبل ... وبين صفي بالحديد مصفد
دعوتك والابواب ترتج دوننا ... فكن خير مدعو لأكرم مجتدي
ومثلك من يدعى لكل عظيمة ... ومثلي من يفدى بكل مسود
اناديك لا أني أخاف من الردى ... ولا أرتجي تأخير يوم الى غد
وقد حطم الخطي واخترم العدى ... وفلل حد المشرفي المهند
وآنف موت الذل في دار غربة ... بايدي النصارى الغلف ميتة اكمد
فلا تقعدن عني وقد سيم فديتي ... فلست عن الفعل الكريم بمقعد
وكم لك عندي من أياد وأنعم ... رفعت بها قدري واكثرت حسدي
تشبث بها اكرومة قبل فوتها ... وقم في خلاصي صادق العزم واقعد

فان مت بعد اليوم عابك مهلكي ... معاب الزراريين مهلك معبد(١)

هم عضلوا عنه الفداء وأصبحوا ... يهزون أطراف القريض المقصد

ولم يك بدعا هلكه غير أنهم ... يعابون اذ سيم الفداء فما فدي

فلا كان كلب الروم أرأف منكم ... وارغب في كسب الثناء المخلد

ولا بلغ الاعداء ان يتناهضوا ... وتقعد عن هذا العلاء المشيد

أأضحوا على أسراهم بي عودا ... وأنتم على أسراكم غير عود

متى تخلف الايام مثلي لكم فتى ... شديداً على البأساء غير ملهد(٢)

متى تخلف الايام مثلي لكم فتى ... طويل نجاد السافـ رحب المقلد

فما كل من شاء المعالي ينالها ... ولا كل سيار الى المجد يهتدي

فان تفقدوني تفقدوا اشرق العدا ... وأسرع عواد اليهم معود

وان تفقدوني تفقدوا لعلاكم ... فتى غير مردود السنان ولا اليد

يدافع عن احسابكم بلسانه ... ويضرب عنكم بالحسام المهند

---

(١) هو معبد بن زرارة كان أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب في بعض الوقائع فوفد عليهما اخوه لقيط بن زرارة فبذل لهما مائتي بعير في فدائه فقالا له انت سيد الناس وأخوك سيد مضر فلا نقبل الا دية ملك فقال ان أبانا أوصانا ان لا نزيد في الدية على مائتي بعير فقال له معبد لا تدعني فلئن تركتني لا تراني بعدها أبداً قال صبرا فاين وصاة ابينا ورحل فمنعوا معبدا الماء وضاروه حتى هلك وقيل بل هو امتنع عن الطعام والشراب حتى مات ذكره في العقد الفريد. وفي انوار الربيع ان معبدا اسره بنو عامر بن صعصعة فاشترى نفسه باربعمئة بعير فابى اخوه لقيط ان يبذلها فيه واعتذر بان اباه اوصاه ان لا تطعموا العرب اثمان بني زرارة فحبسه بنو عامر بن صعصعة حتى مات في الاسر فندم اخوه لقيط وانشأ فيه المراثي

(٢) ملهد بوزن معظم مستضعف ذليل . ـ المؤلف ـ

أقلني اقلني عثرة الدهر إنه　　رماني بسهم صائب النصل مقصد
ولو لم تثق نفسي بمولاي لم اكن　　لاوردها في نصره كل مورد
ولا كنت التي الالف زرقا عيونها　　بسبعين فيها كل أشأم أنكد
ولا وأبي ما ساعدان كساعد　　ولا وأبي ما سيدان كسيد
وانك للمولى الذي بك اقتدي　　وانك للنجم الذي بك اهتدي
وأنت الذي عرفتني طرق العلا　　وانت الذي اهديتني كل مقصد
وانت الذي بلغتني كل غاية　　مشيت اليها فوق اعناق حسدي
فيا ملبسي النعمى التي جل قدرها　　لقد أخلقت تلك الثياب فجدد
الم تر أني فيك صافحت حدها　　وفيك شربت الموت غير مصرد
يقولون جانب عادة ما عرفتها　　شديد على الانسان ما لم يعود
فقلت اما والله لا قال قائل　　شهدت له في الخيل ألأم مشهد
ولكن سألقاها فاما منية　　هي الظن أو بنيان عز مؤبد
ولم ادر ان الدهر من عدد العدا　　وان المنايا السود ترمين عن يد
بقيت على الايام تحمي بنا الوردى　　ويفديك منا سيد بعد سيد
بقيت ابن عبد الله ماذر شارق　　تروح الى العز المبين وتغتدي
بعيشة مسعود وايام سالم　　ونعمة مغبوط ومال مجدد
ولا يحرمني الله قربك إنه　　مرادي من الدنيا وحظي ومقصدي

ومن رومياته هذه القصيدة التي جمعت الغزل والحماسة والحكم وصفة أسره وتعليم الاباء ونزة النفس وغير ذلك مع كونها من غرر الشعر وهي ناقصة في الديوان المطبوع فلذلك أوردناها بتمامها . وقد

قالها حينما بلغه أن الروم قالوا ما اسرنا احداً ولم نسلب سلاحه غير ابي فراس وهي :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ... أما للهوى نهي عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ... ولكن مثلي لا يذاع له سر
اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى ... وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي ... اذا هي اذكتها الصبابة والفكر
معللتي بالوصل والموت دونه ... اذا مت عطشاناً فلا نزل القطر
حفظت وضيعت المودة بيننا ... واحسن من بعض الوفا ذلك الغدر
بنفسي من الغادين في الحي غادة ... هواي لها ذنب وبهجتها عذر
تريغ (١) الى الواشين في وان لي ... لأذناً بها عن كل واشية وقر
بدوت وأهلي حاضرون لانني ... ارى ان داراً لست من اهلها قفر
وحاربت قومي في هواك وانهم ... واياي لولا حبك الماء والخمر
فان كان ما قال الوشاة ولم يكن ... فقد يهدم الايمان ما شيد الكفر
وفيت وفي بعض الوفاء مذلة ... لانسانة في الحي شيمتها الغدر
وقور وريعان الصبا يستفزها ... فتأرن أحياناً كما يأرن المهر
تسائلني من أنت وهي عليمة ... بحالي وهل حالي على مثلها نكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى ... قتيلك قالت أيهم فهم كثر
فقلت لها لو شئت لم تتعنتي ... ولم تسألي عني وعندك بي خبر
فقالت لقد أزرى بك الدهر بعدنا ... فقلت معاذ الله بل انت لا الدهر

(١) تريغ تميل .

ـ المؤلف ـ

وما كان للاحزان لولاك مسلك ... الى القلب لكن الهوى للبلا جسر

فايقنت ان لا عز بعدي لعاشق ... وان يدي مما علقت به صفر

وقلبت امري لا ارى لي راحة ... اذا البين انساني الح بي الهجر

فعدت الى حكم الزمان وحكمها ... لها الذنب لا تجزى به ولي العذر

كأني انادي دون ميثاء ظبية ... على شرف ظمياء جلاَّ ها الذعر

تجفل حيناً ثم تدنو كأنما ... تراعي طلى بالوادي أعجزه الحضر

واني لنزال بكل مخوفة ... كثير الى نزالها النظر الشزر

واني لجرار لكل كتيبة ... معودة أن لا يخل بها النصر

فاصدى الى أن ترتوي البيض والقنا ... واسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ولا أُصبح الحي الخلوف بغارة ... او الجيش مالم تأته قبلي النذر

ويا رب دار لم تخفني منيعة ... طلعت عليها بالردى أنا والفجر

وحي رددت الخيل حتى تركته ... هزيماً وردتني البراقع والخمر

وساحبة الأذيال نحوي لقيتها ... فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعر

وهبت لها ماحازه الجيش كله ... وابت ولم يكشف لابياتها ستر

وما راح يطغيني باثوابه الغنى ... ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر

وما حاجتي في المال أبغي وفوره ... اذا لم يفر عرضي فلا وفر الوفر

اسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ... ولا فرسي مهر ولا ربه غمر

ولكن اذا حم القضاء على امرىء ... فليس له بر يقيه ولا بحر

وقال اصيحابي الفرار أو الردى ... فقلت هما أمران أحلاهما المر

ولكنني أمضي لما لا يعيبني ... وحسبك من امرين خيرهما الاسر

يقولون لي بعت السلامة بالردى فقلت اما والله ما نالني خسر
وهل يتجافى الموت عني ساعة اذا ما تجافى عني الاسر والضبر
هو الموت فاختر ما علالك ذكره فلم يمت الانسان ما حيي الذكر
ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوأته عمرو
يمنون ان خلوا ثيابي(١) وانما علي ثياب من دمائهم حمر
وقائم سيف فيهم دق نصله واعقاب رمح فيهم حطم الصدر
سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
فان عشت فالطعن الذي تعرفونه وتلك القنا والبيض والضمر الشقر
وان مت فالانسان لابد ميت وان طالت الايام وانفسح العمر
ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر
ونحن اناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر
اعز بني الدنيا واعلا ذوي العلا واكرم من فوق التراب ولا فخر

وكتب إلى سيف الدولة من الدرب وقد إشتدت عليه علته :

هل تعطفان على العليل لا بالاسير ولا القتيل
باتت تقلبه الاكف سحابة الليل الطويل
يرعى النجوم السائرا ت من الطلوع الى الافول
فقد الضيوف مكانه وبكته ابناء السبيل

---

(١) يشير الى ما بلغه عن الروم انهم قالوا ما اسرنا احدا ولم نسلبه سلاحه غير أبي فراس . ـ المؤلف ـ

واستوحشت لفراقه يوم الوغى سرب الخيول
وتعطلت سمر الرما ح واغمدت بيض النصول
يا فارج الكرب العظيـ ـم وكاشف الخطب الجليل
كن ياقوي لذا الضعيـ ـف ويا عزيز لذا الذليل
قربه من سيف الهدى في ظل دولته الظليل
أوما كشفت عن ابن دا ود (١) ثقيلات الكبول

(١) في نسخة : اوليس عن داود قد فككت اثقال الكبول
ويمكن ان يستفاد من الجمع بين النسختين وبين قوله ان ابن عمار بن داود وقوله بعده صبرا ابا العباس المار ذكره في ص ١٥١ ان بن عمار هذا اسمه داود بن عمار بن داود بن حمدان بن حمدون وانه يكنى ابا العباس وانه اسروفك اسره سيف الدولة والظاهر أن الروم اسرته وهو المراد بابن داود في النسخة الاخرى فأن قوله قل لابن عمار بن داود وقوله ان بت ترسف في الحديد وقوله صبراً أبا العباس يدل على ان لعمار ولدا يكنى ابا العباس وانه اسر ، وقوله اوما كشفت عن ابن داود وقوله او ليس عن داود على النسخة الاخرى يراد بداود وابن داود منهما رجل واحد وقد استنقذه سيف الدولة من الاسر وهو داود بن عمار بن داود بن حمدان لان احد البيتين بدل من الآخر فلا يجوز ان يكون المراد بهما مختلفا وقد سماه في احدهما ابن داود وفي الآخر داود وفي السابق ابن عمار بن داود فحين جعله ابن داود نسبة الى جده والنسبة الى الجد شائعة وحين جعله ابن عمار بن داود نسبه الى ابيه وحين قال اوليس عن داود ذكره باسمه ولا يبعد ان البيت كان اولا او ما كشفت عن ابن داود فغير الى قوله او ليس عن داود فان فيه تصريحا باسمه فهو اولى من التعبير عنه بالابن فقوله اوليس عن داود لم يرد به داود بن حمدان لانه متقدم ولان النسخة الثانية التي اريد بها عين مافي النسخة الاولى جعلته ابن داود لا داود فالجمع بين هذه الابيات يدلنا على ان المسمى بداود اثنان احدهما داود بن حمدان والثاني حفيده داود بن عمار بن داود بن حمدان . ـ المؤلف ـ

اما المحب فليس يصـ غي في هواه الى عذول
يمضي بحال وفائـه ويصد عن قال وقيل
لم ارو منه ولا شفيـ ت بطول خدمته غليلي
الله يعلم أنـه أملي من الدنيا وسولي
ولئن حننت الى ذرا ه لقد حننت الى وصول
لا بالقطوب ولا الغضو ب ولاالمطول ولا الملول
يا عدتي في النائبا ت وظلتي عند المقيل
أين المحبـة والذمـا م وما وعدت من الجميل
احمل على النفس الكريـ مة في والقلب الحمول

وكتب الى سيف الدولة من الاسر :

وما كنت اخشى ان ابيت وبيننا خليجان والدرب الاصم وآلس(١)
ولا انني استصحب الصبر ساعة ولي عنك مناع ودونك حابس
ينافسني هذا الزمان وأهله وكل زمان لي عليك منافس
شريتك من دهري بذي الناس كلهم فلا أنا مبخوس ولا الدهر باخس
وملكتك النفس النفيسة طائعاً وتبذل للمولى النفيس النفائس
تشوقني الاهل الكرام وأوحشت مواكب بعدي عندهم ومجالس
وربتما ساد الاماجد ماجـد وربتما زان الفوارس فارس

(١) الخليجان خليجا القسطنطينية والدرب الاصم هو درب الروم المشهور المذكور في شعر امرىء القيس بقوله (بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه) (وآلس) بكسر اللام اسم نهر في بلاد الروم . ـ المؤلف ـ

رفعت عن الحساد نفسي وهل هم لمن حسدوا لو شئت الا فرائس
ايدرك ما أدركت الا ابن همة يمارس في كسب العلى ما يمارس
يضيق مكاني عن سواي لانني على قمة المجد المؤثل جالس
سبقت وقومي بالمكارم والعلا وان رغمت من آخرين المعاطس

وكتب اليه سيف الدولة كتابا فيه كلام خشن وهو في الاسر لما بلغه ان بعض الاسرى قال ان ثقل هذا المال على الامير كاتبنا فيه صاحب خراسان وغيره من الملوك وذلك حين قرروا مع ملك الروم اطلاق اسرى المسلمين بمال يحملونه فاتهم سيف الدولة أبا فراس بهذا القول لضمانه المال فكتب اليه : ومن يعرفك بخراسان فكتب اليه ابو فراس :

اسيف الهدى وقريع العرب إلام الجفاء وفيما الغضب
وما بال كتبك قد اصبحت تنكبني مع هذه النكب
وأنت الحليم وانت الكريم وأنت العطوف وانت الحدب
وما زلت تسعفني بالجميل وتنزلني بالجناب الخصب
وتدفع عن عاتقي الخطوب وتكشف عن ناظري الكرب
وانك للجبل المشمخر لي بل لقومك بل للعرب
علا يستفاد وعاف يفاد وعز يشاد ونعمى ترب
وما غض مني هذا الاسار ولكن خلصت خلوص الذهب
ففيم يقرعني بالخمول مولى به نلت أعلى الرتب
وكان عتيداً لدي الجواب ولكن لهيبته لم أجب

أتنكر أني شكوت الزمان وأني عتبتك فيمن عتب
فلا تنسبن الي الخمول عليك اقمت فلم اغترب
فالا رجعت فاعتبتني وصيرت لي ولقولي الغلب
واصبحت منك فان كان فضل وان كان نقص فانت السبب
فما شككتني فيك الخطوب ولا غيرتني عليك النوب
واشكر ما كنت في ضجرتي واحلم ما كنت عند الغضب
وان خراسان ان انكرت علاي فقد عرفتها حلب
ومن أين ينكرني الابعدون امن نقص جد امن نقص اب
الست واياك من اسرة وبيني وبينك فوق النسب
وداد تناسب فيه الكرام وتربية ومحل أشب (١)
ونفس تكبر الا عليك وترغب الاك عمن رغب
فلا تعدلن فداك ابن عمك لا بل غلامك عما يجب
وانصف فتاك فانصافه من الفضل والشرف المكتسب
لكنت الحبيب وكنت القريب ليالي أدعوك من عن كثب
فلما بعدت بدت جفوة ولاح من الامر ما لا أحب
فلو لم اكن فيك ذا خبرة لقلت صديقك من لم يغب

وكتب الى سيف الدولة من الاسر يعاتبه :

زماني كله غضب وعتب وانت علي والايام الب

(١) من قولهم اشب الشجر كفرح فهو اشب اي ملتف وتاشبوا اليه اي اجتمعوا وانضموا . ـ المؤلف ـ

وعيش العالمين لديك سهلٌ | وعيشي وحده بفناك صعب
وأنت وانت دافع كل خطب | مع الخطب الملم علي خطب
الى كم ذا العتاب وليس جرم | وكم ذا الإعتذار وليس ذنب
فلا بالشام لذ بفي شرب | ولا في الاسر رق علي قلب
فلا تحمل على قلب جريح | به لحوادث الايام ندب (١)
امثلي تقبل الاقوال فيه | ومثلك يستمر عليه كذب
جناني ما علمت ولي لسان | يقد الدرع والانسان عضب
وزندي وهو زندك ليس يكبو | وناري وهي نارك ليس تخبو
وفرعي فرعك السامي المعلا | واصلي اصلك الزاكي وحسب
لاسماعيل بي وبنيه فخر | وفي اسحق بي وبنيه عجب (٢)
واعمامي ربيعة وهي صيد | واخوالي بلصفر (٣) وهي غلب
فدت نفسي الأمير اكان حظي | وقربي عنده ما دام قرب
فلما حالت الأعداء دوني | واصبح بيننا بحر ودرب
ظللت تبدل الاقوال بعدي | وتبلغني اغتيابا ما يغب
فقل ما شئت في فلي لسان | مليء بالثناء عليك رطب

---

(١) الندب أثر الجرح الباقي بعد اندماله. (٢) اسماعيل هو أبو العرب واسحق ابو الروم يشير الى ان اباه عربي وامه او احدى جداته رومية وفسر ذلك بالبيت الذي بعده وبما يأتي في القصيدة الآتية ومر قوله:

اذا خفت من اخوالي الروم خطة | تخوفت من أعمامي العرب اربعا

(٣) بلصفر مخفف بنو الاصفر وهو كثير في كلام العرب كقولهم بلعنبر وبلقين اي بنو العنبر وبنو القين وغير ذلك. ـ المؤلف ـ

وقابلني بانصاف وظلم تجدني في الجميع كما تحب

وكتب الى سيف الدولة من الاسر وقد مضى عليه سنتان وهو مأسور من قصيدة :

ابى غرب هذا الدمع الا تسرعا ومكنون هذا الحب الا تضوعا
فحزني حزن الهائمين مبرحا وسري سر العاشقين مضيعا
وهبت شبابي والشباب مضنة لا بلج من أبناء عمي أروعا
أبيت معنى من مخافة عتبه واصبح محزونا وأمسي مروعا
فلما مضى عصر الشبيبة كله وفارقني شرخ الشباب فودعا
تطلبت بين الهجر والعتب فرجة فحاولت أمرا لايرام ممنعا
وصرت اذاما رمت في الحي لذة تتبعها بين الهموم تتبعا
وها انا قد حلى الزمان مفارقي وتوجني بالشيب تاجا مرصعا
فلو أن أسري بين عيش نعمته حملت لذالك الشهد ذا السم منقعا
ولكن أصاب الجرح جسما مجرحا وصادف هذا الصدع قلباً مصدعا
فلو أنني ملكت مما اريده من العيش يوماً لم أجد في موضعا
اما ليلة تمضي ولا بعض ليلة اسر بها هذا الفؤاد المفجعا
اما صاحب فرد يدوم وفاؤه فيصفي لمن أصفى ويرعى لمن رعى
افي كل دار لي صديق اوده اذا ما تفرقنا حفظت وضيعا
أقمت بارض الروم عامين لا ارى من الناس محزونا ولا متصنعا
اذا خفت من أخوالي الروم خطة تخوفت من أعمامي العرب أربعا
وان اوجعتني من أعادي شيمة لقيت من الاحباب أدهى وأوجعا

ولو قد املت الله لا رب غيره رجعت الى أعلا وأملت أوسعا
لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى ومن لم يجد الا القنوع تقنعا
وما مر انسان فاخلف مثله ولكن يرجي الناس أمراً مرقعا
تنكر سيف الدين لما عتبته وعرض بي تحت الكلام وقرعا
فقولا له من صادق الود انني جعلتك مما رابني منك مفزعا
ولو أنني أكننته في جوانحي لا ورق ما بين الضلوع وفرعا
فلا تغترر بالناس ما كل من ترى أخوك اذا أوضعت في الامر اوضعا
ولا تتقلد ما يروقك حليه تقلد اذا حاربت ما كان أقطعا
ولا تقبلن القول من كل قائل سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمعا
فلله احسان علي ونعمة ولله صنع قد كفاني التصنعا
اراني طرق المكرمات كما رأى علي واسعاني علي كما سعى
فان يك بطء مرة فلطالما تعجل نحوي بالجميل وأسرعا
وان يجف في بعض الامور فانني لاشكره النعمى التي كان اوزعا
وان يستجد الناس بعدي فلا يزل بذاك البديل المستجد ممتعا

وكتب الى سيف الدولة من الاسر يعرفه خروج الدمستق الى الشام في جموع الروم ويحثه على الاستعداد ويذكره امره ويسأله تقديم فدائه :

أتعز أنت على رسوم مغاني فاقيم للعبرات سوق هوان
فرض علي لكل دار وقفة تقضي حقوق الدار بالاجفان
لولا تذكر من هويت بحاجر لم أبك فيه مواقد النيران

ولقد أراه قبل طارقة النوى مأوى الحسان ومنزل الضيفان
ومكان كل مهند ومجر كل مثقف ومجال كل حصان
نثر الزمان عليه بعد أنيسه حلل الفناء وكل شيء فاني
ربما وقفت فسرني ما ساءني منه وأضحكني الذي أبكاني
ورأيت في عرصاته مجموعة اسد الشرى وربارب الغزلان
يا واقفان معي على الدار اطلبا غيري لها ان كنتما تجدان
منع الوقوف على المنازل طارق أمر الدموع بعقلتي ونهاني
فله اذا ونت المدامع او جرت عصيان دمعي فيه أو عصياني
ولقد جعلت الحب سر مدامعي ولغيره عيناي تنهملان
أبكي الاحبة بالشآم وبيننا تلك الدروب وشاطئا جيحان
وتحب نفسي العاشقين لانهم مثلي الى كنف من الاحزان
فضلات لدي مدامع فبكيت للـ سباكي بها وولهت للولهان
مالي جزعت من الخطوب وإنما أخذ المهيمن بعض ما أعطاني
ولقد سررت كما هممت عشائري زمنا وهنأني الذي عزاني
وأسرت في مجرى خيولي غازيا وحبست فيما اشعلت نيراني
يرمي بنا شطر البلاد مشيع صدق الكريهة فائض الاحسان
بلد لعمرك لم تزل زواره مع سيد قرن اغر هجان
وأنا الذي ملأ البسيطة كلها ناري وطنب في السماء دخاني
كان القضاء فلم تكن لي حيلة غلب القضاء شجاعة الشجعان
ان لم تكن طالت سني فان لي راي الكهول ونجدة الشبان

فمن بما ساء الاعادي موقفي والدهر يبرز لي مع الاقران
يمضي الزمان وما عمدت لصاحب الا ظفرت بصاحب خوان
يادهر خنت مع الاصادق خلتي وغدرت بي في جملة الاخوان
لكن سيف الدولة القرم الذي لم انسه واراه لا ينساني
ايضيعني من لم يزل لي حافظاً كرما ويخفضني الذي أعلاني
اني اغار على مكاني ان ارى فيه رجالاً لا تسد مكاني
او أن تكون وقيعة أو غارة ما لي بها أثر مع الفتيان
سيف الهدى من حد سيفك يرتجى يوم يذل الكفر للايمان
ولقد علمت وقد دعوتك انني ان نمت عنك انام عن يقظان
هذي الجيوش تجيش نحو بلاد كم محفوفة بالكفر والصلبان
هذي الجيوش تجيش نحو بلاد كم من كل اروع ضيغم سرحان
هذي الجيوش يفر منها الموت في يوم الوغى واثارة الشجعان
ليسوا ينون فلا تنوا وتيقظوا لاينهض الواني بغير الواني
قد اغضبوكم فانهضوا وتأهبوا للحرب اهبة ثائر غضبان
غضبا لدين الله إن لا تغضبوا لا يشتهر في نصره سيفان
حتى كأن الوحي فيكم منزل ولكم تخص فرائض القرآن

ثم أشار الى كثير من الوقائع ثم قال :

انا لنلقى الخطب فيك وغيره بموفق عند الحروب معان
اصبحت ممتنع الحراك وربما اصبحت ممتنعاً على الاقران

ولطالما حطمت صدر مثقف ولطالما ارغمت انف سنان
ولطالما قدت الجياد الى الوغى قب البطون طويلة الارسان
اعزز علي بان يخلي موقفي ويخل ما بين الصفوف مكاني
مازلت أكلأ كل صدر موحش ابدا بمقلة ساهر يقظان
شلال كل عظيمة ذوادها ضراب هامات العدى طعان
ان يمنع الاعداء حد صوارمي لا يمنع الأعداء حد لساني
ياراكبا يرمي الشآم بجسرة موارة شدنية مذعان
اقر السلام من الاسير العاني اقر السلام على بني حمدان
اقر السلام على الذين بيوتهم مأوى الكرام ومنزل الضيفان
اقر السلام على الذين سيوفهم يوم الوغى مهجورة الاجفان
الصافحين عن المسيء تكرما والمحسنين الى ذوي الاحسان

وقال وقد بلغه علة والدته بعدما قصدت حضرة سيف الدولة من منبج الى حلب تكلمه في المفاداة وتتضرع اليه فلم يكن عنده مارجت ولعله كان لسيف الدولة عذر سياسي في تأخير فدائه فان مايغيب عن الانسان لايجوز الحكم عليه من جميع نواحيه ووافق ذلك ان البطارقة قيدوا بميافارقين فقيد هو بخرشنة ورأت الأمر قد عظم فاعتلت من الحسرة فبلغ ذلك ابا فراس فكتب الى سيف الدولة :

يا حسرة ما أكاد احملها آخرها مزعج وأولها
عليلة بالشآم مفردة بات بايدي العدى معللها
تمسك احشاءها على حرق تطفئها والهموم تشعلها

اذا اطمأنت وأين أو هدأت   عن لها ذكره يقلقلها
تسأل عنه الركبان جاهدة   بأدمع ما تكاد تمهلها
يامن رأى لي بحصن خرشنة   اسد شرى في القيود ارجلها
يامن رأى لي الدروب شامخة   دون لقاء الحبيب أطولها
يامن رأى لي القيود موثقة   على حبيب الفؤاد أثقلها
يا أيها الراكبان هل لكما   في حمل نجوى يخف محملها
قولا لها ان وعت مقالكما   فان ذكري لها ليذهلها
يا أمتا هذه منازلنا   نتركها تارة وننزلها
يا أمتا هذه مواردنا   نعلها تارة وننهلها
اسلمنا قومنا الى نوب   ايسرها في القلوب أقتلها
واستبدلوا بعدنا رجال وغى   يود أدنى علاي أمثلها

يا سيدا ما تعد مكرمة   الا وفي راحتيك اكثرها
ليست تنال القيود من قدمي   وفي اتباعي رضاك أحملها
لا تيمم والماء تدركه   غيرك يرضى الصغرى ويقبلها
ان بني العم لست تخلفهم   ان غابت الاسد عاد اشبلها
أنت سماء ونحن أنجمها   انت بلاد ونحن اجبلها
انت سحاب ونحن وابله   انت يمين ونحن انملها
بأي عذر رددت والهة   عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح رد واحدها   فانتظر الناس كيف تقفلها

سمحت مني بمهجة كرمت … انت على يأسها مؤملها
ان كنت لم تبذل الفداء لها … فلم أزل في رضاك أبذلها
تلك المودات كيف تهملها … تلك المواعيد كيف تغفلها
تلك العقود التي عقدت لنا … كيف وقد احكمت تحللها
ارحامنا منك لم تقطعها … ولم تزل جاهداً توصلها
اين المعالي التي عرفت بها … تقولها دائباً وتفعلها
يا واسع الدار كيف توسعها … ونحن في صخرة نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدله … ثيابنا الصوف ما نبدلها
يا راكب الخيل لو بصرت بنا … نحمل أقيادنا وننقلها
رأيت في الضر أوجها كرمت … فارق فيك الجمال أجملها
قد أثر الدهر في محاسنها … تعرفها تارة وتجهلها
فلا تكلنا فيها الى أحد … معلها محسن يعللها
لا يفتح الناس باب مكرمة … صاحبها المستغاث يقفلها
أينبري دونك الانام لها … وانت قمقامها ومعقلها
وانت ان جل حادث جلل … قُلَّبها المرتجى وحُوَّلها
منك تردى بالفضل أفضلها … منك أفاد النوال أنولها
فان سألنا سواك عارفة … فبعد قطع الرجاء نسألها
اذا رأينا اولى الانام بها … يضيعها جاهداً ويهملها
لم يبق في الارض امة عرفت … الا وفضل الامير يشملها
نحن أحق الورى برأفته … فاين عنا وكيف معدلها

يا منفق المال لايريد به الا المعالي التي يؤثلها
أصبحت تشري مكارما فضلا فداؤنا قد علمت أفضلها
لا يقبل الله قبل فرضك ذا نافلة عنده تنفلها

وكتب معها بهذين البيتين :

قد عذب الموت بافواهنا والموت خير من مقام الذليل
انا الى الله لما نابنا وفي سبيل الله خير السبيل

﴿مراسلة والدته من الأسر﴾

كتب الى والدته بمنبج من اسر الروم :

لولا العجوز بمنبج ما عفت أسباب المنيه
ولكان لي عما سألـ ـت من الفدى نفس ابيه
لكن اردت مرادها ولو انجذبت الى الدنيه
وارى محاماتي عليـ ـها ان تضام من الحميه
امست بمنبج حرة بالحزن من بعدي حريه
لو كان يدفع حادث او طارق بجميل نيه
لم تطَّرق نوب الحوا دث ارض هاتيك التقيه
لكن قضاء الله والـ أحكام تنفذ في البريه
والصبر يأتي كل ذي رزء على قدر الرزيه
لا زال يطرق منبجا في كل غادية تحيه
فيها التقى والدين مجـ ـموعان في نفس زكيه

يا أمتا لا تحزني … وثقي بفضل الله فيه
يا أمتا لا تيأسي … لله الطاف خفيه
كم حادث عنا جلا … ه وكم كفانا من بليه
اوصيك بالصبر الجميـ … ـل فانه خير الوصيه

وكتب الى والدته من الاسر يعزيها ويصبرها وقد ثقل من الجراح التي نالته ويئس من نفسه :

مصابي جليل والعزاء جميل … وظني أن الله سوف يديل
وما زاد مني الاسر ما تريانه … ولكنني دامي الجراح عليل
جراح وأسر واشتياق وغربة … أأحمل أني بعد ذا لحمول
جراح تحاماها الاساة مخافة … وسقمان باد منهما ودخيل
وأسر اقاسيه وليل نجومه … ارى كل شيء غيرهن يزول
تطول بي الساعات وهي قصيرة … وفي كل دهر لا يسرك طول
تناساني الأصحاب الاعصابة … ستلحق بالاخرى غداً وتحول
ومن ذا الذي يبقى على العهد انهم … وان كثرت دعواهم لقليل
اقلب طرفي لا ارى غير صاحب … يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى ان المتارك محسن … وان صديقا لا يضر وصول
تصفحت أقوال الرجال فلم يكن … الى غير شاك للزمان وصول
اكل خليل هكذا غير منصف … وكل زمان بالكرام بخيل
نعم دعت الدنيا الى الغدر دعوة … اجاب اليها عالم وجهول

وفارق عمرو بن الزبير شقيقه وخلى أمير المؤمنين عقيل (١)
فياحسرتي من لي بخل موافق اقول بشجوي مرة ويقول
وان وراءَ الستر اما بكاؤها علي وان طال الزمان طويل
فيا أمتا لا تعدمي الصبر انه الى الخير والنجح القريب رسول
ويا أمتا لا تعدمي الصبر انه على قدر الرزء الجليل جميل
ويا امتا لا تحبطي الاجر انه على قدر الصبر الجميل جزيل
ويا أمتا صبراً فكل ملمة تجلى على علاتها وتزول
تأسي كفاك الله ما تحذرينه فقد غال هذا الناس قبلك غول
امالك في ذات النطاقين اسوة بمكة والحرب العوان تجول
ارادا بنها اخذ الامان فلم تجب وتعلم علما انه لقتيل (٢)
وكوني كما كانت باحد صفية ولم يشف منها بالبكاء غليل

(١) هو عمرو بن الزبير بن العوام كان بينه وبين أخيه عبد الله بن الزبير بغضاء استعمله عمرو بن سعيد الاشدق على شرطته لما ولي المدينة ثم جهزه في نحو الفين لقتال أخيه عبد الله بمكة فارسل اليه أخوه من فرق جماعته ثم قبض عليه وكان عمرو قد ضرب أهل المدينة ضربا شديدا لهواهم في أخيه فأمر أخوه أن يقتصوا منه فمات تحت السياط كذا في شذرات الذهب ، وفي مروج الذهب أن اصحاب عمرو انهزموا عنه واسلموه فظفر به اخوه عبد الله فاقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات . وامير المؤمنين علي بن ابي طالب وعقيل اخوه . (٢) ذات النطاقين هي اسماء بنت ابي بكر يقال سميت بذلك لانها شقت نطاقها لسفرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغار وابنها عبد الله بن الزبير كان الحجاج يحاربه بمكة من قبل عبد الملك فبذل له الامان فاستشار امه وهي عجوز عمياء فقالت عش عزيزاً او مت كريماً فقاتل حتى قتل . ـ المؤلف ـ

ولو رد يوما حمزة الخير حزنها … اذا لعلتها رنة وعويل (١)
وما اثري يوم اللقاء مذمم … ولا موقفي عند الأسار ذليل
لقيت نجوم الليل وهي صوارم … وخضت سواد الليل وهو خيول
ولم أرع للنفس الكريمة خلة … عشية لم يعطف علي خليل
ولكن لقيت الموت حتى تركتها … وفيها وفي حد الحسام فلول
ومن لم يوق الله فهو ممزق … ومن لم يعز الله فهو ذليل
ومن لم يرده الله في الامر كله … فليس لمخلوق اليه سبيل
وان رجائيه وظني بفضله … على قبح ما قدمته لجميل

﴿ مراسلته أخاه أبا الهيجاء من الأسر ﴾

لما أسر ابو فراس لحق أخاه أبا الهيجاء حرب بن سعيد بن حمدان جزع لأسره كما يلحق الأخ الوفي عند أسر أخيه السري فكتب اليه ابو فراس من الأسر هذه القصيدة العصماء يعذله على هذا الجزع ويفتخر ويذكر قوما عجزوا رأيه في الثبات فقد عرفت أنه كان يمكنه الفرار فثبت تجنبا عن سوء الاحدوثة وهذه القصيدة فيها في الديوان المطبوع نقص كثير ونحن نذكر هنا أكثرها مع ما مر ويأتي منها وان لزم بعض التكرار لنفاسة مضامينها وفيها مقاصد متنوعة :

(١) هي صفية بنت عبد المطلب وحمزة اخوها قتل باحد ومثل به فلما جاءت لتنظر اليه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابنها الزبير دونك امك فلقيها واخبرها فصبرت . ـ المؤلف ـ

« النسيب »

أبثك اني للصبابة صاحب ... وللنوم مذ بان الخليط مجانب
علي لربع العامرية وقفة ... فيملي على الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار وأهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

« الفخر »

عتادي لدفع الهم نفس أبية ... وقلب على ماشئت منه مصاحب
وجرد كأمثال السعالي سلاهب ... وخوص كأمثال القسي نجائب

« الاتكال على الله »

اذا الله لم يحرزك فيما تخافه ... فلا الدرع مناع ولا السيف قاضب
ولا سابق مما تنخلت (١) سابق ... ولا صاحب مما تخيرت صاحب

« جوابه لمن لامه على الثبات »

يقولون لي أقدمت في غير مقدم ... وأنت امرؤ ماحنكته التجارب
فقلت لهم لو لم ألاق صدورها ... تناولني بالذم منهم عصائب
رجال يذيعون العيوب وعندنا ... أمور لهم مخزونة ومعائب
تكاثر لوامي على ما اصابني ... كأن لم تنب الا بأسري النوائب
يقولون لم ينظر عواقب أمره ... ومن لم يهن تجري عليه العواقب
ألم يعلم الذلان (٢) أن بني الوغى ... كذاك سليب بالرماح وسالب

(١) اي اخترت . (٢) الذلان بالضم الذليل كما مر وفي شعر حسان «لئام العبيد وذلانها» . ـ المؤلف ـ

وان وراء الحزم فيها ودونه مواقف تنسى عندهن التجارب
أرى ملء عيني الردى وأخوضه اذ الموت قدامي وخلفي المقانب

« الحساد والاعداء »

رمتني عيون الناس حتى أظنها ستحسدني في الحاسدين الكواكب
فلست ارى الا عدواً محاربا وآخر خير منه عندي المحارب
فكم يطفئون المجد والله موقد وكم ينقصون الفضل والله واهب
ويرجون ادراك العلا بنفوسهم ولم يعلموا أن المعالي مواهب
ومضطغن لم يحمل السر قلبه تلفت ثم اغتابني وهو هائب
تردى رداء الذل لما لقيته كما يتردى بالغبار العناكب
ومن شرفي أن لا يزال يعيبني حسود على الأمر الذي هو عائب

« القضاء والقدر »

وهل يدفع الانسان ما هو واقع وهل يعلم الانسان ماهو كاسب
وهل لقضاء الله في الناس غالب وهل من قضاء الله في الناس هارب

« العذر عن الاسر »

علي طلاب العز من مستقره ولاذنب لي ان حاربتني المطالب
وعندي صدق الضرب في كل معرك وليس علي ان نبون المضارب

« مدح سيف الدولة »

اذا كان سيف الدولة الملك كافل فلا الحزم مغلوب ولا الخزن غالب
وهل يرتجى للأمر الا رجاله ويسأل صوب المزن الا السحائب

« التنزه عن الدنايا »

فلا تخش سيف الدولة القرم انني سواك الى خلق من الناس راغب

فما تلبس النعمى وغيرك ملبس ... ولا تقبل الدنيا وغيرك واهب

وما أنا من كل المطاعم طاعم ... ولا أنا من كل المشارب شارب

ولا أنا راض ان كثرن مكاسبي ... اذا لم تكن بالعز تلك المكاسب

ولا السيد القمقام عندي بسيد ... اذا استنزلته من علاه الرغائب

﴿ الاعتراف بانعام سيف الدولة ﴾

علي لسيف الدولة القرم أنعم ... أوانس لا ينفرن عني ربائب

أأجحده احسانه بي انني ... لكافر نعمي ان أردت موارب

وما شك قلبي ساعة في وداده ... ولا شاب ظني قط فيه الشوائب

يؤرقني ذكرى له وصبابة ... وتجذبني شوقا اليه الجواذب

﴿ الحنين إلى أخيه ﴾

يعلم ما ألقى نعم يعلمونه ... علي النأي أحباب لنا وحبائب

أأبقى أخي دمعا أذاق أخي عزا ... أأب أخي بعدي من الصبر آئب

سقى الله أرض الموصل المزن انها ... لمن حلها فرض له الحب لازب

بنفسي وان لم أرض نفسي راكب ... يسائل عني كلما لاح راكب

فما ذاق بعدي لذة العيش ساعة ... ولا ناب جفنيه من النوم نائب

قريح مجاري الدمع مستلب الكرى ... يقلقله هم من الشوق ناصب

أخ لا يذقني الله فقدان مثله ... وأين له مثل وأين المقارب

تجاوزت القربى المودة بيننا ... فأصبح أدنى ما يعد التناسب

﴿ شكوى الزمان ﴾

رمتني الليالي بالفراق حسادة ... وهن الليالي راميات صوائب

وما كنت أخشى ان أرى الدهر حاسدي كأن لياليه لدى الأقارب
ولكنني في ذا الزمان وأهله غريب وأفعالي لديه غرائب

﴿ شرط الأخوة وحسن الرجاء ﴾

وأنت أخ تصفو وتصفي وانما الـ أقارب في هذا الزمان العقارب
لعل الليالي أن يعدن فربما تجلين اجلاء الغيوم المصائب
ألا ليتني حملت همي وهمه وان أخي ناء عن الهم عازب
فمن لم يجد بالنفس دون حبيبه فما هو الا ماذق الحب كاذب

﴿ تسليته لأخيه ﴾

أتاني مع الركبان أنك جازع وغيرك يخفي عنه لله واجب
وما أنت ممن يسخط الله فعله وان أخذت منه الخطوب السوالب
واني لمجزاع ولكن همتي تدافع عني حسرتي وتغالب
ورقبة حساد صبرت اتقاءها لها جانب مني وللحزن جانب
ولست ملوما لو بكيتك من دمي اذا قعدت عني الدموع السواكب

﴿ حسن الرجاء ﴾

ألا ليت شعري هل تبيت مغذة تناقل بي يوما اليك الركائب
فتعتذر الايام من طول ذنبها الي ويأتي الدهر والدهر تائب

وكتب أيضا الى اخيه حرب بن سعيد من القسطنطينية

لقد كنت اشكو البعد منك وبيننا بلاد اذا ما شئت قربها الوخد
فكيف وفيما بيننا ملك قيصر ولا امل يحيي النفوس ولا وعد

« مراسلته ابني سيف الدولة »

كتب الى ابي المكارم وابي المعالي ابني سيف الدولة من الاسر يسألهما ان يكلما اباهما في فدائه :

ياسيدي اراكما ... لا تذكران اخاكما
اوجدتما بدلا به ... يبني سماء علاكما
اوجدتما بدلا به ... يفري نحور عداكما
ما كان بالفعل الجميـ ... ـل بمثله اولاكما
من ذا يعاب بما اتيـ ... ـت من الورى الا كما
لا تقعدا بي بعدها ... وسلا الامير اباكما
وخذا فداي جعلت من ... ريب المنون فداكما

« مراسلته محمد بن الاسمر من الاسر »

كتب اليه ابو الحسن محمد بن الاسمر وهو في الاسر يوصيه بالصبر فأجابه بهذه الابيات :

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب ... وناديت بالتسليم خير مجيب
ولم يبق مني غير قلب مشيع ... وعود على ناب الزمان صليب
وقد علمت امي بان منيتي ... بحد سنان أو بحد قضيب
كما علمت من قبل ان يغرق ابنها ... بمهلكه في الماء أم شبيب (١)

(١) هو شبيب الخارجي كانت امه رات وهي حامل به كان ناراً خرجت منها فاشتعلت في الآفاق ثم وقعت في الماء فانطفأت فلما خرج كان كلما قيل لها إنه قتل لا تصدق حتى قيل لها انه غرق فاقامت عليه مناحة . ـ المؤلف ـ

لقيت من الايام كل عجيبة وقابلني دهري بوجه قطوب
تجشمت خوف العار اعظم خطة واملت نصراً كان غير قريب
رضيت لنفسي كان غير موفق ولم ترض نفسي كان غير نجيب(١)

«مراسلته غلاميه منصوراً وصافياً من الاسر»

كتب الى غلامه منصور وهو في أسر الروم :

ان قلبا يطيق ذا لصبور مغرم مؤلم جريح أسير
وكثير من القلوب صخور وكثير من الرجال حديد
قل لمن حل بالشآم طليقا يفتدي قلبك الطليق الاسير
أنا أصبحت لا أطيق حراكا كيف أصبحت أنت يامنصور

وكتب اليه أيضاً :

ارث لصب بك قد زدته على بلايا أسره أسرا
قد عدم الدنيا ولذاتها لكنه ما عدم الصبرا
فهو أسير الجسم في بلدة وهو أسير القلب في أخرى

وكتب الى غلاميه صاف ومنصور من الأسر وفيها دلالة على شدة بره بوالدته وشوقه لاصحابه وانه كان له أولاد صغار وان سيف الدولة أسند اليه ذنباً :

لايكم اذكر وفي ايكم افكر وكم لي على بلدة بكاء ومستعبر
ففي حلب عدتي وعزي والمفخر وفي منبج من رضا ه انفس ما اذخر
ومن حبها زلفة بها يكرم المحشر واصبية كالفرا خ اكبرهم اصغر

(١) اي رضيت ان يقال عني كان غير موفق ولم ترض نفسي ان يقال عني كان غير نجيب . ـ المؤلف ـ

يخيل لي امرهم كانهم حضر ... وقوم الفناهم وغصن الصبا اخضر
فحزني ماينقضي ودمعي ما يفتر ... ولا هذه ادمعي ولا ذا الذي انشر
ولكن اداري الدموع واضمر ما اضمر ... مخافة قول الوشاة مثلك ما يصبر
فياغفلتا كيف لا ارجي كما احذر ... وماذا القنوط الذي اراه واستشعر
اما من بلاني به على كشفه اقدر ... بلي ان لي سيدا مواهبه اكبر
فيامن غزر الدمع واحسانه اغزر ... بذنبي اوردتني ومن فضلك المصدر

وكتب اليهما في الاسر ايضاً يستجفيهما :

هل تحسان لي رفيقا رفيقا ... مخلص الود او صديقا صدوقا
لا رعى الله ياحبيبي دهراً ... فرقتنا صروفه تفريقا
كنت مولا كما وما كنت الا ... والدا محسنا وعما شفيقا
فاذكراني وكيف لا تذكراني ... كلما استخون الصديق الصديقا
بت ابكيكما وان عجيبا ... ان يبيت الاسير يبكي الطليقا

«بقية أشعاره في الاسر»

وقال يذكر اسره ويصف مناظرة جرت بينه وبين الدمستق في الدين :

يعز على الاحبة بالشآم ... حبيب بات ممنوع المنام
تبيت همومه والليل داج ... تقلبه على وخز السهام
يؤول به الصباح الى ظلام ... ويسلمه الظلام الى الظلام
واني للصبور على الرزايا ... ولكن الكلام على الكلام
جروح ما يزلن يردن مني ... على جرح قريب العهد دامي

تأملني الدمستق اذ رآني فابصر صبغة الليث الهمام
اتنكرني كانك لست تدري باني ذلك البطل المحامي
واني اذ نزلت على دلوك(١) تركتك غير متصل النظام
وكنت ترى الاناة وتدعيها فاعجلك الطعان عن الكلام
وبت مؤرقا من غير سقم حمى جفنيك طيب النوم حامي
ولا أرضى الفتى مالم يكمل برأي الكهل اقدام الغلام
فلا هنئتها نعمى بأخذي ولا وصلت سعودك بالتمام
أمامن أعجب الاشياء علج يعرفني الحلال من الحرام
وتكنفه بطارقة تيوس تباري بالعثانين الضخام
لهم خلق الحمير فلست تلقى فتى منهم يسير بلا حزام
وأصعب خطة واجل امر مجالسة اللئام على الكرام
يريغون(٢) العيوب واعجزتهم واي العيب يوجد في الحسام
ابيت مبرأ من كل عيب واصبح سالماً من كل ذام
ومن ابقى الذي ابقيت هانت عليه موارد الموت الزؤام
ثناء طيب لا خلف فيه وآثار كآثار الغمام
وعلم فوارس الحيين اني قليل من يقوم لهم مقامي

(١) دلوك بالضم بلدة من نواحي حلب بالعواصم كانت بها وقعة لابي فراس مع الروم .

(٢) يطلبون .

ـ المؤلف ـ

وفي طلب الثناء مضى بجير (١) . وجاد بنفسه كعب بن مام (٢)
ألام على التعرض للمنايا ولي سمع أصم عن الملام
بنو الدنيا اذا ماتوا سواء ولو عمر المعمر الف عام
ألا ياصاحبي تذكراني اذا ما شمتما البرق الشآمي
اذا ما لاح لي لمعان برق بعثت الى الاحبة بالسلام

وقال وهو في الأسر بعد علة عوفي منها وكان في فخذه نصل سهم له شعبتان أقام فيها ثلاثين شهراً فشقت فخذه حتى أخرج منها :

---

(١) بجير هو ابن عمرو بن عباد كان عمه الحارث بن عباد قد اعتزل في حرب البسوس فلما قتل جساس وهمام أبنا مرة أرسل الحارث بجيراً ابن أخيه الى مهلهل وكتب اليه انك قد ادركت ثأرك وقد أرسلت ابني اليك فاما قتلته باخيك واما اطلقته فقتله مهلهل وقال بؤ بشسع نعل كليب ، وقال ابن خالويه في شرح هذا البيت ان الحارث بن عباد اعتزل حرب بكر وتغلب فلما طال الحرب وكثر القتال انفذ ابنه بجيرا باذلا نفسه في طلب حسن الذكر وصلح العشيرة فقتله المهلهل وجعله في خرج على ناقته وكتب رقعة في اذنه بؤ بشسع نعل كليب فجرى ذلك اليوم التحالق اه . فهنا جعله ابن خالويه ابنه وقال انه ارسله في طلب الصلح وفي شرح قوله في النونية [وبنو عباد حين احرج حارث] جعله ابن اخيه وقال انه خرج في طلب ابل ضلت له كما يأتي ذلك كله عند ذكر شعره القصصي والصواب انه ابن اخيه وسماه ابنه لان ابن الاخ بمنزلة الابن فابن الاثير صرح بانه ابن اخيه ومع ذلك سماه ابنه اما انه ارسل في طلب الصلح او خرج في طلب ابل له فالظاهر انهما روايتان . (٢) كعب بن مام هو كعب بن مامة الايادي صاحب رجلا من النمر بن قاسط ومعهما ماء يسير فاقتسماه وشرب النمري ماءه ثم استسقاه فآثره كعب بمائه فنجا النمري ومات كعب عطشا . ـ المؤلف ـ

فلا تصمن الحرب عندي فانها ... طعامي مذ ذقت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي ... وشقق عن زرق النصول اهابي
ولجت في حلو الزمان ومره ... وأنفقت من عمري بغير حساب

وقال وهو في الاسر :

يا ليل ما أغفل عما بي ... حبائبي فيك وأحبابي
يا ليل نام الناس عن موجع ... آب على مضجعه نابي
هبت له ريح شآمية ... متت الى القلب باسباب
أدت رسالات حبيب لنا ... فهمتها من دون أصحابي

وقال وهو في الاسر :

قناتي على ما تعلمين صليبة ... وعودي على ما تعهدين صليب
صبور على طي الزمان ونشره ... وان ظهرت للدهر في ندوب(١)
وان فتى لم يكسر الاسر قلبه ... وخوض المنايا حده لنجيب

وقال وهو في الاسر :

ان في الأسر لصبا ... دمعه في الخد صب
هو بالروم مقيم ... وله بالشام قلب
مستجداً لم يصادف ... عوضا عمن يحب

وقال وهو في الاسر :

ما للعبيد من الذي ... يقضي به الله امتناع

(١) الندوب بضم النون جمع ندبة بفتحها وهي أثر الجرح الباقي على الجلد .
ـ المؤلف ـ

ذدت الاسود عن الفرا ... ئس ثم تفرسني الضباع

وقال وهو في الاسر وقد سمع حمامة تنوح على شجرة عالية :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة ... ايا جارتا هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزون الفؤاد قوادم ... الى غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ... تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدي ضعيفة ... تردد في جسم يعذب بالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة ... ويسكت محزون ويندب سالي
وما كل عين لا تفيض قريرة ... ولا كل قلب لا ينوح بخالي
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة ... ولكن دمعي في الحوادث غالي

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويصف منازله بمنبج ويتشوقها وكانت ولايته واقطاعه وداره :

قف في رسوم المستجا ... ب وحي اكناف المصلى
فالجوسق الميمون فالسـ ... ـقيا بها فالنهر الاعلى
تلك المنازل والملا ... عب لا اراها الله محلا
اوطنتها زمن الصبا ... وجعلت منبج لي محلا
حرم الوقوف بها علي ... وكان قبل اليوم حلا
حيث التفت رأيت ما ... ء سائحا ووجدت ظلا
وتحل بالجسر الجنا ... ن وتسكن الحصن المعلى
يجلو عرائسه لنا ... هزج الرياح اذا تجلى

واذا نزلنا بالسوا جير اجتنينا العيش سهلا
والماء يفصل بين زهـ ـر الروض في الشطين فصلا
كبساط وشي جردت ايدي القيون عليه نصلا
من كان سر بما عرا ني فليمت ضراً وهزلا
ما غض مني حادث والقرم قرم حيث حلا
اني حللت فانما يدعونني السيف المحلى
مثلي اذا لقي الأسا رفان يضام ولن يذلا
لم أخل فيما نابني من ان اعز وان اجلا
رعت القلوب مهابة وملأتها فضلا ونبلا
فلئن خلصت فانني شرق العدى طفلا وكهلا
ما كنت الا السيف زا دعلى صروف الدهر صقلا
ولئن قتلت فانما موت الكرام الصيد قتلا
لا يشمتن بموتنا الا فتى يفنى ويبلى
يغتر بالدنيا الجهو ل وليس في الدنيا مملى

وقال يذكر اسره وبعض حساده من قصيدة :

لمن جاهد الأعداء اجر المجاهد واعجز ما حاولت ارضاء حاسد
ولم أر مثلي اليوم اكثر حاسداً كأن قلوب الخلق لي قلب واحد
ألم ير هذا الناس قبلي فاضلا ولم يظفر الحساد مثلي بماجد
أرى الغل من تحت النفاق فأجتني من العسل الماذي سم الأساود
واصبر ما لم يلبس الصبر ذلة وألبس للمذموم حلة حامد

وأعلم ان فارقت خلا عرفته ... وحاولت خلا انني غير واجد
وهل نافعي ان عضني الدهر مفرداً ... اذا كان لي قوم طوال السواعد
وهل أنا مسرور بقرب أقاربي ... اذا كان لي منهم قلوب الأباعد
لعمرك ما طرق المعالي خفية ... ولكن بعض السير ليس بقاصد
صبرت على اللأواء صبر ابن حرة ... كثير العدا فيها قليل المساعد
وطاردت حتى أبهر الجري أشقري ... وضاربت حتى أوهن الضرب ساعدي
خليلي ما أعددتما لمتيم ... أسير لدى الأعداء جافي المراقد
فريد عن الأحباب لكن دموعه ... مثان على الخدين غير فرائد
اذا كان غير الله للمرء عدة ... أتته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرت الحنفاء قتل حذيفة ... وكان يراها عدة للشدائد (١)
وجرت منايا مالك بن نويرة ... عقيلته الحسناء أيام خالد (٢)
عسى الله ان يأتي بخير فان لي ... عوائد من نعماه خير عوائد
فكم شال بي من قعر ظلماء لم يكن ... لينقذني من قعرها حشد حاشد
فان عدت يوما عاد للحرب والعلا ... وبذل الندى والمجد أكرم عائد
مرير على الأعداء لكن جاره ... الى خصب الأكناف عذب الموارد

---

(١) الحنفاء فرس حذيفة بن بدر الفزاري تراهن هو وقيس بن زهير العبسي على فرسين لقيس اسمهما داحس والغبراء وفرسين لحذيفة اسمهما الخطار والحنفاء وجر ذلك الى حرب داحس والغبراء المشهورة قتل فيها حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وقيل كان الرهان على داحس فرس قيس والغبراء فرس حذيفة والاول اصح ويدل عليه هذا البيت . (٢) هو خالد بن الوليد قتل مالك ابن نويرة من بني حنيفة ودخل بامرأته . ـ المؤلف ـ

منعت حمى قومي وسدت عشيرتي ... وقلدت أهلي غر هذي القلائد
خلائق لا يوجدن في كل ماجد ... ولكنها في الماجد ابن الأماجد

[الاخوانيات]

منها المراسلة بينه وبين بني ورقاء ومرت في اخباره معهم

﴿ المراسلة بينه وبين أبي زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ﴾

قال أبو فراس وهو أول بيت قاله في صباه :

بكيت فلما لم أر الدمع نافعي ... رجعت الى صبر أمر من الصبر

فاتصل هذا البيت بأبي زهير مهلهل بن نصر بن حمدان فكتب اليه بأبيات أولها (أيا ابن الكرام الصيد والسادة الغر) فأجابه ابو فراس بقوله من أبيات :

ألا ما لمن أمسى يراك وللبدر ... وما لمكان أنت فيه وللقطر
تجللت بالتقوى وأفردت بالعلا ... وأهلت للجلى وحليت بالفخر
لقلدتني لما ابتدأت بمدحتي ... يداً لا أؤدي شكرها آخر العمر
فان أنا لم أمنحك صدق مودتي ... فمالي الى المجد المؤثل من عذر
أيا ابن الكرام الصيد جاءت كريمة ... (ايا ابن الكرام الصيد والسادة الغر)
وانك في عذب الكلام وجزله ... لتغرف من بحر وتنحت من صخر
ومثلك معدوم النظير من الورى ... وشعرك معدوم النظير من الشعر
كأن على ألفاظه ونظامه ... بدائع ما حاك الربيع من الزهر
تنفس فيه الروض واخضل بالندى ... وهب نسيم الفجر يخبر بالفجر

الى الله اشكو من فراقك لوعة　　طويت لها مني الضلوع على جمر
فعد يازمان القرب في خير عيشة　　وانعم بال ما بدا كوكب دري
وعش ياابن نصر ما استهلت غمامة　　تروح الى عز وتغدو على نصر

وكتب اليه ابو زهير أيضا قصيدة أولها (بان صبري ببين ظبي ربيب) فأجابه ابو فراس بقوله :

وقفتني على الأسى والنحيب　　مقلتا ذلك الغزال الربيب
كلما عادني السلو رماني　　غنج ألحاظه بسهم مصيب
فاترات قواتل فاتنات　　فاتكات سهامها بالقلوب
أيها المذنب المعاتب حتى　　خلت ان الذنوب كانت ذنوبي
كن كما شئت من وصال وهجر　　غير قلبي عليك غير كئيب
لك جسم الهوى وثغر الاقاحي　　ونسيم الصبا وقد القضيب
أنا في حالتي وصال وهجر　　من جوى الحب في عذاب مذيب
بين قرب منغص بصدود　　ووصال منغص برقيب
هل من الظاعنين مهد سلامي　　للفتى الماجد الحصيف الاديب
ابن عمي الداني على شحط دار　　والقريب المحل غير القريب
خالص الود صادق العهد انس　　في حضور محافظ في مغيب
كل يوم يهدي الى رياضا　　جادها فكره بغيث سكوب
بان صبري لما تأمل طرفي　　(بأن صبري ببين ظبي ربيب)

فأجابه أبو زهير بقصيدة أولها (هاج شوق المتيم المهجور) فأجابه أبو فراس بقوله :

مستجير الهوى بغير مجير ومضام النوى بغير نصير
ما لمن و كل النوى مقلتيه بانسكاب وقلبه بالزفير
فهو ما بين عمر ليل طويل يتلظى وعمر يوم قصير
يا كثيبا من تحت غصن نضير يتثنى من تحت بدر منير
قد منحت الرقاد عين خلي بات خلوا مما يجن ضميري
ان لي مذ نأيت جسم مريض وبكا ثاكل وذل أسير
وردت منك يا ابن عمي هدايا تتهادى في سندس وحرير
بقواف الذ من بارد الما ء ولفظ كاللؤلؤ المنثور
محكم قصر الفرزدق والاخ طل عنه وفاق شعر جرير
أنت ليث الوغى وحتف الاعادي وغياث الملهوف والمستجير
كم تحديتني وانت كبير السن طب بكل أمر كبير
واذا كنت يا ابن عمي قد امتحت جوابي قنعت بالميسور
هاج شوقي اليك لما أتتني (هاج شوق المتيم المهجور)

وكتب اليه أبو زهير قصيدة أولها: (كتابي عن شوق اليك ووحشة) فاجابه أبو فراس بقوله:

ايا ظالما أضحى يعاتب منصفاً أتلزمني ذنب المسيء تعجرفا
بدأت بتنميق العتاب مخافة الـ ـعتاب وذكرى بالجفا خيفة الجفا
فوافى على علات عتبك صابرا والفى على حالات ظلمك منصفا
وكنت متى صافيت خلا منحته بهجرانه وصلا ومن غدره وفا
فهيج لي هذا الكتاب صبابة وجدد لي هذا العتاب تأسفا

فان ادنت الايام دارا بعيدة ... شفى القلب مظلوم من العتب واشتفى
فان كنته اقررت بالذنب تائبا ... وان لم أكن أمسكت عنه تالفا

وكتب الى ابي زهير بقوله من ابيات :

هو الطلل العافي وهاتا معالمه ... فبح بهوى من أنت في القلب كاتمه
وما الغادة الحسناء صينت وانما ... اذيل من الدمع المصون كرائمه
وما العيس سارت بالجآذر غدوة ... الا انما صبري استقلت غرائمه
وليس بذي وجدفتى كتم الهوى ... وليس بصب من ثنته لوائمه
وقفنا فسقينا المنازل أدمعا ... هي الوبل والاجفان منها غمائمه
وما الدمع يوما نافعاً من صبابة ... ولو فاض حتى يملأ الارض ساجمه
وكان عظيما عندي الهجر مرة ... فلما رأيت البين هانت عظائمه
وما لجمال الحي يوم تحملوا ... تولت بمن زان الحلي معاصمه
لقد جارت الايام فينا بحكمها ... ومن ينصف المظلوم والخصم حاكمه
سل الدهر عني هل خضعت لحكمه ... وهل راعني اصلاله واراقمه
وهل موضع في البرماجئت ارضه ... ولا وطئته من بعيري مناسمه
ولا شعب الا قد وردت نجوده ... وان بعدت اغواره وتهائمه
وما صحبتني قط الا مطيتي ... وعضب حسام مخذم الحد صارمه
وان انفراد المرء في كل مشهد ... لخير من استصحاب من لا يلائمه
اذا نزل الخطب الجليل فاننا ... نصابره حتى تضيق حيازمه
وان جاءنا عاف فانا معاشر ... نشاطره اموالنا ونقاسمه

بنينا من العلياء مجداً مشيداً وما شائد مجداً كمن هو هادمه
سل المجد عنا يعلم المجد اننا بنا اطدت أركانه ودعائمه
اخي وابن عمي يا ابن نصر نداء من اقيمت لطول الهجر منك مآتمه
اودك وداً لا الزمان يبيده ولا الرأي يفنيه ولا الهجر صارمه (ثالمه)
فواعجباً للسيف لما انتضيته من الجفن لم يورق بكفك قائمه
ويا عجبا للطرف لما ركبته غداة الوغى كيف استقلت قوائمه
بليث اذا ما الليث حاد عن الوغى وغيث اذا ما الغيث أكدت سواجمه
تعلم أقيك السوء ان مدامعي لبعدك مثل العقد أوهاه ناظمه
واني مذ زمت ركابك للنوى شديد اشتياق عازب القلب هائمه

وكتب اليه على هذا الوزن وهذه القافية من أبيات :

أما انه ربع الصبا ومعالمه فلا عذر ان لم يسفح الدمع ساجمه
ونحن أناس يعلم الله أننا اذا جمح الدهر الغشوم شكائمه
اذا ولد المولود منا فانما الـ أسنة والبيض الرقاق تمائمـه
الا مبلغ عني ابن عمي رسالة يبث بها بعض الذي انا كاتمه
فيا جافيا ما كنت أخشى جفاءه ولو كثرت عذاله ولوائمـه
كذلك حظي من زماني وأهله يصارمني الخل الذي لا أصارمه
وأنت وفي لا يذم وفاؤه وأنت كريم ليس تحصى كرائمه
أقيم به أصل الفخار وفرعه وشد به ركن العلا ودعائمه
أخو السيف يعديه نداوة كفه فيحمر خداه ويخضر قائمـه
اعندك لي عتبى فأحمد ما مضى وابني رواق الود اذا انت هادمه

فلا تحبسن عني الجواب موشحا　　بعقد من الدر الذي أنت ناظمه

﴿ المراسلة بينه وبين اخيه أبي الهيجاء ﴾

وكتب الى أخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد :

حللت من المجد أعلا مكان　　وبلغك الله أقصى الأماني
فانك لا عدمتك العلا　　أخ لا كاخوة هذا الزمان
صفاؤك في البعد مثل الدنو　　وودك في القلب مثل اللسان
كسونا اخوتنا بالصفا　　كما كسيت بالكلام المعاني

﴿ المراسلة بينه وبين أبي العشائر ﴾

وكتب الى ابي العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان وهو ابو زوجة ابي فراس عند أسره الى بلد الروم من قصيدة :

أأبا العشائر ان أسرت فطالما　　أسرت لك البيض الخفاف رجالا
لما أجلت المهر فوق رؤوسهم　　نسجت له حمر الشعور عقالا (١)
يا من اذا حمل الحصان على الوجى　　قال اتخذ حبك التريك (٢) نعالا
ما كنت نهزة آخذ يوم الوغى　　لو كنت أوجدت الكميت مجالا
حملتك نفس حرة وعزائم　　قصرن من قلل الجبال طوالا
أخذوك في كبد المضائق غيلة　　مثل النساء تربب الرئبالا (٣)
ألا دعوت أبا فراس انه　　ممن اذا طلب الممنع نالا

(١) في اليتيمة ما أحسن ما اعتذر له مع احسانه التشبيه (٢) التريك جمع تريكة وهي بيضة الحديد . (٣) الرئبال الاسد . ـ المؤلف ـ

وردت بعيد الفوت أرضك خيله ... سرعا كأمثال القطا ارسالا
زال من الأيام فيك يقيله ... ملك اذا عثر الزمان أقالا
ومعود فك العناة مداوم ... قتل العداة ان استغار أطالا
مازال سيف الدولة القرم الذي ... يكفي الجسيم ويحمل الاثقالا
بالخيل ضمرا والسيوف قواضبا ... والسمر لدنا والرجال عجالا
وغداً تزورك بالفكاك خيوله ... متناقلات تنقل الابطالا
ان ابن عمك ليس يغفل انه اج ... تاح الملوك وفكك الاغلالا

وكتب الى أبي العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان ايضا وهو أسير بأرض الروم يذكر طلبه له ووصوله الى مرعش في أثره ولم يلحقه:

نفى النوم عن عيني خيال مسلم ... تأوب من أسماء والركب نوم

ومر جملة منها عند الكلام على شعره وأدبه واسلوبه يقول فيها:

واترك ان ابكي عليك تطيرا ... وقلبي يبكي والجوانح تلطم
وان جفوني ان ونت للئيمة ... وان فؤادي ان سلوت لألأم
سأبكيك ما أبقى لي الدهر مقلة ... فان عزني دمع فما عزني دم
وحكمي بكاء الدهر فيما ينوبني ... وحكم لبيد فيه حول محرم(١)

---

(١) اشارة الى قول لبيد بن ربيعة العامري الذي قاله لما حضرته الوفاة يخاطب ابنتيه من أبيات

فقوما وقولا بالذي قد علمتما ... ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا خليله ... اضاع ولا خان العهود ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

ـ المؤلف ـ

وما نحن الا وائل ومهلهل ... صفاء والا مالك ومتمم (١)
واني وإياه لعين وأختها ... واني وإياه لكف ومعصم
تهين علينا الحرب نفسا عزيزة ... اذا عاضنا عنها الثناء المتمم
وندعو كريما من يجود بماله ... ومن جاد بالنفس النفيسه أكرم
وما الأسر غرم والبلاء محمد ... وما النصر غنم والفرار مذمم
لعمري لقد أعذرت لو أن مسعدا ... وأقدمت لو أن الكتائب تقدم
وما عابك ابن السابقين الى العلى ... تأخر أقوام وأنت مقدم
دعوت خلوفا حين تختلف القنا ... وناديت صما عنك حين تصمم
اذا لم يكن ينجي الفرار من الردى ... على حالة فالصبر احجى واحزم
وما لك لا تلقى بمهجتك القنا ... وأنت من القوم الذين هم هم
ونحن أناس لاتزال سراتنا ... لها مشرب مر المذاق ومطعم
لما يا أخي لامسك السوء انه ... هو الدهر في حاليه بؤسى وأنعم
وما ساءني اني مكانك عانيا ... أسلم نفسي للأسار وتسلم
طلبتك حتى لم أجد لي مطلبا ... وأقدمت حتى قل من يتقدم
وما قعدت بي عن لحاقك همة ... ولكن قضاء فاتني فيك مبرم
فان جل هذا الأمر فالله فوقه ... وان عظم المطلوب فالله أعظم
ولو انني وفيت رزءك حقه ... لما خط لي كف ولا قال لي فم

(١) وائل هو كليب ومهلهل أخوه ومالك هو مالك بن نويرة ومتمم أخوه.
ـ المؤلف ـ

﴿ المراسلة بينه وبين جابر بن ناصر الدولة ﴾

كتب الى أبي المرجى جابر بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله ابن حمدان من أبيات :

لو لم تقلدني الليالي منة ... الا مودته اذن لكفاها
جربت منه خلائقا وطرائقا ... لايطلب الأخ من أخيه سواها
فاذا تخيرت الجماعة كلها ... امسى وأصبح شيخها وفتاها
أثني الضلوع على جوى وشفاؤها ... اني افاوضك الحديث شفاها
عل الزمان يعود وقتا عله ... وعسى الليالي أن تديل عساها

﴿ المراسلة بينه وبين القاضي أبي الحصين الرقي ﴾

كتب الى القاضي أبي الحصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي قاضي سيف الدولة بحلب وقد عزم على المسير الى الرقة من أبيات أولها :

يا طول شوقي ان كان الرحيل غداً ... لا فرق الله فيما بيننا أبدا
يامن أصافيه في قرب وفي بعد ... ومن أخالصه ان غاب أو شهدا
راع الفراق فؤاداً كنت تؤنسه ... وذر بين الجفون الدمع والسهدا
لا يبعد الله شخصا لا أرى أنسا ... ولا تطيب لي الدنيا اذا بعدا
أضحى وأضحيت في سر وفي علن ... أعده والداً اذ عدني ولدا
مازال ينظر في البر مجتهدا ... فضلا وأنظم فيه الشعر مجتهدا
حتى اعترفت وعزتني فضائله ... وفات سبقا وحاز الفضل منفردا
ان قصر الجهد عن ادراك غايته ... فاعذر الناس من أعطاك ماوجدا

فأجابه القاضي أبو حصين بقصيدة أولها :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً أعطاني الدهر مالم يعطه أحدا
ان كان ماقيل من سير الركاب غدا حقا فاني أرى وشك الحمام غدا
لولا الأمير وان الفضل مبدأه منه لقلت بان الفضل منك بدا
دام البقاء له ماشاء مقتدرا يمضي أوامره ان حل او عقدا
يذل أعداءه عزاً ويرفع من والاه فضلا ويبقى للملا أبداً

وانشد القاضي ابو حصين ابا فراس شعراً فاستحسنه وانشده ابو فراس شعراً فاستجاده فقال ابو فراس :

من بحر شعرك اغترف وبفضل علمك اعترف
انشدتني فكأنما شققت عن در صدف
شعراً اذا ما قسته بجميع اشعار السلف
قصرن دون مداه تقصير الحروف عن الالف

فأخر القاضي الجواب فكتب اليه ابو فراس :

ويد براها الدهر غير ذميمة تمحو اساءته الي وتغفر
اهدى الي مودة من صاحب تزكو المودة في ثراه وتثمر
علقت يدي منه بعلق مضنة مما يصان على الزمان ويذخر
لكنني من بعض امر عاتب والحر يحتمل الصديق ويصبر
واذا وجدت على الصديق شكوته سراً اليه وفي المحافل أشكر
ما بال شعري لا يرد جوابه سحبان عندك باقل لا اعذر

وكتب القاضي ابو الحصين الى ابي فراس :

آليت اني ما حييـ ... ـت رهين شكر الحارث
فاذا المنية اشرفت ... اورثت ذلك وارثي
من بعد سيدنا الأميـ ... ـر وليس ذاك لثالث

قال ابو فراس فما امكنني ان آتي على هذه القافية بشعر ارضاه فأجبته على غيرها وقد عارضته الى بالس ليكون الاجتماع بها فقلت:

لئن جمعتنا غدوة ارض بالس ... فان لها عندي يداً لا اضيعها
احب بلاد الله ارض تحلها ... الي ودار تحتويك ربوعها
افي كل يوم رحلة بعد رحلة ... تجرع نفسي حسرة وتروعها
فلي ابداً قلب كثير نزاعه ... ولي ابداً نفس قليل نزوعها
فان تدنني الايام منك فانما ... ابيح لنفسي خصبها وربيعها
وان عاق امر لم اجد غير نطفة ... من الصبر اعصي حسرتي واطيعها
ولا زلت في الحالين لابس نعمة ... تطيب مجانيها وتزكو فروعها
رعى الله ما بيني وبينك إنها ... علائق حب لا يرام منيعها

وكتب الى القاضي ابي حصين من الاسر جوابا:

كيف السبيل الى طيف يزاوره ... والنوم في جملة الاحباب هاجره
انا الذي ان صبا او شفه غزل ... فللعفاف وللتقوى مآزره
مابال ليلي لاتسري كواكبه ... وطيف عزة لا يعتاد زائره
يا ساهراً لعبت ايدي الفراق به ... فالصبر خاذله والدمع ناصره
ان الحبيب الذي هام الفؤاد به ... ينام عن طول ليل انت ساهره
ما انس لاانس يوم البين موقفنا ... والشوق ينهى البكا عني ويأمره

وقولها ودموع العين واكفة ... هذا الفراق الذي كنا نحاذره
هل انت يارفقة العشاق مخبرتي ... عن الخليط الذي زمت اباعره
وهل رأيت امام الحي جارية ... كالجؤذر الفرد تقفوه جآذره
وانت يا راكباً يزجي مطيته ... يستطرق الحي ليلا او يباكره
اذا وصلت فعرض بي وقل لهم ... هل واعد الوعد يوم البين ذاكره
ماأعجب الحب يمسي طوع جارية ... في الحي من عجزت عنه مساعره
يا ايها العاذل الراجي انابته ... والحب قد نشبت فيه اظافره
لا تتعبن فما يدري لحرقته ... أأنت عاذله ام انت عاذره

* * *

وراحل اوحش الدنيا برحلته ... وان غدا معه قلبي يسايره
هل انت مبلغه عني بأن له ... حبا تمكن في قلبي يجاوره
وانني من صفت منه سرائره ... وصح باطنه منه وظاهره
وما اخوك الذي يدنو به نسب ... لكن اخوك الذي تصفو ضمائره
وإنني واصل من انت واصله ... وإنني هاجر من انت هاجره
ولست واجد شيء انت عادمه ... ولست غائب شيء انت حاضره
ابا حصين وخير القول اصدقه ... انت الصديق الذي طابت مخابره
وافى كتابك مطويا على نزه ... يحار سامعه فيه وناظره
لولا اعتذار اخلائي بك انصرفوا ... بوجه خزيان لم تقبل معاذره
اين الخليل الذي يرضيك باطنه ... مع الخطوب كما يرضيك ظاهره

اما الكتاب فاني لست اذكره ... إلا تبادر من دمعي بوادره
يجري الجمان على مثل الجمان به ... وينثر الدر فوق الدر ناثره
والعين ترتع فيما خط كاتبه ... والسمع ينعم فيما قال شاعره

* * *

انا الذي لا يصيب الدهر غرته ... ولا يبيت على خوف مجاوره
يمسي وكل بلاد حلها وطن ... وكل قوم غدا فيهم عشائره
وما تمد له الاطناب في بلد ... الا تضعضع باديه وحاضره
اني لارعى حمى الجبار مقتدراً ... واورد الماء قهراً وهو حاضره
لي التخير مشتطا ومنتصراً ... وللافاضل بعدي ما اغادره
وكيف ينتصف الاعداء من رجل ... العز اوله والمجد آخره
فمن سعيد بن حمدان ولادته ... ومن علي بن عبد الله سائره
القائل الفاعل المأمون نبوته ... والسيد الذائد الميمون طائره
بنى لنا العز مرفوعا دعائمه ... وشيد المجد مشتدا مرائره
فما فضائلنا الا فضائله ... ولا مفاخرنا الا مفاخره
زاكي الاصول كريم النبعتين ومن ... زكت أوائله طابت أواخره
لقد فقدت أبي طفلا فكان أبي ... من الرجال كريم العود ناضره
هو ابن عمي دنيا حين أنسبه ... لكنه لي مولى لا أناكره
مازال لي نجوة مما احاذره ... لازال في نجوة مما يحاذره
وانما وقت الدنيا موقيها ... منه وعمر للاسلام عامره
هذا كتاب مشوق القلب مكتئب ... لم يأل ناظمه جهداً وناثره

وقد سمحت غداة البين مبتدئا   من الجواب بوعد انت ذاكره
بقيت ما غردت ورق الحمام وما اسـ   ـتهل من وا كف الوسمي با كره
حتى تبلغ اقصى ما تؤمله   من الامور وتكفى ما تحاذره

فاجابه القاضي ابو حصين بقوله من قصيدة :

من واثب الدهر كان الدهر قاهره   ومن شكا ظلمه قلت نواصره
ان كان سار فان الروح تذكره   والعين تبصره والقلب حاضره
يا من أخالصه ودي وامحضه   نصحي وتأتيه من وصفي جواهره
اتى كتابك والانفاس خافتة   والجسم مستسلم والسقم قاهره
والطرف منكسر والشوق طارقه   والوجد باطنه والصبر ظاهره
فا نتاشني واعاد الروح في بدني   وشد صدعاً وكسرا انت جابره

منها في سيف الدولة

حسبي بسيدنا فخراً أصول به   هو الفخور وما خلق يفاخره
من ذا يطاوله ام من يماجده   ام من يساجله ام من يكاثره
ام من يقاربه في كل مكرمة   ام من يناضله ام من يساوره
الحرب نزهته والبأس همته   والسيف عزمته والله ناصره
والجود لذته والشكر بغيته   والعفو والعرف والتقوى ذخائره

ومنها :

هذا جواب عليل لا حراك به   قد خانه فهمه بل مات خاطره
يشكو اليك بعاداً عنك اتلفه   وطول شوق ونيرانا تخامره
ان كان قصر فيما قال مجتهداً   فأنت بالعدل والاحسان عاذره

وكان للقاضي ابي حصين ابنان ابو الحسن وابو الهيثم فقتل ابو الحسن ثم اسر ابو الهيثم من حمص فكتب اليه ابو فراس من الأسر :

يا فرح لم يندمل الأول فهل بقلبي لكما محمل
جرحان في جسم ضعيف القوى حيث أصابا فهو المقتل
تقاسم الايام احبابنا وقسمها الأفضل فالأفضل
فليتها اذ أخذت قسمها عن قسمنا تغمض أو تغفل
ففدية المأسور مقبولة وفدية المقتول لا تقبل
لا تعدمن الصبر في حالة فانه للخلق الأجمل
وعشت في عز وفي نعمة وجدك المقتبل المقبل

وكتب الى القاضي أبي الحصين عند اسر ابنه أبي الهيثم :

أيا راكبا نحو الجزيرة جسرة عذافرة ان الحديث شجون
من الموخدات الضمر اللاء وخدها كفيل بحاجات الرجال ضمين
تحمل الى القاضي سلامي وقل له الا ان قلبي مذ حزنت حزين
وان فؤادي لافتقاد أسيره أسير بايدي الحادثات رهين
أحاول كتمان الذي بي من الأسى وتأبى غروب ستره وشؤون
لعل زمانا بالمسرة ينثني وعطفة دهر باللقاء تكون
الا لا يرى الاعداء فيك غضاضة فللدهر بؤس قد علمت ولين
وأعظم ما كانت همومك تنجلي وأصعب ما كان الزمان يهون
وفي بعض من يلقي اليك مودة عدو اذا كشفت عنه مبين
اذا غير البعد الهوى فهوى ابي حصين منيع في الفؤاد حصين

فلا برحت بالحاسدين كآبة ولا رقأت للشامتين عيون

﴿ المراسلة بينه وبين محمد بن أفلح الكاتب ﴾

كتب محمد بن أفلح الكاتب الى أبي فراس كتاباً فيه نظم ونثر فاستحسن أبو فراس نظمه ونثره وأجابه بقوله :

وافى كتابك مطوياً على نزه تقسم الحسن بين السمع والبصر
جزل المعاني رقيق اللفظ مونقه كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر
وروضة من رياض الفكر دبجها صوب القرائح لا صوب من المطر
كأنما نشرت يمناك بينهما برداً من الوشي أو ثوباً من الحبر

ومر في اخباره المراسلة بينه وبين بني ورقاء

الصفات والتشبيهات

قال يصف ناراً في الشتاء :

لله برد ما أشد ومنظر ما كان أعجب
جاء الغلام بنارة هو جاء في فحم تلهب
فكأنما جمع الحلي فمحرق منه ومذهب

وقال يصف السحاب :

وزائر حببه إغبابه طال على رغم الثرى اجتنابه
جاءت به مسبلة هدابه ركب حياة والصبا ركابه
باك حنين رعده انتحابه حتى اذا ما اتصلت أسبابه
وضربت على الثرى قبابه وامتد في أرجائه أطنابه

وشرقت بمائه شعابه   جلي عن وجه الثرى اكتئابه
وحليت في نورها رحابه   كأنما الماء انجلى منجابه
شيخ كبير عاده شبابه

وقال من قصيدة :

وكأنما فيها الثريا اذ بدت   كف تشير الى الذي تهواه
والبدر منتصف الضياء كأنه   متبسم بالكف يستر فاه

وقال :

ويوم جلا فيه الربيع رياضه   بأنواع حلي فوق أثوابه الخضر
كأن ذيول الجلنار مطلة   فضول ذيول الغانيات من الأزر

وقال :

والجو ينثر دراً غير منتظم   والارض بارزة في ثوب كافور
والنرجس الغض يحكي حسن منظره   صفراء صافية في كأس بلور

وقال وقد عقد الجسر بمنبج

كأنما الماء عليه الجسر   درج بياض خط فيه سطر
كأننا لما استتب العبر   أسرة موسى يوم شق البحر

وقال يصف البرك والروض :

وكأنما البرك الملاء يحفها   أنواع ذاك الروض والزهر
بسط من الديباج بيض فروزت   أطرافها بفراوز خضر

وقال من قصيدة تقدمت :

والماء يفصل بين زهـ   ـر الروض في الشطين فصلا
كبساط وشي جردت   أيدي القيون عليه نصلا

وجلس يوما في البستان البديع والماء يتدرج في البرك فقال في وصفه وساقه ما اعتاده من رؤية آلة الحرب دائما الى ذكر السيوف والدروع :

انظر الى زهر الربيع　　والماء في برك البديع
واذا الرياح جرت عليه　　في الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا　　ئح بيننا حلق الدروع

وقال يصف الجلنار :

وجلنار مشرف (مشرق) على أعالي شجره
كأن في رؤوسه　　احمره وأصفره
قراضة من ذهب　　في خرق معصفره

وقال: وبقعة من أحسن البقاع　　ببشر الرائد فيها الراعي
بالخصب والمرتع والوساع　　كأنما يستر وجه القاع
من سائر الالوان والانواع　　مانسج الروم لذي الكلاع
من صنعة الخالق لا الصناع　　والماء ينحط من التلاع
كما تسل البيض للقراع　　وغرد الحمام للسماع
ورقص الغصن على الايقاع

وقال :

الى أن بدا ضوء الصباح كأنه　　مبادي نصول في عذار خضيب

وقال يصف البازي :

كأن فوق صدره والهادي　　آثار مشي الذر في الرماد

وقال في الناقة :

كأن أعالي رأسها وسنامها منارة قسيس قرابة هيكل

« ماقاله في الشيب »

قال من قصيدة :

وقوفك في الديار عليك عار وقد رد الشباب المستعار

وقال :

وها أنا قد حلى الزمان مفارقي وتوجني بالشيب تاجاً مرصعا

وقال من أبيات :

أخذت في تطلب العلات لي لما رأت مشيب شواتي
بالشيب العذار والرأس ما يف ـل في العاشقين والعاشقات
ظهرت في مفارقي شعرات هن بغضنني الى الغانيات
عجل الشيب في عذاري وهذا شاهد بالمشيب في لذاتي

وقال :

شعرات في الرأس بيض وسود حل رأسي جيشان روم وزنج

وقال :

فما للغواني اذ علا الشيب مفرقي يعللن قلبي بالاماني الكواذب
اراهن يبدين الصدود عن الفتى اذا ما بدا الشيب الذي في الذوائب

وقال من قصيدة :

رأيت الشيب لاح فقلت أهلا وودعت الغواية والشبابا
وما ان شبت من كبر ولكن لقيت من الاحبة ما أشابا

بعثن من الهموم الي ركباً وصيرن الصدود له ركابا

وقال من أخرى :

عذيري من طوالع في عذاري ومن رد الشباب المستعار
وثوب كنت ألبسه أنيق اجرر ذيله بين الجواري
وما زادت عن العشرين سني فما عذر المشيب الى عذاري
وما استمتعت من داعي التصابي الى أن جاءني داعي الوقار
فياشيبي ظلمت ويا شبابي لقد جورت منك بشر جار
امرت بقصه وكففت عنه وقر على تحمله قراري
وقلت الشيب أهون ما ألاقي من الدنيا وأيسر ما أداري
ولا يبقى رقيق النجر حتى يضم عليه منبلج النهار
وكم من زائر بالكره مني كرهت فراقه بعد المزار

وقال :

ألم ينهك الشيب الذي حل نازلا وللشيب بعد الجهل للمرء رادع

وقال : ما آن ان ارتاع للشيب المفوف في عذاري
واكف عن سبل الضلال واكتسي ثوب الوقار
أم قد أمنت الحادثات من الغوادي والسواري
اني أعوذ بحسن عفو الله من سوء اختياري

« ما قاله في الطيف والخيال »

وقال :

اشاقك الطيف الم طارقه آخر ليل لم ينمه عاشقه

وانجاب من ثوب الظلام غاسقه   من بعد ماسر مشوقا شائقه

وقال : الم بنا وجنح الليل داج   خيال زار وهنا من نوار

أباخلة علي وأنت جار   وواصلة على بعد المزار

وقال :

وطيف زارني وهنا وحيا   فقمت له على عيني وراسي

يصارمني نهاراً وهو ليلا   يواصلني مواصلة اختلاس

فيطمعني ويؤيسني هـواه   فاهلك بين إطماع وياس

التشوق الى الاهل والاوطان

قال بعد نزوله منبج من أرض الجزيرة يتشوق بلاد الشام وأصحابه بها :

اقناعة من بعد طول جفاء   بدنو طيف من حبيب نائي

بابي وامي شادن قلت له   نفديك بالامات والآباء

وجناته تجني على عشاقه   ببديع ما فيها من اللألاء

بيض عليها حمرة فتوردت   مثل المدام مزجتها بالماءِ

فكأنما برزت لنا بغلالة   بيضاء تحت غلالة حمراء

كيف اتقاءِ لحاظه وعيوننا   طرق لاسهمها الى الاحشاءِ

صبغ الحيا خديه لون مدامعي   فكأنه يبكي بمثل بكائي

كيف اتقاء جآذر يرميننا   بظبى الصوارم من عيون ظباءِ

يارب تلك المقلة النجلاء   حاشاك مما ضمنت احشائي

جازيتني بعداً بقربي في الهوى   ومنحتني غدراً بحسن وفائي

* * *

جادت عراصك يا شآم سحابة   عراضة من اصدق الانواءِ
تلك المجانة والخلاعة والصبا   ومحل كل فتوة وفتاء
انواع زهر والتفاف حدائق   وصفاء ماء واعتدال هواء
وخرائد مثل الدمى يسقيننا   كأسين من لحظ ومن صهباء
واذا أدرن على الندامى كاسها   غنيننا شعر ابن أوس الطائي
(راح اذا ما الواح كن مطيها   كانت مطايا الشوق في الاحشاء)
فارقت حين شخصت عنها لذتي   وتركت أحوال السرور ورائي
ونزلت من بلد الجزيرة منزلاً   خلوا من الخلطاء والندماء
فيمر عندي كل طعم طيب   من ريقها ويضيق كل فضاء
الشام لا بلد الجزيره لذتي   وقويق لا ماء الفرات منائي
وأبيت مرتهن الفؤاد بمنبج السـ   ـوداء لا بالرقة البيضاء
من مبلغ الندماء اني بعدهم   أمسي نديم كواكب الجوزاء
ولقد رعيت فليت شعري من رعى   منكم على بعد الديار إخائي

وقال يذكر اهله بالموصل :

سلام رائح غادي   على ساكنه الوادي
على من حبها الهادي   اذا مازرت والحادي
أحب البدو من أجل   غزال فيهم بادي

ألا يا ربة الحلي ... على العاتق والهادي(١)
لقد أبهجت أعدائي ... وقد أشمت حسادي
بسقم ما له راق ... وأسر ماله فادي
فما انفك من ذكرا ... ك في نوم وتسهاد
بشوق منك معتاد ... وطيف غير معتاد
الا يا زائر الموصل ... حي ذلك النادي
فبالموصل اخواني ... وبالموصل اعضادي
كفاني سطوة الدهر ... جواد نسل أجواد
وقاه الله فيما عا ... ش شر الزمن العادي

شكوى الاخوان والزمان

يظهر من كثير من شعره تبرمه بالزمان وسخطه عليه وتبرمه بالاخوان ولا غرو فشكوى الزمان عادة اكثر أهل الهمم العالية والنفوس الكبيرة ونذكر هنا ما هو من هذا النوع مع ذكر اكثره في أثناء مامر من شعره ولزوم بعض التكرير قال :

ولما تخيرت الأخلاء لم أجد ... صبوراً على حفظ المودة والعهد
سليماً على طي الزمان ونشره ... اميناً على النجوى صحيحاً على البعد
ولما أساء الظن بي من جعلته ... واياي مثل الكف نيطت الى الزند
حملت الى ظني به سوء ظنه ... وايقنت اني في الاخاء له وحدي

(١) الهادي العنق ـ المؤلف ـ

وقال من قصيدة :

فلست أرى الا عدواً محاربا   وآخر خير منه عندي المحارب

وقال :

الى الله أشكو ما أرى من عشيرة   اذا مادنونا زاد حالهم بعدا
ونغلب بالحلم الحميـة فيهم   ونرعى رجالا ليس ترعى لنا عهدا

وقال :

يمضي الزمان وما عمدت لصاحب   الا ظفرت بصاحب خوان
يادهر خنت مع الاصادق خلتي   وغدرت بي في جملة الاخوان

وقال : صاحب لما أساء   أتبع الدلو الرشاء
رب داء لا أرى منـ   ـه سوى الصبر شفاء
احمد الله على ما   سر من أمري وساء

وقال من قصيدة :

في كل يوم صاحب افارقه   وصاحب لم أبله أصادقه
هذا زمان شرست خلائقه   وخبثت على النقى طرائقه
اعدى أعادي به اصادقه   أخلص من توده تنافقه
فكل ما يسوؤه تفارقـه   وكلمـا يسره توافقـه
ان طرقت من زمن طوارقه   اوعاق عن بعض هواه عائقه
انبأني بغله حمالقه

وقال من قصيدة تقدمت :

اما صاحب فرد يدوم وفاؤه   فيصفي لمن أصفى ويرعي لمن رعى

أفي كل دار لي صديق أوده … اذ ما تفرقنا حفظت وضيعا
أقمت بارض الروم عامين لا ارى … من الناس محزونا ولا متصنعا
وان أوجعتني من أعادي شيمة … لقيت من الاحباب ادهى واوجعا

وقال من قصيدة :

أعيا علي اخ وثقت بوده … وامنت في الحالات صولة غدره
وخبرت هذا الدهر خبرة ناقد … حتى علمت بخيره وبشره
لا اشتري بعد التجارب صاحبا … الا وددت بانني لم أشره
من كل معتذر يقر بذنبه … فيكون أعظم ذنبه من عذره
ويجيء طوراً ضره في نفعه … جهلا وطوراً نفعه في ضره
فصبرت لم أقطع حبال وداده … وسترت منه ما استطعت بستره
واخ اطعت فما راى لي طاعتي … حتى خرجت بامره عن أمره
وتركت حلو العيش لم احفل به … لما رأيت اعزه في مره

وقال :

مالي اعاتب مالي اين يذهب بي … قد صرح الدهر لي بالمنع والياس
ابغي الوفاء بدهر لا وفاء له … كانني جاهل بالدهر والناس

وقال :

يضن زماني بالثقات وانني … بسري على غير الثقات ضنين
الا ليت شعري هل أنا الدهر واجد … قرينا له حسن الوفاء قرين
فاشكو ويشكو ما بقلبي وقلبه … كلانا على نجوى اخيه امين

وقال من قصيدة :

صبرت على اللأواء صبر ابن حرة　　كثير العدى فيها قليل المساعد

وقال من قصيدة تقدمت :

تدافعني الايام عما ارومه　　كما دفع الدين الغريم المماطل
ولكنها الايام تجري بما جرت　　فيسفل اعلاه وتعلو الاسافل
لقد قل من تلقى من الناس مجملا　　وأخشى قريباً أن يقل المجامل

وقال من قصيدة تقدمت :

بمن يثق الانسان فيما ينوبه　　ومن اين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا اقلهم　　ذئابا على أجسادهن ثياب

الحكم والادب والزهد والمواعظ

قال من ابيات تقدمت :

تعس الحريص وقل ما يأتي به　　عوضاً عن الالحاح والالحاف
ان الغني هو الغني بنفسه　　ولو أنه عاري المناكب حافي
ما كل ما فوق البسيطة كافيا　　واذا قنعت فكل شيء كافي

وقال من قصيدة مرتجلة منها :

دع الوطن المألوف رابك أهله　　وعد عن الاهل الذين تكاشروا
فاهلك من أصفى وودك ما صفا　　وان نزحت دار وقلت عشائر
لعمرك ما الابصار تنفع اهلها　　اذا لم يكن للمبصرين بصائر
وهل ينفع الخطي غير مثقف　　وتظهر الا بالصقال الجواهر
وكيف ينال المجد والجسم وادع　　وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

وقالَ من قصيدة مرت :

وما راح يطغيني بأثوابه الغنى ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
وما حاجتي في المال أبغي وفوره اذا لم يفر عرضي فلا وفر الوفر
هو الموت فاختر ما علالك ذكره فلم يمت الانسان ما حيي الذكر
ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو

وقال : غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل الناس في الانفس ليس الفضل في الحال

وقال من قصيدة مرت :

ومن لم يوق الله فهو ممزق ومن لم يعز الله فهو ذليل
ومن لم يرده الله في الامر كله فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم ينصرك لم تلق ناصرا وان جل نصار وعز قبيل
وان هو لم يدلك في الامر كله ضللت ولو أن السماك دليل

وقال ولا يوجدان في الديوان المطبوع :

انا ان علات نفسي بطبيب ودواء
عالم ان ليس الا بيد الله شفائي

وقال :

أما يردع الموت أهل النهى ويمنع عن غيه من غوى
اما عالم عارف بالزمان يروح ويغدو قصير الخطى
فيالاهيا آمنا والحمام اليه سريع قريب المدى
يسر بشيء كأن قد مضى ويأمن شيئا كأن قد أتى

اذا ما مررت بأهل القبور تيقنت أنك منهم غدا
وان العزيز بها والذليل سواء اذا سلما للبلى
غريبين ما لهما مؤنس وحيدين تحت طباق الثرى
فلا أمل غير عفو الاله ولا عمل غير ما قد مضى
فان كان خيراً فخير ينال وان كان شراً فشر يرى

وقال من أبيات :

نسيبك من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيته لا المصاقب
وأعظم اعداء الرجال ثقاتها واهون من عاديته من تحارب
لقد زدت بالايام والناس خبرة وجربت حتى هذبتني التجارب
وما الذنب الا العجز يركبه الفتى وما ذنبه ان حاربته المطالب
ومن كان غير السيف كافل رزقه فللذل منه لا محالة جانب
وما أنس دار ليس فيها مؤانس وما قرب دار ليس فيها مقارب

وقال : وكنت اذا جعلت الله لي ستراً من النوب
رمتني كل حادثة فاخطتني ولم تصب

وقال من قصيدة مرت

اذا الله لم يحرزك فيما تخافه فلا الدرع مناع ولا السيف قاضب
ولا سابق مما تنخلت (١) سابق ولا صاحب مما تخيرت صاحب
وهل يدفع الانسان ما هو واقع وهل يعلم الانسان ما هو كاسب

(١) تنخلت اي اخترت وانتقيت .

وهل لقضاء الله في النفس غالب ... وهل من قضاءِ الله في الناس هارب

وقال: يا معجباً بنجومه ... لا النحس منك ولا السعاده
الله ينقص مايشا ... ء ومن يد الله الزياده
دع ما تريد وما اريـ ... ـد فان لله الاراده

وقال: لا تؤثرن دنو دا ... ر من حبيب او معاشر
ابقى لاسباب المود ... ة ان تزور ولا تجاور

وقال: هل ترى النعمة دامت ... لصغير أو كبير
او ترى أمرين جاءا ... أولا مثل أخير
انما تجري التصا ... ريف بتقليب الامور
ففقير من غني ... وغني من فقير

وقال:

المرء ليس بغانم في أرضه ... كالصقر ليس بصائد في وكره
انفق من الصبر الجميل فانه ... لم يخش فقراً منفق من صبره
واحلم اذا سفه الجليس وقل له ... حسن المقال إذا اتاك بهجره
واحب اخواني الي ابشهم ... بصديقه في سره أو جهره
لا خير في بر الفتى مالم يكن ... اصفى مشارب بره في بشره
يارب مضطغن الفؤاد لقيته ... بطلاقة فملكت ما في صدره

وقال:

الموت حتم كل حي ذائقه ... ما أنا ان رمت النجاة سابقه
في كل يوم صاحب أفارقه ... وصاحب لم أبله أصادقه

وقال :

ولا أرضى الفتى ما لم يكمل ... برأي الكهل إقدام الغلام
بنو الدنيا اذا ماتوا سواء ... ولو عمر المعمر الف عام

وقال :

وأعظم ما كانت همومك تنجلي ... وأصعب ما كان الزمان يهون
وفي بعض من يلقي اليك مودة ... عدو اذا كشفت عنه مبين
ألا ليت شعري هل أنا الدهر واجد ... قرينا له حسن الثناء قرين

وقال :

خفض عليك ولا تكن قلق الحشى ... مما يكون وعله وعساه
فالدهر أقصر مدة مما ترى ... وعساك أن تكفى الذي تخشاه

وقال: عرفت الشر لا للشر ... لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر ... من الناس يقع فيه

وقال :

المرء نصب مصائب لا تنقضي ... حتى يوارى جسمه في رمسه
فمؤجل يلقى الردى في غيره ... ومعجل يلقى الردى في نفسه

وقال :

ما صاحبي الا الذي من بشره ... عنوانه في وجهه ولسانه
كم صاحب لم أغن عن انصافه ... في عسره وغنيت عن احسانه

وقال :

ما كنت مذ كنت الا طوع خلاني ... ليست مؤاخذة الاخوان من شاني
يجني الخليل فاستحلي جنايته ... حتى أدل على عفوي واحساني

ويتبع الذنب ذنباً حين يعرفني عمداً فأتبع احسانا باحسان
اذا خليلي لم تكثر اساءته فأين موضع احساني وغفراني
يجني علي وأحنو دائما أبداً لاشيء أحسن من حان على جاني

وقال :

لست بالمستضيم من هو دوني اعتداء ولست بالمستضام
رب أمر عففت عنه اختياراً حذراً من أصابع الايتام
ابذل الحق للخصوم اذا ما عجزت عنه قدرة الحكام

وقال :

احـذر مقاربة اللئام فانه ينبيك عنها في الامور مجرب
قوم اذا ايسرت كانوا اخوة واذا تربت تفرقوا وتجنبوا
اصبر على ريب الزمان فانه بالصبر تدرك كلما تتطلب

وقال : لن للزمان وان صعب واذا تباعد فاقترب
لا تعجبن من غالب الـ أيام كان لها الغلب

وقال :

ليس جوداً عطية بسؤال قد يهز السؤال غير الجواد
انما الجود ما أتاك ابتداء لم تذق فيه ذلة الترداد

وقال :

اذا كان فضلي لا أسوغ نفعه فأفضل منه أن أرى غير فاضل
ومن أضيع الاشياء مهجة عاقل يجوز على حوبائها حكم جاهل

وقال في المزاح وكتبهما على ظهر الجزء الذي فيه الطردية :

أروح القلب ببعض الهزل تجاهلا مني بغير جهل
امزح فيه مزح أهل الفضل والمزح احياناً جلاء العقل

وقال وليست في الديوان المطبوع :

الدهر يومان ذا ثبت وذا زلل والعيش طعمان ذا مر وذا عسل
كذا الزمان فما في نعمة بطر للعارفين وما في نقمة فشل
وما الهموم وان حاذرت ثابتة ولا السرور وان أملت متصل
فما الاسى بهموم لا بقاء لها وما السرور بنعمى سوف تنتقل
والمرء يفنى ولا تفنى مآربه تشب فيه اثنتان الحرص والامل

وقال :

ألا فاصبري لخطوب الزمان وكوني على حكمه صابره
فنقصان حظك في هذه برجحان حظك في الآخره
فما أنت في ذاك مغبونة وان سادت المحن الحاضره
فصفقة من باع دار البقاء بدار الفناء هي الخاسره

وقال :

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ضيعوا الحزم فيه أي ضياع
فمطاع المقال غير سديد وسديد المقال غير مطاع

وقال: ايا قلبي أما تخشع أيا علمي أما تنفع
أما حقي أن انظر في الدنيا وما تصنع
اذا شيعت أمثالي الى ضيق من المضجع
أما أعلم أن لا بد لي من ذلك المصرع

أيا غوثـاه بالله لهذا الامر ما افظع

وقال :

يا من أتانا بظهر الغيب قولهم لو شئت غاظتكم منا الاقاويل
لكن أرى أن في الاقوال منقصة مالم تشد الأقاويل الافاعيل

وقال من قصيدة :

لا أصحب الخوف ولا أرافقه والموت حتم كل حي ذائقه
ما أنا ان رمت النجاة سابقه وصاحب لم أبله أصادقه
اني على عـلاته ارافقـه اصفي له الود ولا امـاذقه
يأمنني وان بدت بوائقـه ويضمر السوء وحسبي خالقـه

وقال : فى الناس ان فتشتهم من لا يعزك أو تذله
فاترك مجاملة اللئيم فان فيها العجز كله

وقال :

الحر يصبر ما أطاق تصبرا في كل آونة وكل زمان
ويرى مساعدة الكرام مروءة ما سلمته نوائب الحدثان
ما كلف الانسان الا وسعه والله نص به على الانسان
واذا نبا بي منزل فارقتـه والله يلطف بي بكل مكان
واذا تغير صاحب صارمته وصرفت عنه عند ذاك عناني

وقال :

فعل الجميل ولم يكن من قصده فقبلتـه وقرنتـه بذنوبـه
ولرب فعل جاءني من فـاعل احمدته وذممت ما يـأتي به

﴿ ما كان من الحكم بيتاً واحدا ﴾

اذا كان غير الله للمرء عدة اتته الرزايا من وجوه الفوائد
ويبقي اللبيب له عدة لوقت الرضا في أوان الغضب
عداوة ذي القربى اشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
عفافك عني انما عفة الفتى اذا عف عن لذاته وهو قادر
وما أخوك الذي يدنو به سبب لكن أخوك الذي تصفو ضمائره
واذا المنية أقبلت لم يثنها حرص الحريص وحيلة المحتال
تلك سجايا من الليالي للبؤس ما يخلق النعيم
وان انفراد المرء في كل مشهد لخير من استصحاب من لا يلائمه
اذا لم يكن ينجي الفرار من الردى على حالة فالصبر أحجى وأحزم
وانا لنرمي الجهل بالجهل مرة اذا لم نجد منه على حالة بدا

﴿ في الحسد ﴾

لاباد أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد
ولا خلوت الدهر من حاسد فانما السيد من يحسد

وقال وليسا في الديوان المطبوع :

تتقول الحساد فيَّ تكذبا ويقال في المحسود مالا يفعل
يتطلبون اساءتي لا ريبتي ان المحسود بما يسوء موكل

وقال :

رمتني عيون الناس حتى أظنها ستحسدني في الحاسدين الكواكب

﴿ ما يجري مجرى الامثال من شعره ﴾

قال من قصيدة مرت :

وما كل طلاب من الناس بالغ ... ولا كل سيار الى المجد واصل
وما المرء الا حيث يجعل نفسه ... واني لها فوق السما كين جاعل
اصاغرنا في المكرمات أكابر ... وآخرنا في المأثرات أوائل

وقال من قصيدة مرت :

معللتي بالوصل والموت دونه ... اذا مت عطشانا فلا نزل القطر
ونحن اناس لا توسط بيننا ... لنا الصدر دون العالمين او القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر
هو الموت فاختر ما علالك ذكره ... فلم يمت الانسان ما حيي الذكر
ولا خير في دفع الردى بمذلة ... كما ردها يوماً بسوأته عمرو
سيذكرني قومي اذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به ... وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر

وقال من قصيدة مرت :

كذاك الوداد المحض لا يرتجى له ... ثواب ولا يخشى عليه عقاب
اذا الخل لم يهجرك الا ملالة ... فليس له الا الفراق عتاب
اذا لم أجد في بلدة ما أريده ... فعندي لاخرى عزمة وركاب
وما كل فعال يجازى بفعله ... ولا كل قوال لدي يجاب
ورب كلام مر فوق مسامعي ... كما طن في لوح الهجير ذباب
فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

وقال من قصيدة مرت :

ومن مذهبي حب الديار وأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب
فكم يطفئون المجد والله موقد وكم ينقصون الفضل والله واهب
وهل يدفع الانسان ماهو واقع وهل يعلم الانسان ماهو كاسب
وهل يرتجى للامر الا رجاله ويسأل صوب المزن الا السحائب
فمن لم يجد بالنفس دون حبيبه فما هو الا ماذق الحب كاذب
وما أنا من كل المطاعم طاعم ولا أنا من كل المشارب شارب
ولا السيد القمقام عندي بسيد اذا استنزلته من علاه الرغائب

وقال من قصيدة مرت :

يريغون العيوب وأعجزتهم رأي العيب يوجد في الحسام
بنو الدنيا اذا ماتوا سواء ولو عمر المعمر الف عام

وقال: وما نحن الاوائل ومهلهل صفاء والا مالك ومتمم
وندعو كريماً من يجود بماله ومن جاد بالنفس النفيسة أكرم

وقال من قصيدة :

فما كل من شاء المعالي ينالها ولا كل سيار الى المجد يهتدي
يقولون جانب عادة ما عرفتها شديد على الانسان ما لم يعود

﴿الامثال من شعره في بيت واحد﴾

وما يغنيك من همم طوال ... اذا قرنت بأموال قصار
عسفت بها عوادي الليالي ... أحق الخيل بالركض المعار(١)
لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى ... ومن لم يجد الا القنوع تقنعا
فرميت منك بغير ما أملته ... والمرء يشرق بالزلال البارد
دع ما اريد وما تريد ... فان لله الارادة
اقلب طرفي لا ارى غير صاحب ... يميل مع النعماء حيث تميل
اذا ما لم تخنك يد وقلب ... فليس عليك خائنة الليالي
لا يثبت العز على فرقة ... غيرك بالباطل مخدوع
ان قصر الجهد عن ادراك غايته ... فاعذر الناس من أعطاك ما وجدا
تلك سجايا من الليالي ... للبؤس ما يخلق النعيم
لا أطلب الرزق الدنيء مناله ... قوت الهوان أقل من مقتاته
واذا المنية أقبلت لم يثنها ... حرص الحريص وحيلة المحتال
لقد قل أن تلقى من الناس مجملا ... وأخشى قريباً أن يقل المجامل

(١) عسفت استخدمت كما يفهم من القاموس ولكن الظاهر ان في العسف معنى العنف (وبها) اي بالزيارة المذكورة في البيت قبله (وما انسى الزيارة منك وهنا) (وعوادي) جمع عارية مضاف الى الليالي اي الليالي المستعارة (واحق الخيل بالركض المعار) مثل استشهد به . واختلف في معناه فقيل من العارية لان المعار لا يشفق عليه شفقة صاحبه ويظهر من بيت ابي فراس انه حمله على ذلك لقوله (عسفت بها عواري الليالي) وقيل المعار المسمن . وقيل المضمر . وقيل المهلوب الذنب وبعضهم يرويه المغار بالغين المعجمة اي القوي الشديد المفاصل من قولهم حبل مغار اي شديد الفتل ـ المؤلف ـ

﴿ شعره القصصي ﴾

كان أبو فراس ضليعاً بالتواريخ والاخبار عالماً بالقصص والآثار في الجاهلية والاسلام عارفاً بأخبار العرب والفرس والروم وغيرهم ولا غرو فهو جليس مكتبة سيف الدولة الحافلة بألوف المجلدات في جميع الفنون التي كانت بادارة الخالديين وفيها كتاب الاغاني وأمثاله وتلميذ ابن خالويه وغيره من علماء حضرة سيف الدولة المكتظة بفحول العلماء لذلك كثرت الاشارة في شعره الى القصص والاخبار قال :

ومضطغن يحاول في عيبا سيلقاه اذا سكنت وبار (١)
واحسب انه سيجر حربا على قوم بنون لهم صغار
كما خزيت براعيها نمير (٢) وجر على بني أسد يسار (٣)

(١) مر ص ١٥٢ ان وبار بلاد عاد ويقال إنه ورث ارضهم الجن فلا يسكنها احد من الانس (٢) الراعي شاعر فحل من بني نمير اسمه عبيد بن حصين ولم يكن راعيا لكنه لقب بالراعى لكثرة وصفه الابل وصفاً جيداً وكان يفضل الفرزدق على جرير فخرج جرير فلقي الراعي والراعي راكب بغلة وابنه جندل خلفه راكب مهرا فقال له جرير يا أبا جندل انك تفضل علي الفرزدق تفضيلا قبيحا وانا امدح قومك وهو يهجوهم ويكفيك اذا ذكرت ان تقول كلاهما شاعر كريم فلحق ابنه جندل فضرب عجز بغلته وقال اراك واقفا على كلب بني كلب فزحمت البغلة جريراً ووقعت قلنسوته فهجا جرير بني نمير بقصيدته التي يقول فيها :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فاخزاهم وكان سبب ذلك ولده جندل فلذلك جعله شاهداً على ان الابناء الصغار سيجرون حربا على قومهم (٣) كان يسار راعياً لزهير بن عبد الله من غطفان فاغار الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني اسد على ابل زهير فاستاق الابل ـ

وقال يخاطب سيف الدولة

فأن مت بعد اليوم عابك مهلكي ... معاب الزراريين مهلك معبد
هم عضلوا عنه الفداء وأصبحوا ... يهزون أطراف القريض المقصد
ولم يك بدعا هلكه غير أنهم ... يعابون اذ سيم الفداء فما فدي(١)

وقال يخاطب والدته :

وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ... وخلى أمير المؤمنين عقيل(٢)
امالك في ذات النطاقين أسوة ... بمكة والحرب العوان تجول
أراد ابنها أخذ الامان فلم تجب ... وتعلم علما إنه لقتيل (٣)
و كوني كما كانت بأحد صفية ... ولم يشف منها بالبكاء غليل
ولو رد يوما حمزة الخير حزنها ... اذاً لعلتها رنة وعويل (٤)

وقال :

كما علمت من قبل أن يهلك ابنها ... بمهلكه في الماء ام شبيب (٥)
وللعار خلى رب غسان ملكه ... وفارق دين الله غير مصيب (٦)

ـ وراعيها يسارا فقال زهير :

تعلم ان شر الناس حي ... ينادى في شعارهم يسار
ولولا عسبه لرددتموه ... وشر منيحة عسب معار

فنسبهم الى انهم لم يردوا يسارا لأمر قبيح فرد الحارث يساراً عليهم فهذا الذي جره يسار على بني أسد باسرهم اياه ٠ (١) مرت قصته ص ١٧٨ ٠ (٢) مر شرحه ص ١٩٧ (٣) مر شرحها ص١٩٧ (٤) مر شرحهما ص١٩٧ (٥) مر خبره في ص ٢٠٣ (٦) رب غسان هو جبلة بن الايهم كان نصرانياً فاسلم وهو من ملوك غسان لطم اعرابياً في الطواف فشكاه الى عمر فقال لجبلة اما ان يقتص منك أو ترضيه فقال كيف وانا ملك وهو سوقة فقال ان الاسلام ساوى بين الناس فتنصر ولحق بملك الروم٠ ـ المؤلف ـ

وقال :

وقد جرت الحنفاء قتل حذيفة   وكان يراها عدة للشدائد (١)
وجرت منايا مالك بن نويرة   عقيلته الحسناء أيام خالد

وقال من قصيدة مرت في الاخوانيات :

وحكمي بكاء الدهر فيما ينوبني   وحكم لبيد فيه حول محرم(٢)

وقال :

وفي طلب الثناء مضى بجير   وجاد بنفسه كعب بن مام(٣)

وقال :

فبنو كلاب وهي قل أغضبت   فدهت قبائل مسهر بن قنان(٤)
وبنو عباد حين احرج حارث   جروا التحالف في بني شيبان

(١)مر شرح ذلك ص٢١١ (٢)مر شرحه ص٢١٨ (٣) مر شرحه ص٢٠٧

(٤)مسهر كمحسن وقنان كسحاب ومسهر بن قنان رجل من بني الحارث بن كعب قال ابن خالويه : لما قتل عامر بن الطفيل . ابن خوات شردت بنو جعفر بن كلاب وطال جوارها في العرب وانتهى جوارها الى بني الحارث بن كعب فنزلوا بمسهر ابن قنان فلما تمكن منهم سامهم ان يزوجوا أربعين غلاماً بأربعين بنتا كلابية فقال عامر النساء عجاف فانظرنا أربعين يوما واستطعموا منه زاداً وعشارا ومايقوم النساء به فساق اليهم فوفر الالبان وسأل بعد ذلك بنو الحارث بني كلاب مثل سؤال مسهر بن قنان فهاجت بينهم الحرب وفقأت بنو الحارث عين ابن الطفيل وانهزمت بنو الحارث وذلك يوم من مفاخر بني كلاب . وفي حواشي بعض النسخ بعد قوله فوفر الالبان : وانفرد عامر باهله فلما قرب الاجل ادلج ولحقته الخيل بنف الريح [وهو مكان باعلى نجد] فقال عامر يابني كلاب من طعن طعنة فليشهدني عليها فكان كل من طعن يقول اشهد يا عامر فالتفت فطعنه مسهر ففقأ عينه وقاتلت يومئذ بنو كلاب فاحسنت البلاء وقتل عامر مسهر بن قنان . ـ المؤلف ـ

خلوا عديا وهو صاحب ثأرهم كرما ونالوا الثأر بابن أبان(١)
والمسلمون بشاطئ اليرموك لـمـا احرجوا عطفوا على باهان(٢)
وحماة هاشم حين أحرج صيدها جروا البلاء على بني مروان(٣)

(١) حارث هو حارث بن عباد الشيباني [وعدي] هو المهلهل لقب بذلك لانه اول من هلهل الشعر أي رققه . قال ابن خالويه : كان الحارث ابن عباد اعتزل حرب بكر وتغلب [المعروفة بحرب البسوس] وقال لا ناقة لي في هذا ولا جمل فخرج ابن اخيه بجير بطلب ابلا له ضلت [وقيل بل أرسله عمه الحارث الى مهلهل لطلب الصلح كما مر] فاخذه المهلهل وقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فتجهز الحارث للحرب (وهذا هو معنى كونه أحرج) وامرهم بحلق شعورهم والتقوا فاسر الحارث مهلهلا وهو لا يعرفه فقال له اطلقني وادلك على مهلهل فاطلقه فقال انا مهلهل فقال له الحارث اذاً قدفتني ولكن دلني على من يقوم مقامك فقال له ابن ابان فحمل عليه الحارث فقتله . ولم يكن على بني تغلب يوم اعظم من يوم التحالق . (٢) اليرموك نهر بالشام في طرف الغور كانت عليه وقعة بين المسلمين والروم [وباهان] قائد من قواد الروم روى الطبري في تاريخه انه لما نزل المسلمون اليرموك واستمدوا ابا بكر بعث الى خالد وهو بالعراق فطلع عليهم خالد وطلع باهان على الروم في وقت واحد وقال ابن الاثير سار بطريق من الروم يدعى باهان الى خالد اه . والظاهر ان باهان كان ارمنيا كما يرشد اليه اسمه امد صاحب ارمينية الروم به في ثلاثين الفا يوم اليرموك فعطف عليهم المسلمون فقتلوهم جميعا قال ابن خالويه في شرح هذا البيت : لما افتتح المسلمون اجناد الشام استنجد ملك الروم ثلاثين الفا من اهل ارمينية فانجدوه وانزل الرهبان وتخلوا عن حمص ودمشق ثم عطفوا عليهم فقتلوهم جميعاً فانتقل ملك الروم من انطاكية الى قسطنطينية اه .
(٣) يشير الى اخذ العباسيين الملك من بني مروان الامويين .

ـ المؤلف ـ

والتغلبيون احتموا من مثلها فعدوا على العادين بالسلان (١)
وبغى على عبس حذيفة فاشتفت منه صوارمهم ومن ذبيان (٢)
وسراة بكر بعد ضيق فرقوا جمع الاعاجم عن انوشران
ابقت لبكر مفخرا وسنا لها من دون قومها يزيد وهاني
المانعين العنقفيز بطعنهم والثائرين بمقتل النعمان (٣)

(١) في معجم البلدان السُلاَّن بضم اوله وتشديد ثانيه. قال ابو احمد العسكري يوم السلان بين بني ضبة وبني عامر بن صعصعة ويوم السلان ايضا قبل هذا بين معد ومذحج وقيل السلان هي ارض تهامة مما يلي اليمن كانت بها وقعة لربيعة على مذحج وقيل السلان واد كان فيه يوم بين حمير ومدحج وهمدان وبين ربيعة ومضر اه. وقال ابن الاثير يوم السلان بين جيش النعمان وبني عامر الذين عرضوا للطيمة كسرى وقال ابن خالويه في شرح البيت كان باليمن ملوك العرب وكان لهم على كل قبيلة عريف يدبر امرها وكان لهم في تغلب لبيد بن عنق (عتيق) اللحية الغساني وكانت تحته اخت كليب فلطمها يوما لطمة فخرجت باكية وقالت : ما كنت احسب بالتغلب وائل انا عبيد الحي من غسان
حتى علتني من لبيد لطمة هملت لها من حرها العينان
اه. والظاهر انه كان بالسلان عدة وقائع وما ذكره ابن خالويه احدها وهو الذي اراده ابو فراس لقوله والتغلبيون الخ. (٢) هو حذيفة بن بدر ومر خبره. (٣) يشير الى وقعة ذي قار بين بني بكر وجند كسرى [ويزيد] هو يزيد بن اصرم [وهاني] هو هاني بن قبيصة الشيباني [والعنقفيز] كزنجبيل الداهية [والقصة] في ذلك انه لما غضب كسرى على النعمان ابن المنذر طلب النعمان الجوار من كل العرب فابوا ان يجيروه واجاره هانيء ابن قبيصة الشيباني فاودعه النعمان ماله وسلاحه ثم ذهب النعمان الى كسرى فقتله كسرى وطلب كسرى من هانيء ودائع النعمان فامتنع وقعدت عنه قبائل بكر ابن وائل الا يزيد بن اصرم الشيباني وكانت وقعة ذي قار المشهورة فانتصر هانيء ويزيد على جند كسرى حتى قال صلى الله عليه وآله سلم هذا اول يوم انتصف فيه العرب من العجم. واشتملت رائيته الطويلة على الاشارة الى وقائع كثيرة لقومه وعشيرته لانطيل بذكرها. ـ المؤلف ـ

﴿ معانيه المبتكرة أو شبه المبتكرة ﴾

منها قوله :

فآب برأس القرمطي أمامه ... له جسد من أكعب الرمح ضامر

وقوله: كنت أستصعب الجفاء فلما ... بعدوا سهل البعاد الجفاء

وقوله في وصف الخدود :

بيض عليها حمرة فتوردت ... مثل المدام مزجتها بالماء

فكأنما برزت لنا بغلالة ... بيضاء تحت غلالة حمراء

صبغ الحيا خديه لون مدامعي ... فكأنه يبكي بمثل بكائي

كيف اتقاء لحاظه وعيوننا ... طرق لأسهمها الى الاحشاء

وقوله وأكتم الوجد وقد أصبحت ... عيناي عينيه على قلبي

قد كنت ذا صبر وذا سلوة ... فاستشهدا في طاعة الحب

وقوله أن يك غاب ليلة فجميل ... ليس بد للبدر من أن يغيبا

وقوله الى أن بدا ضوء الصباح كانه ... مبادي نصول في عذار خضيب

وقوله وما ضاقت مذاهبه ولكن ... يهاب من الحمية أن يهابا

وقوله :

غريب وأهلي حيث ما كر ناظري ... وحيد وحولي من رجالي عصائب

وقوله يخاطب سيف الدولة لما اوقع ببني نمير فخرجت اليه ابنة ماغث ووقعت على ركابه فصفح ورد السلب :

وقد خلط الخوف لما طلعت ... دل الجمال بذل الرعب

وقد رحن من مهجات القلوب ... بأوفر غنم وأعلى نشب

فان لا يجدن برد القلوب ‏ ‏ فلسنا نجود برد السلاب

وقوله ان الغزالة والغزالة اهدتا ‏ ‏ وجها اليك اذا طلعت وجيدا

وقوله ان الغزالة والغزا ‏ ‏ لة في ثناياه وجيده

وقوله لم أبح بالوداع جهراً ولكن ‏ ‏ كان جفني فمي ودمعي كلامي

وقوله لطيرتي بالصداع نالت ‏ ‏ فوق منال الصداع مني

وجدت فيه اتفاق سوء ‏ ‏ صدَّعني مثل صدعنّي

وقال وليست في الديوان المطبوع :

يا ليلة لست أنسى طيبها ابدا ‏ ‏ كأن كل سرور حاضر فيها

كأن سود عناقيد تكتمها ‏ ‏ أَهدت سلافتها خمراً الى فيها

وقال: وانساني نعاسي فيه حتى ‏ ‏ ظننت بأن تسهادي نعاسي

وقال :

سقى ثرى حلب مادمت ساكنها ‏ ‏ يابدر غيثان منهل ومنبجس

أسير عنها وقلبي في المقام بها ‏ ‏ كأن قلبي لفقد السير محتبس

مثل الحصاة التي ترمي بها أبداً ‏ ‏ الى السماء فترقى ثم تنعكس

من انواع البديع

الجناس

سكرت من لحظه لامن مدامته ‏ ‏ ومال بالنوم عن عيني تمايله

وما السلاف دهتني بل سوالفه ‏ ‏ ولا الشمول ازدهتني بل شمائله

الوى بعزمي اصداغ لوين له ‏ ‏ وغال قلبي بما تحوي غلائله

الجناس ولزوم مالا يلزم

لحبك من قلبي حمى لا يحله سواك وعقد ليس خلق يحله
وقد كنت اطلقت المنى لي موعدا ووقت لي وقتا وهذا محله
ففي اي حكم بل وفي اي مذهب تحل دمي والله ليس يحله

الجناس ايضا :

البين بين ما يجن جناني والبعد جدد بعد كم احزاني

(المقابلة)

له بطش قاس تحته قلب راحم ومنع بخيل تحته ذيل مفضل

(الجمع)

علا يستفاد وعاف يفاد وعز يشاد ونعمى ترب
لك جسم الهوى وثغر الاقاحي ونسيم الصبا وقد القضيب
أنت مروي الظما ومؤتم اولا د الاعادي ومشكل الامهات
بحر السماحة والبلا غة والمكارم والبصائر
بين السوابغ والسوا بق والمهندة البواتر
فاضل كامل اديب اريب قائل فاعل جميل بهيج
حازم عازم حروب سلوب طاعن ضارب خروج ولوج
مجرب همه حسام صقيل وجواد مجرب عنجوج
وخيول وغلمة ودروع وسيوف وضمر ووشيج
بمنعة مسعود وايام سالم ونعمة مغبوط ومال مجدد

(حسن النسق)

سفرن بدورا وانتقبن اهلة ومسن غصونا والتفتن جاذرا

بالخيل ضمراً والسيوف قواضبا والسمر لدنا والرجال عجالا

(التقسيم)

اخذت دمعك من خدي وجسمك من خصري وسقمك من طرفي الذي سقما

(الجمع والمقابلة)

خالص الود صادق العهد انس في حضور محافظ في مغيب

(التتميم)

امارة لم تأمر محجوبة لم تبتذل مخدومة لم تخدم

﴿ منتخبات من طرديته ﴾

ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تم به السرور

أيام عزي ونفاذ أمري هي التي أحسبها من عمري

ما اجور الدهر على بنيه واغدر الدهر بمن يصفيه

لو شئت مما قد قللن جدا عددت أيام السرور عدا

أنعت يوماً مر لي بالشام ألذ ما مر من الايام

دعوت بالصقار ذات يوم عند انتباهي سحرا من نومي

قلت له اختر سبعة كبارا كل نجيب يرد الغبارا

يكون للارنب منها اثنان وخمسة تفرد للغزلان

واجعل كلاب الصيد نوبتين ترسل منها اثنين بعد اثنين

بالله لا تستصحبوا ثقيلا واجتنبوا الكثرة والفضولا

وخترت لما وقفوا طويلا عشرين أو فويقها قليلا

عصابة أكرم بها عصابه … معروفة بالفضل والنجابه
ثم قصدنا صيد عين باصر … مظنة الصيد لكل خابر
جئناه والشمس قبيل المغرب … تختال في ثوب الاصيل المذهب
واخذ الدراج في الصياح … مكتنفا من سائر النواحي
في غفلة عنا وفي ضلال … ونحن قد زرناه بالآجال
يطرب للصبح وليس يدري … ان المنايا في طلوع الفجر
حتى اذا أحسست بالصباح … ناديتهم حي على الفلاح
نحن نصلي والبزاة تخرج … مجردات والخيول تسرج
فقلت للفهاد امض وانفرد … وصح بنا ان عن ظبي واجتهد
فلم يزل غير بعيد عنا … اليه يمضي ما يفر منا
وسرت في صف من الرجال … كأننا نزحف للقتال
حتى تمكنت فلم أخط الطلب … لكل حتف سبب من السبب
ثم دعوت القوم هذا بازي … فايكم ينشط للبراز
زين لرائيه وفوق الزين … ينظر من نارين في غارين
كأن فوق صدره والهادي … آثار مشي الذر في الرماد
ثم عدلنا نحو نهر الوادي … والطير فيه عدد الجراد
ادرت شاهينين في مكان … لكثرة الصيد مع الامكان
توازيا واطردا اطرادا … كالفارسين التقيا او كادا
فجدلا خمسا من الطيور … فزادني الرحمن في سروري
خيل نناجيهن كيف شينا … طيعة ولجمها ايدينا

خير من النجاح للانسان اصابة الواي مع الحرمان
ثم عدلنا نطلب الصحراء نلتمس الوحوش والظباء
عن لنا سرب ببطن وادي يقدمه اقرن عبل الهادي
قد صدرت عن منهل روي من غبر الوسمي والولي
ليس بمطروق ولا بكي ومرتبع مقتبل جني
رعين فيه غير مذعورات بقاع واد وافر النبات
مر عليه غدق السحاب بواكف منهمل الرباب
لما رآنا مال بالاعناق نظرة لاصب ولا مشتاق
مازال في خفض وحسن حال حتي أَصابته بنا الليالي
سرب حماه الدهر ما حماه لما رآنا ارتد ما أعطاه
فلم نزل سبع ليال عددا اسعد من راح وأحظى من غدا

مقتله

لم تطل مدة ابي فراس بعد خلاصه من الاسر بل بقي نحو سنتين وقتل وقد ذكر ابو فراس في بعض قصائده ان موته سيكون قتلاً فهو يقول :

وقد علمت أَمي بان منيتي بحد سنان او بحد قضيب
كما علمت من قبل ان يغرق ابنها بمهلكه في الماء ام شبيب

وقوله هذا امامن باب أقوال الشجعان إِنهم لا يموتون حتف الانف أَو أَن امه رأَت رؤْيا علمت منها ذلك كالرؤْيا التي رأَتها ام شبيب. وكان

سيف الدولة قد مات بعد خلاص ابي فراس بنحو سنة واتفقت الروايات على ان سبب قتله خلاف حصل بينه وبين ابن اخته ابي المعالي شريف ابن سيف الدولة خليفة أبيه واختلفت الروايات في أنه هل قتل في المعركة أو بعد اختلاطه بالمستأمنة أو في الطريق بعد ماضرب ضربات وأسر.

في اليتيمة : دلت قصيدة قرأتها لأبي اسحق الصابي في مرثيته على أنه قتل في وقعة كانت بينه وبين بعض موالي اسرته اه . ورثاء الصابي له محض وفاء وقضاء لحرمة المشاركة في الأدب .

وقال ابن الاثير في حوادث سنة ٣٥٧ في هذه السنة في ربيع الآخر قتل ابو فراس ابن ابي العلاء سعيد بن حمدان وسبب ذلك انه كان مقيما بحمص فجرى بينه وبين ابي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان وحشة فطلبه ابو المعالي فانحاز أبو فراس الى صدد وهي قرية في طرف البرية عند حمص فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم وسيرهم في طلبه مع قرعويه فأدركه بصدد فكبسوه فاستأمن أصحابه واختلط هو بمن استأمن منهم فقال قرعويه لغلام له اقتله فقتله وأخذ رأسه وتركت جثته في البرية حتى دفنها بعض الاعراب وأبو فراس هو خال أبي المعالي ابن سيف الدولة ولقد صدق من قال ان الملك عقيم اه .

وقال ابن خالويه في شرح ديوان أبي فراس : لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص فاتصل خبره بابي المعالي ابن سيف الدولة وغلام أبيه قرعويه فأنفذ اليه من قاتله فأخذ وقد ضرب ضربات فمات في الطريق فقال قبل موته :

اذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم ينصرك لم تلق ناصراً وان عز انصار وجل قبيل
وان هو لم يرشدك في كل مسلك ضللت ولو ان السماك دليل

قال وبلغني أن ابا فراس رضي الله عنه أصبح يوم مقتله حزيناً كئيباً وكان قلقاً في تلك الليلة ورأته ابنته امرأة أبي العشائر وهو على تلك الحال فأحزنها حزناً شديداً ثم ركب وهي على تلك الحال فأنشأ يقول ورجله في الركاب والخادم يضبط السير عليها وانما قال ذلك كالذي ينعي نفسه وان لم يكن من قصده ذلك فقال رحمه الله:

أَبنيتي لا تحزني كل الأَنام الى ذهاب
ابنيتي صبراً جميـ ـلا للجليل من المصاب
نوحي علي بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي اذا ناديتني فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يمتع بالشباب

ثم سار فلقي قرعويه فكان من امره ما كان وهذا آخر ما قاله من الشعر فيما بلغني فسبحان من لا يحول ولا يزول اه . وفي نسخة السحر قيل انه قتل في المعركة على باب حمص اه . وقال ابن خلكان رأيت في ديوانه أنه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته وذكر الابيات الخمسة المتقدمة ثم قال وهذا يدل على أنه لم يقتل أو يكون قد جرح وتأخر موته ثم مات من الجراحة اه ولكن قد سمعت فيما مر عن ابن خالويه أنه أَنشدها ورجله في الركاب يوم قتله قبل أن يلقى قرعويه

ثم قتل فما في الديوان ان صح يمكن أن يراد بقوله لما حضرته الوفاة أي يوم قتل فلا منافاة . ثم قال ابن خلكان: ذكر ثابت بن قرة الصابي في تاريخه قال جرت حرب بين ابي فراس وكان مقيما بحمص وبين أبي المعالي شريف بن سيف الدولة واستظهر عليه أبو المعالي وقتله في الحرب وأخذ رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية الى ان جاء بعض الاعراب فكفنه ودفنه . قال غيره وكان ابو فراس خال ابي المعالي وقلعت امه سخينة عينها لما بلغها وفاته وقيل إنها لطمت وجهها فقلعت عينها وقيل لما قتله قرغويه لم يعلم به أبو المعالي فلما بلغه الخبر شق عليه اه . وسخينة هي ام ابي المعالي اخت أبي فراس لا ام أبي فراس لان امه ماتت وهو في أسر الروم . فقوله وقلعت امه عينها أي أم أبي المعالي .

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر المطبوع ما لفظه في سنة ٣٥٠ قتل أبو فراس قتله أبو قرعونة غلام سيف الدولة ولما بلغ قتله امه قلعت عينها وكان قتله عند ضيعة تعرف بصدد في حرب كانت بين شريف ابن سيف الدولة وبين أبي فراس اه . وفيه ثلاث مخالفات للمعروف في كتب التاريخ (احداها) تاريخ قتله سنة ٣٥٠ وقد اجمعت كتب التاريخ أنه سنة ٣٥٧ (ثانيتها) تسمية غلام سيف الدولة أبو قرعونة والمذكور في اسمه قرعويه اوقرغويه (ثالثتها) قوله ولما بلغ امه الخ الدال على انها ام ابي فراس مع ان ام ابي فراس ماتت وهو في الاسر كما مر فالصواب انها ام ابي المعالي ولما كانت النسخة المطبوعة فاشية الغلط لم يعلم ان ذلك من كلام ابن عساكر والصواب ان الذي قتله قرعويه وان ابا المعالي

لم يعلم بقتله الا بعد وقوعه . وهاؤلاء المماليك أمثال قرعويه لم تكن لهم نفوس شريفة تدعوهم الى العفو عند المقدرة و كانوا كثيراً ما يكفرون النعمة بعد ما أجادوا الخدمة في أول أمرهم فيرغب فيهم مواليهم فاذا ترقت حالهم بطروا وربما فتكوا بمواليهم وقرعويه هذا عصى على أبي المعالي بعد سيف الدولة في خبر معروف ثم سلط الله عليه مولى له فقبض عليه مع بكجور وحبسه في قلعة حلب ست سنين ثم قتله ابو المعالي شريف بن سيف الدولة فجازاه الله تعالى بمثل فعله . ومن المؤسف ان يكون أبو فراس الامير الشجاع الكبير النفس العالي الهمة العربي الصميم يقتل بيد غلام مملوك لغلام مملوك وما أحسن واصدق قول المتنبي كما في اليتيمة :

فلا تنلك الليالي ان أيديها اذا ضربن كسرن النبع بالغرب

ولا يعن عدواً انت قاهره فانهن يصدن الصقر بالخرب(٢)

ولله امرهو بالغه .واولى بان يستشهد لذلك بقول ابي فراس نفسه:

ذدت الاسود عن الفرا ئس ثم تفرسني الضباع

وفي تاريخ ابي الفدا : وفي مقتله في صدد يقول بعضهم .

وعلمني الصد من بعده عن النوم مصرعه في صدد

فسقيا لها اذ حوت شخصه وبعدا لها حيث فيها ابتعد

آخر سيرة ابي فراس الحمداني رحمه الله

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

---

(١) النبع شجره صلب. والغرب نبت ضعيف.(٢)الخرب ذكر الحبارى وهو أيضاً يضرب به المثل في البلاهة . ـ المؤلف ـ

فهرست كتاب ابي فراس الحمداني